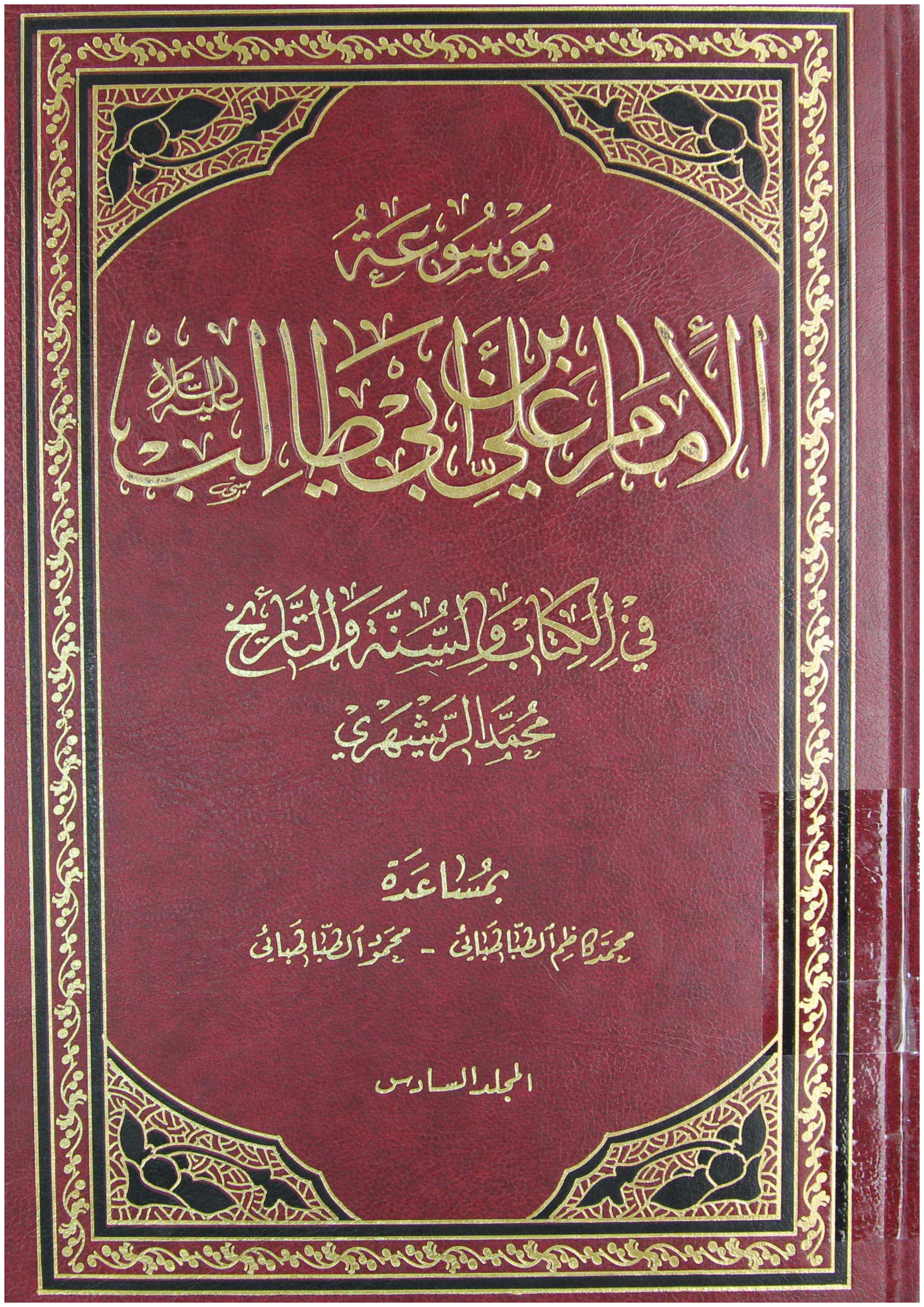
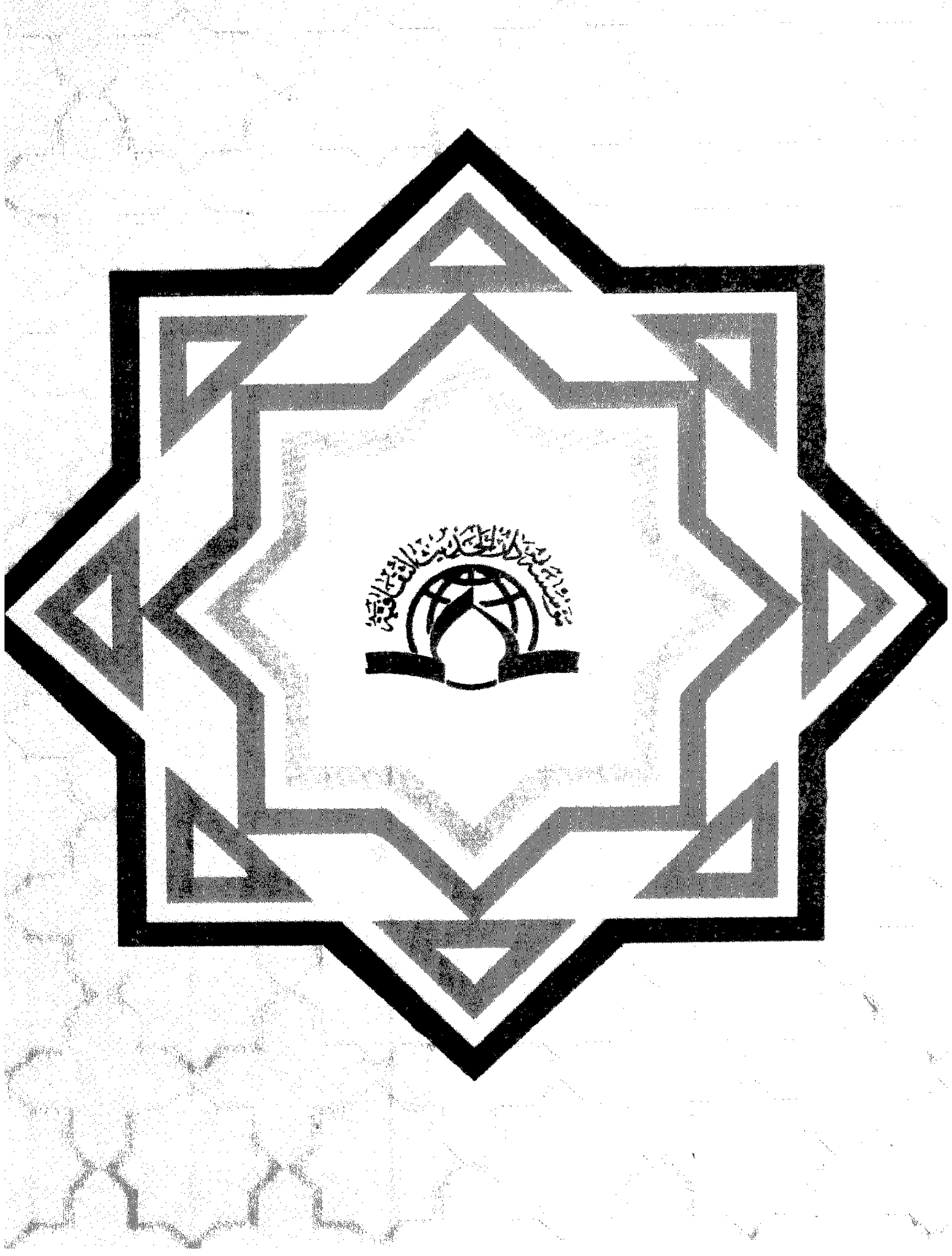


موسوعة
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
في الكتاب والسنة والتاريخ
محمد الريشهري
بمساعدة
محمد كاظم الطباطبائي - محمود الطباطبائي
المجلد السادس



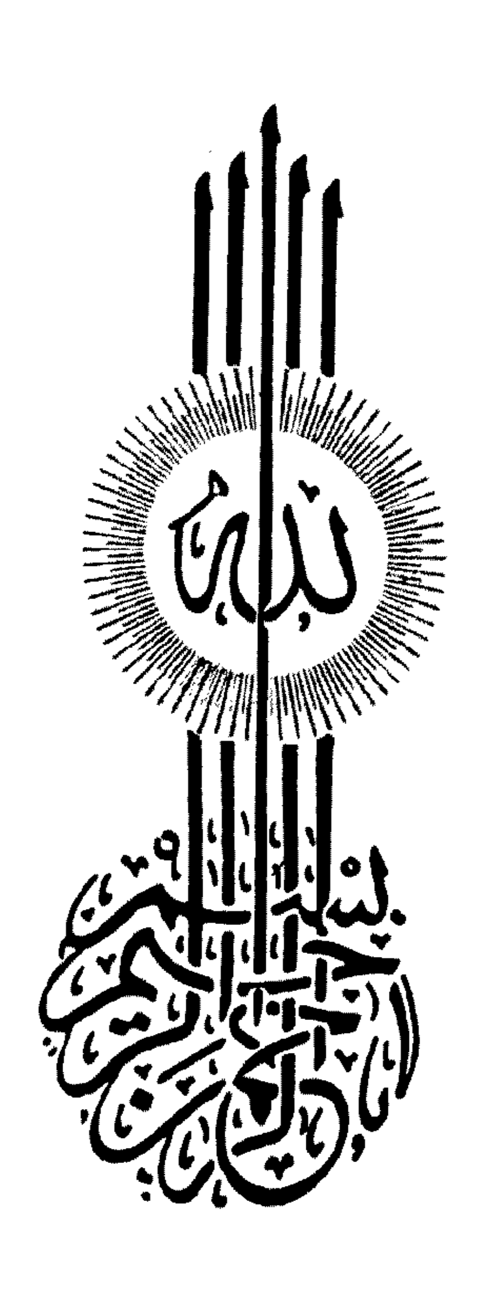


مركز الأبحاث العقائدية

موسوعة

# الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

في الكتاب والسنة والتاريخ


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

## موسوعة

# الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

## في الكتاب والسنة والتاريخ




محمد الريشهري

بمساعدة

محمد كاظم الطباطبائي - محمود الطباطبائي


## المجلد السادس




٣٧/٣٥
١٢٣
٢٨
٦٢



الطبعة الأولى

٢٠٠٠ م - ١٤٢٠هـ




توزيع

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

# الفَصلُ الرّابِعُ

# حَربُ الدِّعايَةِ

## ٤ / ١
## كتاب الإمام إلى معاوية يعظه فيه

٢٣٨٠ ـ شرح نهج البلاغة ـ في ذكر بعض ما دار بين عليّ عليه السلام ومعاوية من الكتب وأوّل هذا الكتاب ـ : من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

أما بعد ؛ فإنّ الدنيا دار تجارة ، وربحها أو خُسرها الآخرة ؛ فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة ، ومن رأى الدنيا بعينها وقدّرها بقدرها . وإنّي لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك ممّا لا مردّ له دون نفاذه ؛ ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا الأمانة وأن ينصحوا الغويّ والرشيد ، فاتّقِ الله ولا تكن ممّن لا يرجو لله وقاراً ، ومن حقّت عليه كلمة العذاب فإنّ الله بالمرصاد . وإنّ دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك ، فأقلع عمّا أنت عليه من الغيّ والضلال على كبر سنّك وفناء عمرك ؛ فإنّ حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح

من جانب إلّا فسد من آخر ، وقد أرديت جيلاً من الناس كثيراً خدعتهم بغيّك ، وألقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات ، فجازوا عن وجهتهم ، ونكصوا على أعقابهم ، وتولّوا على أدبارهم ، وعوّلوا على أحسابهم ، إلّا من فاء من أهل البصائر فإنّهم فارقوك بعد معرفتك ، وهربوا إلى الله من مُوَازرتك إذ حملتهم على الصعب وعدلت بهم عن القصد . فاتقِ الله يا معاوية في نفسك ، وجاذبِ الشيطانَ قيادَك ، فإنّ الدنيا منقطعة عنك والآخرةَ قريبة منك ، والسلام[1] .

## ٤ / ٢

## جوابه بكلّ وقاحة

٢٣٨١ ـ شرح نهج البلاغة عن أبي الحسن علي بن محمّد المدائني : فكتب إليه معاوية :

من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب :

أمّا بعد ؛ فقد وقفتُ على كتابك ، وقد أبيتَ على الفتن إلّا تمادياً ، وإنّي لعالم أنّ الذي يدعوك إلى ذلك مصرعك الذي لا بدّ لك منه ، وإن كنت موائلاً فازدد غيّاً إلى غيّك ، فطالما خفّ عقلك ، ومنّيت نفسك ما ليس لك ، والتويت على من هو خير منك ، ثمّ كانت العاقبة لغيرك ، واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك ، والسلام[2] .

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٣٣ ؛ نهج البلاغة : الكتاب ٣٢ وفيه من «أرديت جيلاً ...» ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٨٥ / ٤٠٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٣٣ .

## ٤ / ٣

# كتاب الإمام إليه يحذّره من الحرب

**٢٣٨٢ ـ** شرح نهج البلاغة عن المدائني : فكتب عليّ عليه السلام إليه :

أمّا بعد ؛ فإنّ ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه ممّا أتى به أهلك وقومك الذين حملهم الكفر وتمنّي الأباطيل على حسد محمّد صلى الله عليه وآله حتى صُرعوا مصارعهم حيث علمت ؛ لم يمنعوا حريماً ولم يدفعوا عظيماً ، وأنا صاحبهم في تلك المواطن ، الصالي بحربهم ، والفالّ لحدّهم ، والقاتل لرؤوسهم ورؤوس الضلالة ، والمتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم ، فبئس الخلف خلف أتبع سلفاً محلّه ومحطّه النار ، والسلام[1].

## ٤ / ٤

# جوابه بكلّ وقاحة

**٢٣٨٣ ـ** شرح نهج البلاغة عن المدائني : فكتب إليه معاوية :

أمّا بعد ؛ فقد طال في الغيّ ما استمررت أدراجك ، كما طالما تمادى عن الحرب نكوصك وإبطاؤك ، فتُوعِد وعيد الأسد وتروغ رَوغان الثعلب ، فحتّام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية والأفاعي القاتلة ، ولا تستبعدنّها فكلّ ما هو آتٍ قريب إن شاء الله ، والسلام[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٣٤ ؛ بحار الأنوار : ٣٣ / ٨٦ / ٤٠١ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٣٤ .

## ٤ / ٥

# كتاب الإمام إليه يخبر فيه بما سيقع في الحرب

**٢٣٨٤** ـ شرح نهج البلاغة عن المدائني : فكتب إليه عليّ عليه السلام :

أمّا بعد ؛ فما أعجب ما يأتيني منك ، وما أعلمني بما أنت اليه صائر ! وليس إبطائي عنك إلّا ترقّباً لما أنت له مكذّب وأنا به مصدّق ، وكأنّي بك غداً وأنت تضجّ من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال ، وستدعوني أنت وأصحابك إلى كتابٍ تعظّمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم ، والسلام[١] .

## ٤ / ٦

# جوابه بكلّ وقاحة

**٢٣٨٥** ـ شرح نهج البلاغة عن المدائني : فكتب إليه معاوية :

أمّا بعد ؛ فدعني من أساطيرك واكففْ عنّي من أحاديثك ، واقصر عن تقوّلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وافترائك من الكذب ما لم يقل ، وغرور من معك والخداع لهم فقد استغويتهم ، ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ويعلموا أنّ ما جئت به باطل مضمحلّ ، والسلام[٢] .

## ٤ / ٧

# كتاب الإمام إليه يخبر فيه بمصيره

**٢٣٨٦** ـ شرح نهج البلاغة عن المدائني : فكتب إليه عليّ عليه السلام :

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٣٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٣٤ ؛ بحار الأنوار : ٣٣ / ٨٦ / ٤٠١ .

أمّا بعد ؛ فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم الحقَّ أساطير الأوّلين ، ونبذتموه وراء ظهوركم ، وجهدتم بإطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون . ولعمري ليتمّنّ النور على كرهك ، ولينفذنّ العلم بصغارك ، ولتجازينّ بعملك ، فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك ؛ فكأنّك بباطلك وقد انقضى وبعملك وقد هوى ثمّ تصير إلى لظى ، لم يظلمك الله شيئاً ، وما ربّك بظلّام للعبيد[1] .

## ٤ / ٨

## جوابه بكلّ وقاحة يدعو الإمام للتشمير للحرب

٢٣٨٧ ـ شرح نهج البلاغة عن المدائني : فكتب إليه معاوية :

أمّا بعد ؛ فما أعظم الرين على قلبك والغطاء على بصرك ! الشره من شيمتك والحسد من خليقتك ، فشمّر للحرب واصبر للضرب ، فوالله ، ليرجعنّ الأمر إلى ما علمت ، والعاقبة للمتقين . هيهات هيهات ! أخطأك ما تمنّى ، وهوى قلبك مع من هوى ، فاربَعْ على ظَلْعِك ، وقس شبرك بفترك ؛ لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ، ويفصل بين أهل الشك علمه ، والسلام[2] .

## ٤ / ٩

## كيد معاوية في حرب الدعاية

٢٣٨٨ ـ شرح نهج البلاغة عن النقيب أبي جعفر : كان معاوية يتسقّط عليّاً وينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر وأنّهما غصباه حقّه ، ولا يزال يكيده

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٣٥ ؛ بحار الأنوار : ٣٣ / ٨٦ / ٤٠١ وراجع شرح نهج البلاغة : ١٥ / ٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٣٥.

بالكتاب يكتبه والرسالة يبعثها يطلب غرّته[١]؛ لينفث بما في صدره من حال أبي بكر وعمر إمّا مكاتبة أو مراسلة، فيجعل ذلك حجة عليه عند أهل الشام، ويضيفه إلى ما قرّره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم، فقد كان غمصه[٢] عندهم بأنّه قتل عثمان ومالأ على قتله، وأنّه قتل طلحة والزبير وأسر عائشة وأراق دماء أهل البصرة، وبقيت خصلة واحدة وهو أن يثبت عندهم أنّه يتبرّأ من أبي بكر وعمر، وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرسول في أمر الخلافة، وأنّهما وثبا عليها غلبة وغصباه إياها.

فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه، بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره؛ لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلّا القليل الشاذّ من خواص الشيعة.

فلمّا كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني[٣] قصد أن يُغضب عليّاً ويحرجه ويحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر وأنّه أفضل المسلمين إلى أن يخلط خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في أبي بكر، فكان الجواب مُجمجماً غير بيّن ليس فيه تصريح بالتظليم لهما ولا التصريح ببراءتهما وتارةً يترحّم عليهما وتارةً يقول: أخذا حقّي وقد تركته لهما.

فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأوّل؛ ليستفزّا فيه عليّاً ﷺ ويستخِفّاه، ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلّقان به في تقبيح حاله وتهجين مذهبه.

---

(١) الغِرّة: الغَفلة (النهاية: ٣/ ٣٥٥).

(٢) غَمَصَه: حَقَّرَه واستَصغَرَه ولم يَره شيئاً (لسان العرب: ٧/ ٦١).

(٣) راجع: رسائل معاوية إلى الإمام في دم عثمان.

وقال له عمرو: إنّ عليّاًﷺ رجل نزق تيّاه، وما استطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبي بكر وعمر فاكتب. فكتب كتاباً أنفذه إليه مع أبي أُمامة الباهلي وهو من الصحابة بعد أن عزم على بعثته مع أبي الدرداء ونسخة الكتاب:

من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب:

أمّا بعد؛ فإنّ الله تعالى جدّه اصطفى محمّداًﷺ لرسالته واختصّه بوحيه وتأدية شريعته، فأنقذ به من العماية وهدى به من الغواية، ثمّ قبضه اليه رشيداً حميداً قد بلّغ الشرع ومحق الشرك وأخمد نار الإفك، فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وآلاءه، ثمّ إنّ الله سبحانه اختصّ محمّداًﷺ بأصحاب أيّدوه وآزروه ونصروه، وكانوا كما قال الله سبحانه لهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[١] فكان أفضلهم مرتبة وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة الخليفة الأوّل، الذي جمع الكلمة ولمّ الدعوة وقاتل أهل الردة، ثمّ الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ومصّر الأمصار وأذل رقاب المشركين، ثمّ الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملّة وطبّق الآفاق بالكلمة الحنيفيّة.

فلمّا استوثق الإسلام وضرب بجِرانه[٢] عدوت عليه فبغيته الغوائل ونصبت له المكايد، وضربت له بطن الأمر وظهره ودسَست عليه وأغريت به، وقعدت حيث استنصرك عن نصره وسألك أن تدركه قبل أن يمزّق فما أدركته، وما يوم المسلمين منك بواحد.

لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه ورمت إفساد أمره، وقعدتَ في بيتك،

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الجِرَان: باطن العُنُق. ومنه حديث عائشة «حتى ضربَ الحقُّ بِجرَانِه» أي قَرَّ قَرارُه واستقام، كما أنّ البعير إذا برَك واستراح مدّ عُنُقَه على الأرض (النهاية: ١/ ٢٦٣).

واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته، ثمّ كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته، وسررت بقتله وأظهرت الشماتة بمصابه حتى إنّك حاولت قتل ولده؛ لأنه قتل قاتل أبيه، ثمّ لم تكن أشدّ منك حسداً لابن عمّك عثمان نشرت مقابحه وطويت محاسنه، وطعنت في فقهه ثمّ في دينه ثمّ في سيرته ثمّ في عقله، وأغريت به السفهاء من أصحابك وشيعتك حتى قتلوه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان ولا يدٍ، وما من هؤلاء إلّا من بغيت عليه وتلكّأت في بيعته حتى حُملت إليه قهراً تُساق بخزائم[1] الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش، ثمّ نهضت الآن تطلب الخلافة، وقتلةُ عثمان خلصاؤك وسُجراؤك والمحدقون بك، وتلك من أمانيّ النفوس وضلالات الأهواء.

فدع اللجاج والعبث جانباً وادفع إلينا قتلة عثمان، وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتّفقوا على من هو لله رضاً. فلا بيعة لك في أعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عتبى لك عندنا، وليس لك ولأصحابك عندي إلّا السيف، والذي لا إله إلّا هو لأطلبنّ قتلة عثمان أين كانوا وحيث كانوا حتى أقتلهم أو تلتحق روحي بالله.

فأمّا ما لا تزال تمنّ به من سابقتك وجهادك فإنّي وجدت الله سبحانه يقول: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّاتَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّـهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَـٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[2] ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتناناً على الله بعملها، وإذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد ويجعله كـ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ

(١) الخِزَام: جمع خِزامة، وهي حَلقة من شعر تُجعل في أحد جانبي مَنخِرَي البعير (النهاية: ٢ / ٢٩).
(٢) الحجرات: ١٧.

﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

قال النقيب أبو جعفر: فلمّا وصل هذا الكتاب إلى عليّ ﷺ مع أبي أُمامة الباهلي، كلّم أبا أُمامة بنحو ممّا كلّم به أبا مسلم الخولاني وكتب معه هذا الجواب.

قال النقيب: وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش، لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم وليس في ذلك هذه اللفظة وإنّما فيه: «حسدت الخلفاء وبغيت عليهم عرفنا ذلك من نظرك الشَّزْر[٢] وقولك الهُجْر[٣] وتنفّسك الصعداء وإبطائك عن الخلفاء».

قال: وإنّما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين، والمشهور عندهم كتاب أبي مسلم فيجعلون هذه اللفظة فيه، والصحيح أنّها في كتاب أبي أُمامة، ألا تراها عادت في جوابه؟ ولو كانت في كتاب أبي مسلم لعادت في جوابه[٤].

## ٤ / ١٠

## الأجوبة الواعية للإمام

**٢٣٨٩ ـ الإمام عليّ** ﷺ ـ من كتاب له إلى معاوية جواباً، وهو من محاسن الكتب ـ: أمّا بعد؛ فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمّداً ﷺ لدينه وتأييده

---

(١) البقرة: ٢٦٤.

(٢) الشَّزْر: النظر عن اليمين والشمال، وليس بمستقيم الطريقة. وقيل: هو النَّظرُ بمؤخر العين. وأكثرُ ما يكون النَّظرُ الشزْرُ في حال الغضب وإلى الأعداء (النهاية: ٢ / ٤٧٠).

(٣) أهْجَرَ في مَنْطقه يُهْجِرُ إهْجاراً إذا أفْحَش، وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لاينبغي. والاسم: الهُجْر، بالضم. وهَجَرَ يَهْجُر هَجْراً، بالفتح، إذا خلط في كلامه، وإذا هذى (النهاية: ٥ / ٢٤٥).

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٥ / ١٨٤؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٦٠.

إيّاه بمن أيّده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً، إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا ونعمته علينا في نبيّنا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هَجَر أو داعي مُسدِّده إلى النِّضال.

وزعمت أنّ أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كلّه، وإن نقص لم يلحقك ثلمه. وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس؟ وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم. هيهات لقد حَنَّ قِدْحٌ ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.

ألا تربَع ـ أيّها الإنسان ـ على ظَلْعِك، وتعرف قصور ذَرْعك؟ وتتأخّر حيث أخّرك القدر؟ فما عليك غلبة المغلوب ولا ظفر الظافر، وإنّك لذَهَّاب في التيهِ، روّاغ عن القصد.

ألا ترى ـ غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أُحدِّث ـ أنّ قوماً استُشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار ـ ولكلّ فضل ـ حتى إذا استُشهد شهيدنا قيل: سيّد الشهداء، وخصّه رسول الله ﷺ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه.

أوَلا ترى أنّ قوماً قُطعت أيديهم في سبيل الله ـ ولكلّ فضل ـ حتى إذا فُعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل: الطيّار في الجنّة وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجّها آذان السامعين، فدعْ عنك من مالت به الرمية؛ فإنّا صنائع ربّنا، والناس بعدُ صنائع لنا. لم يمنعنا قديم عزّنا ولا عادي طَوْلنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء، ولستم هناك.

وأنّى يكون ذلك ومنّا النبيّ ومنكم المكذِّب، ومنّا أسد الله ومنكم أسد

الأحلاف، ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النار، ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب في كثير ممّا لنا وعليكم؛ فإسلامنا قد سُمع، وجاهليّتنا لا تُدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] فنحن مرّة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة. ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ﷺ فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم.

وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك:

وتلك شكاة ظاهرٌ عنك عارُها

وقلت إنّي كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أُبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وأن تفضح فافتَضحت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه. وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها.

ثمّ ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لِرَحِمِك منه، فأيّنا كان أعدى له وأهدى إلى مَقاتله. أمَن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه، أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟

---

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) آل عمران: ٦٨.

كلا والله لـ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] وما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له فرُبَّ ملوم لا ذنب له:

وقد يستفيد الظِّنَّة المتنصِّحُ.

وما أردت إلّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

وذكرت أنّه ليس لي ولاصحابي عندك إلّا السيف فلقد أضحكتَ بعد استعبار! متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين، وبالسيف مُخَوَّفين؟! فَـ

لَبِّثْ قليلاً يلحقِ الهيجا حَمَل

فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقلٌ نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديدٌ زحامُهم، ساطع قَتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم، وقد صَحِبَتْهم ذرّيّةٌ بدريّةٌ وسيوف هاشميّة، قد عَرَفْتَ مواقع نِصالها في أخيك وخالك وجدّك وأهلك[2]

---

(١) الأحزاب: ١٨.

(٢) إليك خلاصة ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح ألفاظ الجواب المذكور:

هَجَر: اسم مدينة كثيرة النخل يُحمل منها التمر إلى غيرها. مسدّده: معلّمه، والنِّضال: الرمي. فلان وفلان: أبو بكر وعمر. حَنَّ قِدح ليس منها: مثلٌ يُضرب لمن يُدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم، وأصله القِداح من عود واحد يَجعل فيها قِدْح من غير ذلك الخشب، فيصوّت بينها إذا أرادها المفيض، فذلك الصوت هو حَنينُه. وتربَع: أي ترفق بنفسك وتكفّ ولا تحمل عليها ما لا تطيقه. والظَّلْع: مصدر ظَلَع البعير يظلعُ أي غمز في مشية. قُطعت أيديهم: إشارة إلى جعفر. عاديّ طولنا: أي قديم فضلنا. المكذِّب: أبو سفيان. أسدُ الله: حمزة. أسد الأحلاف: عتبة بن ربيعة. صِبية النار: صِبية عُقبة بن أبي معيط (شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٨٨ـ١٩٦).

﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(١)(٢).

## ٤ / ١١

## رسائل معاوية إلى الإمام في دم عثمان

**٢٣٩٠** ـ الكامل للمبرّد: كتب [معاوية] إلى عليّ ﷺ:

من معاوية بن صخر إلى عليّ بن أبي طالب:

أمّا بعد؛ فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريءٌ من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنّك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذّلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلّا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين.

ولعمري ما حجّتك عليَّ كحجّتك على طلحة والزبير، لأنّهما بايعاك ولم أبايعك. وما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة؛ لأنّ أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام. وأمّا شرفك في الإسلام وقرابتك من

---

(١) هود: ٨٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٢٨، الاحتجاج: ١ / ٤١٧ / ٩٠، بحار الأنوار: ٣٣ / ٥٧ / ٣٩٨ وراجع الفتوح: ٢ / ٥٣٤ ـ ٥٣٧.

قال ابن أبي الحديد: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد فقلت: أرى هذا الجواب منطبقاً على كتاب معاوية الذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى عليّ ﷺ، فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الذي ذكره أرباب السيرة، وأورده نصر بن مزاحم في وقعة صفّين إذاً غير صحيح، وإن كان ذلك الجواب فهذا الجواب إذاً غير صحيح ولا ثابت؛ فقال لي: بل كلاهما ثابت مرويّ (شرح نهج البلاغة: ١٥ / ١٨٤ وراجع وقعة صفّين: ٨٨).

رسول الله ﷺ وموضعك من قريش فلست أدفعه [١].

٢٣٩١ ـ وقعة صفّين عن أبي ورق : إنّ أبا مسلم الخولاني قدم إلى معاوية في أُناس من قرّاء أهل الشام ، قبل مسير أمير المؤمنين ؑ إلى صفّين ، فقالوا له : يا معاوية علام تقاتل عليّاً ، وليس لك مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ؟ قال لهم : ما أُقاتل عليّاً وأنا أدّعي أنّ لي في الإسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ، ولكن خبّروني عنكم ؛ ألستم تعلمون أنّ عثمان قُتل مظلوماً ؟ قالوا : بلى . قال : فليَدَعْ إلينا قتلته فنقتلهم به ، ولا قتال بيننا وبينه . قالوا : فاكتب إليه كتاباً يأتيه به بعضنا . فكتب إلى عليّ هذا الكتاب مع أبي مسلم الخولاني ....

من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب : سلام عليك ، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو .

أمّا بعد ؛ فإنّ الله اصطفى محمّداً بعلمه ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واجتبى له من المسلمين أعواناً أيّده الله بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ؛ فكان أفضلهم في إسلامه ، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده ، وخليفة خليفته ، والثالث الخليفة المظلوم عثمان ، فكلّهم حسدتَ ، وعلى كلّهم بغيتَ . عرفنا ذلك في نظرك الشَّزْر ، وفي قولك الهجر ، وفي تنفسّك الصُّعَداء ، وفي إبطائك عن الخلفاء ، تقاد إلى كلّ منهم كما يقاد الفحل

---

(١) الكامل للمبرّد : ١ / ٤٢٣ ، شرح نهج البلاغة : ٣ / ٨٨ ، العقد الفريد : ٣ / ٣٢٩ ، المناقب للخوارزمي : ٢٠٣ / ٢٤٠ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٢١ والثلاثة الأخيرة نحوه ؛ بحار الأنوار : ٣٢ / ٣٩٤ / ٣٦٥ .

المخشوش[١] حتى تبايع وأنت كاره.

ثمّ لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمّك عثمان، وكان أحقَّهم ألّا تفعل به ذلك في قرابته وصهره؛ فقطعت رحمه، وقبّحت محاسنه، وألّبت الناس عليه، وبطنت وظهرت، حتى ضرِبَتْ إليه آباط الإبل، وقِيدت إليه الخيل العِراب، وحُمل عليه السلاح في حرم رسول الله، فقُتل معك في المحلّة وأنت تسمع في داره الهائعة، لا تردع الظنّ والتُّهَمة عن نفسك فيه بقول ولا فعل.

فأُقسم صادقاً أن لو قمتَ فيما كان من أمره مقاماً واحداً تُنَهْنِه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً، ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه.

وأُخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظَنين[٢]: إيواؤك؛ قتلة عثمان، فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك. وقد ذُكِر لي أنّك تَنَصَّلُ من دمه، فإن كنت صادقاً فأمكِنّا من قتلته نقتلهم به، ونحن أسرع الناس إليك. وإلّا فإنّه فليس لك ولا لأصحابكَ إلّا السيف.

والذي لا إله إلّا هو لنطلبنّ قتلة عثمان في الجبال والرمال، والبرّ والبحر، حتى يقتلهم الله، أو لتلحقنّ أرواحنا بالله. والسلام[٣].

**٢٣٩٢ ـ شرح نهج البلاغة ـ في ذكر كتابٍ كتبه معاوية إلى الإمام ﷺ ـ :** من معاوية

---

(١) هو الذي جُعل في أنفه الخِشاش؛ وهو عُوَيد يُجعل في أنف البعير يشدُّ به الزِّمام؛ ليكون أسرع لانقياده (النهاية: ٢ / ٣٤ وص ٣٣).

(٢) من الظِّنَّة: الشكّ والتهمة (النهاية: ٣ / ١٦٣).

(٣) وقعة صفّين: ٨٥، بحار الأنوار: ٣٣ / ١٠٨ / ٤٠٨؛ شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٧٣، المناقب للخوارزمي: ٢٥٠ نحوه.

ابن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب :

أمّا بعد ؛ فإنّا بني عبد مناف لم نزل نَنْزع من قَلِيب واحد ، ونجري في حلبة واحدة ليس لبعضنا على بعض فضل ، ولا لقائمنا على قاعدنا فخر ، كلمتنا مؤتلفة ، واُلفَتُنا جامعة ، ودارنا واحدة ، يجمعنا كرم العرق ، ويحوينا شرف النِّجار[1] ، ويحنو قويّنا على ضعيفنا ، ويواسي غنيّنا فقيرنا ، قد خلصت قلوبنا من وغل الحسد ، وطهرت أنفسنا من خبث النيّة .

فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الإدهان في أمر ابن عمّك والحسد له ونصرة الناس عليه ، حتى قتل بمشهد منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد ، فليتك أظهرت نصره حيث أسررت خبره ، فكنت كالمتعلّق بين الناس بعذر وإن ضعف ، والمتبرّئ من دمه بدَفع وإن وهن ولكنّك جلست في دارك تدسّ إليه الدواهي ، وترسل إليه الأفاعي ، حتى إذا قضيت وطرك منه أظهرت شماتة ، وأبديت طلاقة ، وحسرت للأمر عن ساعدك ، وشمّرت عن ساقك ، ودعوت الناس إلى نفسك ، وأكرهت أعيان المسلمين على بيعتك .

ثمّ كان منك بعد ما كان من قتلك شيخي المسلمين أبي محمّد طلحة ، وأبي عبد الله الزبير ، وهما من الموعودين بالجنّة والمبشَّر قاتل أحدهما بالنار في الآخرة .

هذا إلى تشريدك باُمّ المؤمنين عائشة ، وإحلالها محلّ الهون متبذّلة بين أيدي الأعراب وفسقة أهل الكوفة ، فمن بين مشهر لها ، وبين شامت بها ، وبين ساخر منها ، ترى ابن عمّك كان بهذه لو رآه راضياً أم كان يكون عليك ساخطاً ، ولك عنه

---

(١) أي الأصل والحسب (لسان العرب : ٥ / ١٩٣).

زاجراً! أن تؤذي أهله، وتُشَرّد بحليلته، وتسفك دماء أهل ملّته.

ثمّ تركك دار الهجرة التي قال رسول الله ﷺ عنها: «إنّ المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكيرُ خبث الحديد» فلعمري لقد صحّ وعده، وصدق قوله، ولقد نفت خبثها، وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها، فأقمتَ بين المِصْرين، وبعدت عن بركة الحرمين، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة، وبمجاورة الخورْنق والحيرة عوضاً عن مجاورة خاتم النبوّة، ومن قبل ذلك ما عبتَ خليفتَي رسول الله ﷺ أيّام حياتهما، فقعدت عنهما، وألّبتَ عليهما، وامتنعت من بيعتهما، ورمت أمراً لم يرَك الله تعالى له أهلاً، ورقِيت سُلّماً وعراً وحاولت مقاماً دحضاً، وادّعيت ما لم تجد عليه ناصراً

ولعمري لو وَليتها حينئذٍ لما ازدادت إلّا فساداً واضطراباً، ولا أعقبت ولايتكها إلّا انتشاراً وارتداداً؛ لأنّك الشامخ بأنفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه ويده، وها أنا سائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار تحفّهم سيوف شاميّة، ورماح قحطانيّة، حتى يحاكموك إلى الله.

فانظر لنفسك وللمسلمين، وادفع إليّ قتلة عثمان؛ فإنّهم خاصّتك وخلصاؤك والمحدقون بك، فإن أبيت إلّا سلوك سبيل اللجاج والإصرار على الغيّ والضلال فاعلم أنّ هذه الآية إنّما نزلت فيك وفي أهل العراق معك: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[1][2].

---

(١) النحل: ١١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٢٥١؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٨٩ / ٤٠٢.

## ٤ / ١٢
## أجوبة الإمام عن الرسائل بما لا مزيد عليه

**٢٣٩٣ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: من عليّ إلى معاوية بن صخر:
أمّا بعد؛ فقد أتاني كتاب امرئ ليس له نظر يهديه، ولا قائد يُرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده فاتّبعه.

زعمت أنّه أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان. ولعمري ما كنتُ إلّا رجلاً من المهاجرين؛ أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا. وما كان الله ليجمعهم على ضلالة، ولا ليضربهم بالعمى، وما أمرت فيلزمني خطيئة الآمر، ولا قتلت فيجب عليّ القصاص.

وأمّا قولك إنّ أهل الشام هم الحكّام على أهل الحجاز، فهاتِ رجلاً من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحلّ له الخلافة. فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأنصار، وإلّا أتيتك به من قريش الحجاز.

وأمّا قولك: ادفع إلينا قتلة عثمان، فما أنت وعثمان؟ إنّما أنت رجل من بني أُميّة، وبنو عثمان أولى بذلك منك. فإن زعمت أنّك أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي، ثمّ حاكم القومَ إليّ أحملْك وإيّاهم على المحجّة.

وأمّا تمييزك بين الشام والبصرة وبين طلحة والزبير فلعمري ما الأمر فيما هناك إلّا واحد؛ لأنّها بيعة عامّة لا يُثنى فيها النظر، ولا يُستأنف فيها الخيار.

وأمّا ولوعك بي في أمر عثمان فما قلت ذلك عن حقّ العيان، ولا يقين الخبر.
وأمّا فضلي في الإسلام وقرابتي من النبيّ صلى الله عليه وآله وشرفي في قريش فلعمري لو

استطعتَ دفع ذلك لدفعته [١].

٢٣٩٤ ـ عنه ﷺ ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان:

أمّا بعد؛ فإنّ أخا خولان قدم عليَّ بكتاب منك تذكر فيه محمّداً ﷺ، وما أنعم الله عليه به من الهدى والوحي. والحمد لله الذي صدقه الوعد، وتمّم له النصر، ومكّن له في البلاد، وأظهره على أهل العداء والشنآن من قومه الذين وثبوا به، وشنفوا له، وأظهروا له التكذيب، وبارزوه بالعداوة، وظاهروا على إخراجه وعلى إخراج أصحابه وأهله، وألّبوا عليه العرب، وجامعوهم على حربه، وجهدوا في أمره كلّ الجهد، وقلّبوا له الأُمور حتى ظهر أمر الله وهم كارهون.

وكان أشدّ الناس عليه ألبةً أسرته، والأدنى فالأدنى من قومه إلّا من عصمه الله.

يا بن هند! فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً! ولقد قدمت فأفحشت؛ إذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى في نبيّه محمّد ﷺ وفينا، فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هَجَر، أو كداعي مسدِّده إلى النِّضال.

وذكرت أنّ الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيّده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلهم ـ زعمتَ ـ في الإسلام، وأنصحهم لله ورسوله الخليفة، وخليفة الخليفة. ولعمري إنّ مكانهما من الإسلام لعظيم، وإنّ المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد. رحمهما الله وجزاهما

---

(١) وقعة صفّين: ٥٧، بحار الأنوار: ٣٢/ ٣٧٩؛ شرح نهج البلاغة: ٣/ ٨٩ نحوه وراجع المناقب للخوارزمي: ٢٠٤.

بأحسن الجزاء.

وذكرت أنّ عثمان كان في الفضل ثالثاً؛ فإن يكن عثمان محسناً فسيجزيه الله بإحسانه، وإن يك مسيئاً فسيلقى ربّاً غفوراً لا يتعاظمه ذنب أن يغفره.

ولعمر الله إنّي لأرجو ـ إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ورسوله ـ أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر.

إنّ محمّداً ﷺ لمّا دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنّا ـ أهلَ البيت ـ أوّل من آمن به، وصدّق بما جاء به. فلبثنا أحوالاً مجرَّمة، وما يَعبد الله في رَبعٍ ساكن من العربِ غيرنا. فأراد قومنا قتل نبيّنا، واجتياح أصلنا، وهمُّوا بنا الهمومَ، وفعلوا بنا الأفاعيل؛ فمنعونا المِيرةَ، وأمسكوا عنّا العَذْب، وأحلسونا الخوف[1]، وجعلوا علينا الأرصاد والعيون، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم حتى ندفع النبيّ ﷺ فيقتلوه ويُمثّلوا به. فلم نكن نأمن فيهم إلّا من موسم إلى موسم، فعزم الله لنا على منعه، والذبّ عن حوزته، والرمي من وراء حرمته، والقيام بأسيافنا دونه، في ساعات الخوف بالليل والنهار، فمؤمننا يرجو بذلك الثواب، وكافرنا يحامي به عن الأصل.

فأمّا من أسلم من قريش بعدُ فإنّهم ممّا نحن فيه أخلياء؛ فمنهم حليف ممنوع، أو ذو عشيرة تدافع عنه؛ فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن. فكان ذلك ما شاء الله أن يكون.

ثمّ أمر الله رسوله بالهجرة، وأذِن له بعد ذلك في قتال المشركين، فكان إذا

---

(١) أي ألزموناه ولم يفارقنا (انظر النهاية: ١ / ٤٢٤).

احمرّ البأس ودُعِيَت نَزالِ أقام أهل بيته فاستقدموا، فوقى بهم أصحابه حرّ الأسنّة والسيوف، فقُتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أُحد، وجعفر وزيد يوم مؤتة، وأراد لله مَن لو شئتُ ذكرت اسمه مثلَ الذي أرادوا من الشهادة مع النبيّ ﷺ غير مرّة، إلّا أنّ آجالهم عُجّلت، ومنيّته أُخّرت. والله مولي الإحسان إليهم، والمنّان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات. فما سمعت بأحد ولا رأيت فيهم من هو أنصح لله في طاعة رسوله، ولا أطوع لرسوله في طاعة ربّه، ولا أصبر على اللأْواء والضرّاء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبيّ ﷺ من هؤلاء النفر الذين سمّيتُ لك. وفي المهاجرين خير كثير نعرفه، جزاهم الله بأحسن أعمالهم!

وذكرتَ حسدي الخلفاء، وإبطائي عنهم، وبغيي عليهم؛ فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون، وأمّا الإبطاء عنهم والكراهة لأمرهم فلست أعتذر منه إلى الناس، لأنّ الله جلّ ذكره لمّا قبض نبيّه ﷺ قالت قريش: منّا أمير، وقالت الأنصار: منّا أمير. فقالت قريش: منّا محمّد رسول الله ﷺ، فنحن أحقّ بذلك الأمر، فعرفت ذلك الأنصار، فسلّمت لهم الولاية والسلطان. فإذا استحقّوها بمحمّد ﷺ دون الأنصار فإنّ أولى الناس بمحمّد ﷺ أحقّ بها منهم. وإلّا فإنّ الأنصار أعظم العرب فيها نصيباً، فلا أدري أصحابي سَلموا من أن يكونوا حقّي أخذوا، أو الأنصار ظلموا، بلِ عرفت أنّ حقّي هو المأخوذ، وقد تركته لهم، تجاوزَ الله عنهم!

وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتي رحمَه، وتأليبي عليه؛ فإنّ عثمان عمل ما قد بلغك، فصنع الناس به ما قد رأيت وقد علمتَ أنّي كنت في عزلة عنه، إلّا أن تتجنّى، فتجنّ ما بدا لك.

وأمّا ما ذكرت من أمر قتلة عثمان؛ فإنّي نظرت في هذا الأمر، وضربت أنفه وعينيه، فلم أرَ دفعهم إليك ولا إلى غيرك.

ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليل يطلبونك، ولا يكلّفونك أن تطلبهم في برّ ولا بحر، ولا جبل ولا سهل.

وقد كان أبوك أتاني حين ولي الناسَ أبا بكر فقال: أنت أحقّ بعد محمّدﷺ بهذا الأمر، وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك. ابسُط يدك أُبايعْك، فلم أفعل وأنت تعلم أنّ أباك قد كان قال ذلك وأراده حتى كنت أنا الذي أبيتُ، لقرب عهد الناس بالكفر، مخافة الفرقة بين أهل الإسلام. فأبوك كان أعرف بحقّي منك. فإن تعرف من حقّي ما كان يعرف أبوك تُصِبْ رشدك، وإن لم تفعل فسيُغني الله عنك والسلام[1].

**٢٣٩٥ ـ عنهعليه السلام ـ** من كتاب له إلى معاوية جواباً ـ: أمّا بعد؛ فإنّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الأُلفة والجماعة، ففرّق بيننا وبينكم أمسِ أنّا آمنا وكفرتم، واليوم أنّا استقمنا وفُتِنتم. وما أسلم مسلمكم إلّا كَرهاً، وبعد أن كان أنف الإسلام كلّه لرسول اللهﷺ حِزباً.

وذكرت أنّي قتلت طلحة والزبير، وشرّدت بعائشة ونزلت بين المِصرين، وذلك أمر غبتَ عنه فلا عليك، ولا العذر فيه إليك.

وذكرت أنّك زائري في المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجرة يوم أُسِر أخوك، فإن كان فيك عَجَل فاسْتَرْفِهْ؛ فإنّي إن أَزُرْك فذلك جدير أن يكون الله إنّما بعثني إليك للنقمة منك! وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد:

مستقبلين رياح الصيف تضربهم ... بحاصب بين أغوار وجُلْمودِ

---

(١) وقعة صفّين: ٨٨، بحار الأنوار: ٣٣ / ١١٠ / ٤٠٨؛ شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٧٦، المناقب للخوارزمي: ٢٥٢ نحوه وكلّها عن أبي ورق وراجع نهج البلاغة: الكتاب ٢٨.

وعندي السيف الذي أعضضته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد. وإنّك والله ـ ما علمتُ ـ الأغلفُ القلبِ، المقاربُ العقل، والأولى أن يقال لك: إنّك رقيت سُلّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك، لأنّك نشدت غير ضالّتك، ورعيت غير سائمتك، وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه، فما أبعد قولك من فعلك! وقريبٌ ما أشبهتَ[١] من أعمام وأخوال! حملَتْهم الشقاوة وتمنّي الباطل على الجحود بمحمّد ﷺ، فصُرِعوا مصارعَهم حيث علمتَ، لم يدفعوا عظيماً، ولم يمنعوا حريماً، بوقع سيوفٍ ما خلا منها الوغَى، ولم تماشِها الهُوَيْنى[٢].

وقد أكثرتَ في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثمّ حاكم القوم إليّ أحملْك وإيّاهم على كتاب الله تعالى. وأمّا تلك التي تريد[٣] فإنّها خدعة الصبي عن اللبن في أوّل الفصال، والسلام لأهله[٤].

**٢٣٩٦ـ** عنه عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: أمّا بعد؛ فانّ الدنيا حلوة خَضِرة، ذات زينة وبهجة، لم يصبُ اليها أحدٌ إلّا وشغلته بزينتها عمّا هو أنفع له منها، وبالآخرة أُمِرْنا، وعليها حُثِثْنا؛ فدعْ يا معاوية ما يفنى، واعمل لما يبقى، واحذر الموت الذي إليه مصيرك، والحساب الذي إليه عاقبتك، واعلم أنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً حال بينه وبين ما يكره، ووفّقه لطاعته، وإذا أراد الله بعبد سوءاً أغراه بالدنيا، وأنساه الآخرة وبسط له أمله، وعاقه عمّا فيه صلاحه.

---

(١) ما: مصدرية؛ أي وقريب شبهك (شرح نهج البلاغه: ١٨ / ٢٠).

(٢) أي لم تصحبها، يصفها بالسرعة والمضيّ في الرؤوس والأعناق (شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٠).

(٣) قيل: إنّه يريد التعلّق بهذه الشبهة؛ وهي قَتَلة عثمان. وقيل: أراد به ما كان معاوية يكرّر طلبه من أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أن يقرّه على الشام وحده، ولا يكلّفه البيعة (شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢١).

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٦٤، الاحتجاج: ١ / ٤٢٦ / ٩١، بحار الأنوار: ٣٣ / ٩١ / ٤٠٢.

وقد وصلني كتابك، فوجدتك ترمي غير غرضك، وتنشد غير ضالّتك وتخبط في عماية، وتتيه في ضلالة، وتعتصم بغير حجّة، وتلوذ بأضعف شبهة.

فأمّا سؤالك المتاركة والإقرار لك على الشام؛ فلو كنت فاعلاً ذلك اليوم لفعلته أمسِ.

وأمّا قولك إنّ عمر ولّاكه فقد عزل من كان ولّاه صاحبه، وعزل عثمان من كان عمر ولّاه، ولم يُنصّب للناس إمام إلّا ليرى من صلاح الأُمّة إماماً قد كان ظهر لمن قبله، أو أُخفي عنهم عيبه، والأمر يحدث بعده الأمر، ولكلّ والٍ رأي واجتهاد.

فسبحان الله! ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة، والحيرة المتّبعة مع تضييع الحقائق واطّراح الوثائق التي هي لله تعالى طلبة، وعلى عباده حجّة فأمّا إكثارك الحِجاج على عثمان وقتلته فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له، والسلام[١].

**٢٣٩٧ ـ** عنه عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد؛ فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام؛ لأنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين، وولّاه الله ما تولّى ويُصليه جهنّم وساءت مصيراً.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٥٣؛ نهج البلاغة: الكتاب ٣٧، الاحتجاج: ١ / ٤٢٨ / ٩٢ وفيهما من «فسبحان الله...»، بحار الأنوار: ٣٣ / ٩٧ / ٤٠٣.

وإنّ طلحة والزبير بايعاني، ثمّ نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردّهما، فجاهدتهما على ذلك، حتى جاء الحقّ، وظهر أمر الله وهم كارهون.

فادخل فيما دخل فيه المسلمون؛ فإنّ أحبّ الأُمور إليّ فيك العافية، إلّا أن تتعرّض للبلاء؛ فإن تعرّضت له قاتلتك، واستعنت الله عليك.

وقد أكثرتَ في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثمّ حاكمِ القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله.

فأمّا تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ قريش من دم عثمان.

واعلم أنّك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى، وقد أرسلت إليك وإلى من قِبَلك: جرير بن عبد الله؛ وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع، ولا قوّة إلّا بالله[1].

## ٤ / ١٣

## كتاب الإمام إليه يحذّره من طلب ما ليس له بحقّ

**٢٣٩٨ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان: سلام على من اتّبع الهدى، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد؛ فإنّك قد رأيت من الدنيا وتصرّفها بأهلها وإلى ما مضى منها، وخير ما

---

(١) وقعة صفّين: ٢٩؛ تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٢٨ كلاهما عن عامر الشعبي، العقد الفريد: ٣ / ٣٢٩، الأخبار الطوال: ١٥٧ نحوه إلى «فخدعة الصبي عن اللبن»، شرح نهج البلاغة: ٣ / ٧٥، الإمامة والسياسة: ١ / ١١٣ وراجع نهج البلاغة: الكتاب ٦٤ والفتوح: ٢ / ٥٠٦.

بقي من الدنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى. ومن نسي الدنيا نسيان الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً.

واعلم يا معاوية أنّك قد ادّعيت أمراً لست من أهله لا في القدم ولا في الولاية، ولست تقول فيه بأمر بيّن تعرف لك به أثرة، ولا لك عليه شاهد من كتاب الله، ولا عهد تدّعيه من رسول الله. فكيف أنت صانع إذا انقشعت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا أبهجت بزينتها وركنت إلى لذّتها، وخُلّي فيها بينك وبين عدوٍّ جاهدٍ ملحّ، مع ما عرض في نفسك من دنيا قد دعتك فأجبتها، وقادتك فاتّبعتها، وأمرتك فأطعتها. فاقعَس عن هذا الأمر، وخذ اُهبة الحساب؛ فإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا يُجنّك منه مِجَنّ. ومتى كنتم يا معاوية ساسة للرعيّة، أو ولاة لأمر هذه الاُمّة بغير قدم حسن، ولا شرف سابق على قومكم. فشمّر لما قد نزل بك، ولا تمكّن الشيطان من بغيته فيك، مع أنّي أعرف أنّ الله ورسوله صادقان. فنعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء. وإلّا تفعلْ اُعلمك ما أغفلك من نفسك؛ فإنّك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه، فجرى منك مجرى الدم في العروق.

واعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا وامتنّوا به علينا، ولكنّه قضاء ممّن امتنّ به علينا على لسان نبيّه الصادق المصدّق. لا أفلح من شكّ بعد العرفان والبيّنة. اللهمّ احكم بيننا وبين عدوّنا بالحقّ وأنت خير الحاكمين[1].

## ٤ / ١٤

## جوابه بكلّ وقاحة

**٢٣٩٩ ـ وقعة صفّين:** كتب معاوية [إلى الإمام ﷺ]: من معاوية بن أبي سفيان إلى

---

(١) وقعة صفّين: ١٠٨، بحار الأنوار: ٣٣ / ١٠٠ / ٤٠٥؛ شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٨٦ نحوه وراجع تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٣٢.

عليّ بن أبي طالب : أمّا بعد ؛ فدع الحسد ؛ فإنّك طالما لم تنتفع به ، ولا تُفسد سابقة قدمك بشَره نخوتك ؛ فإنّ الأعمال بخواتيمها ، ولا تمحق سابقتك في حقّ مَن لا حقّ لك في حقّه ، فإنّك إن تفعل لا تضرّ بذلك إلّا نفسك ، ولا تمحق إلّا عملك ، ولا تُبطل إلّا حجّتك . ولعمري ما مضى لك من السابقات لشبيه أن يكون ممحوقاً ؛ لِمَا اجترأت عليه من سفك الدماء ، وخلاف أهل الحقّ . فاقرأ سورة الفلق ، وتعوّذ بالله من شرّ نفسك ؛ فإنّك الحاسد إذا حسد !!![1]

## ٤ / ١٥

## رسائل أُخرى من الإمام إليه

**٢٤٠٠ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ : فاتّقِ الله فيما لديك ، وانظر في حقّه عليك ، وارجع إلى معرفة مالا تُعذر بجهالته ؛ فإنّ للطاعة أعلاماً واضحة ، وسبلاً نيّرة ، ومحجّةً نَهْجةً ، وغاية مُطَّلَبة ، يَرِدُها الأكياس ، ويخالفها الأنكاس ؛ من نكب عنها جار عن الحقّ ، وخَبَط في التِّيْه ، وغَيَّرَ الله نعمته ، وأحلَّ به نِقْمَته . فنفسَك نفسَك ! فقد بيّن الله لك سبيلك . وحيث تناهت بك اُمورك فقد أجريت إلى غايةِ خُسْرٍ ومحلّةِ كفر ؛ فإنَّ نفسك قد أولجتك شرّاً ، وأقحمتك غيّاً ، وأوردتك المهالك ، وأوعرت عليك المسالك[2] .

**٢٤٠١ ـ عنه** عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ : أمّا بعد ، فإنّ الدنيا مَشْغَلة عن غيرها ، ولم يُصِبْ صاحبها منها شيئاً إلّا فتحت له حرصاً عليها ولَهَجاً بها ، ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها . ومن وراء ذلك فراق ما جمع ، ونقض ما

---

(١) وقعة صفّين : ١١٠ ؛ شرح نهج البلاغة : ١٥ / ٨٧ .

(٢) نهج البلاغة : الكتاب ٣٠ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٨٣ / ٣٩٩ .

أبرم! ولو اعتبرتَ بما مضى حفظتَ ما بقي. والسلام[1].

٢٤٠٢ ـ عنه عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: أمّا بعد؛ فإنّ الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها؛ ليعلم أيُّهم أحسنُ عملاً. ولسنا للدنيا خُلِقنا، ولا بالسعي فيها اُمِرنا، وإنّما وُضِعنا فيها لنبتلي بها، وقد ابتلاني الله بك، وابتلاك بي، فجعل أحدنا حجّة على الآخر، فعدوت على الدنيا بتأويل القرآن، فطلبتني بما لم تَجْنِ يدي ولا لساني، وعصيته أنت وأهل الشام بي وألَّبَ عالمُكم جاهلَكم، وقائمُكم قاعدَكم؛ فاتّقِ الله في نفسك، ونازِعِ الشيطان قيادك، واصرف إلى الآخرة وجهك؛ فهي طريقنا وطريقك. واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمسّ الأصل وتقطع الدابر؛ فإنّي اُولي لك بالله أَلِيّةً غيرَ فاجرة، لئن جمعتني وإيّاك جوامع الأقدار لا أزال بباحَتك ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾[2] [3].

٢٤٠٣ ـ عنه عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: أمّا بعد؛ فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عِيان الاُمور، فقد سلكتَ مدارجَ أسلافك بادّعائك الأباطيل، واقتحامك غرور المَينِ والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما قد اختُزِن دونك، فراراً من الحقّ، وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، ممّا قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك، فماذا بعد الحقّ إلّا الضلال المبين، وبعد البيان إلّا اللَّبْس.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٩، وقعة صفّين: ٤٩٨ نحوه وفي صدره «كتب عليّ إلى عمرو بن العاص» بدل «إلى معاوية»، بحار الأنوار: ٣٣ / ٤٨٣ / ٦٨٨.

(٢) الأعراف: ٨٧.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥٥، بحار الأنوار: ٣٣ / ١١٦ / ٤٠٩ وراجع المعيار والموازنة: ١٣٨.

فاحذر الشبهة واشتمالها على لُبْستها؛ فإنّ الفتنة طالما أغدفت جلابيبها وأغشت الأبصار ظلمتها. وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول، ضعفت قواها عن السِّلْم، وأساطير لم يحُكها منك علم ولا حلم، أصبحت منها كالخائض في الدَّهاس[1]، والخابط في الدِّيماس[2]، وترقّيت إلى مرقَبة بعيدة المرام، نازحة الأعلام، تقصر دونها الأنوق، ويحاذى بها العَيُّوق[3].

وحاشَ لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو وِرداً، أو أُجري لك على أحد منهم عقداً أو عهداً، فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها؛ فإنّك إن فرّطت حتى ينهدَ[4] إليك عباد الله أُرْتِجَتْ عليك الأمورُ، ومُنِعت أمراً هو منك اليوم مقبول. والسلام[5].

**٢٤٠٤ـ الأمالي للطوسي عن ثعلبة بن يزيد الحمّاني: كتب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان:**

أمّا بعد؛ فإنّ الله تعالى أنزل إلينا كتابه، ولم يدعنا في شبهة ولا عذر لمن ركب ذنباً بجهالة، والتوبة مبسوطة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[6] وأنت ممّن شرع

---

(١) الدهاس: من رواها بالكسر فهو جمع دَهْس، ومن قرأها بالفتح فهو مفرد، يقول: هذا دَهسٌ ودَهاس ـ بالفتح ـ للمكان السهل الذي لا يبلغ أن يكون رملاً، وليس هو بتراب ولا طين. (شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٦).

(٢) الدِّيْماس: السَّرَب المُظلم تحت الأرض (شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٦).

(٣) الأنُوقُ ـ كأكول ـ: طائر؛ وهو الرَّخَمَة، والعَيّوق كوكب معروف فوق زحل في العلو. وهذه أمثال ضَرَبها في بُعد معاوية عن الخلافة (شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٢٧).

(٤) أي ينهض. ونَهَدَ القوم لعدوّهم، إذا صمدوا له، وشرعوا في قتاله (النهاية: ٥ / ١٣٤).

(٥) نهج البلاغة: الكتاب ٦٥، بحار الأنوار: ٣٣ / ١١٨ / ٤١٠.

(٦) الأنعام: ١٦٤.

الخلاف متمادياً في غرّة الأمل مختلف السرّ والعلانية، رغبة في العاجل، وتكذيباً بعدُ بالآجل، وكأنّك قد تذكّرت ما مضى منك، فلم تجد إلى الرجوع سبيلاً[١].

## ١٦/٤
## نقد الإمام رأيه وفراسته في مكاتبة معاوية

**٢٤٠٥ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية ـ: أمّا بعد؛ فإنّي على التردّد في جوابك، والاستماع إلى كتابك؛ لَمُوَهِّنٌ رأيي، ومُخَطِّئٌ فِراستي. وإنّك إذ تحاولني الأمور، وتُراجعني السطور، كالمستثقل النائم؛ تَكذبه أحلامه. والمتحيّر القائم يبهظه مقامه. لا يدري أ لهُ ما يأتي أم عليه، ولستَ به، غيرَ أنّه بك شبيهٌ.

وأُقسم بالله إنّه لولا بعض الاستبقاء، لوصلت إليك منّي قوارع تقرع العظم، وتَهْلِس اللحم! واعلم أنّ الشيطان قد ثَبَّطك عن أن تُراجع أحسن أُمورك، وتأذن لمقال نصيحتك، والسلام لأهله[٢].

---

(١) الأمالي للطوسي: ٢١٧ / ٣٨١، بحار الأنوار: ٣٣ / ٧٥ / ٣٩٩؛ المعيار والموازنة: ١٠٢ نحوه.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٧٣، بحار الأنوار: ٣٣ / ١٢١ / ٤١١.

# أَهْدَافُ مُعَاوِيَةَ فِي حَرْبِ ٱلدِّعَايَةِ وَحِكْمَةُ أَجْوِبَةِ الإِمَامِ

تأمُّل الرسائل التي تبودلت بين الإمام ومعاوية أثناء الحرب الدعائيّة، وما ينطوي عليه جواب معاوية من جرأة ووقاحة؛ يفضي بالباحث إلى السؤال التالي: لماذا فتح الإمام باب المكاتبة وتبادل الكتب مع شخص مثل معاوية؟ ألم يكن الأفضل أن يهمل الإمام جواب معاوية ليكون بمنأى عن كلّ ذلك التعريض والبذاءة؟

يكتب ابن أبي الحديد بعد نقل شطر من الكتب التي جرت بين الإمام ومعاوية، ما نصّه: «قلت: وأعجب وأطرب ما جاء به الدهر ـ وإن كانت عجائبه وبدائعه جمّة ـ أن يُفضي أمر عليّ عليه السلام إلى أن يصير معاوية نِدّاً له ونظيراً مماثلاً، يتعارضان الكتاب والجواب، ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه، ولا يقول له علي عليه السلام كلمة إلّا قال مثلها، وأخشن مَسّاً منها، فليت محمّداً صلى الله عليه وآله كان شاهد ذلك! ليرى عياناً لا خبراً أنّ الدعوة التي قام بها، وقاسى أعظم المشاقّ في

تحمّلها، وكابد الأهوال في الذبّ عنها، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، وشيّد أركانها، وملأ الآفاق بها، خلَصت صفواً عفواً لأعدائه الذين كذّبوه، لمّا دعا إليها، وأخرجوه عن أوطانه لمّا حضَّ عليها، وأدموا وجهه، وقتلوا عمّه وأهله، فكأنّه كان يسعى لهم، ويدأب لراحتهم؛ كما قال أبو سفيان في أيّام عثمان، وقد مرَّ بقبر حمزة، وضربه برجله، وقال: يا أبا عُمارة! إنَّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعّبون به!

ثمّ آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية عليّاً، كما يتفاخر الأكفاء والنظراء!!

إذا عيّر الطائيَّ بالبخلِ مادِرٌ ... وقَرّعَ قُسّاً بالفَهاهة باقلُ

وقال السُّها للشمسِ: أنتِ خفيّةٌ ... وقال الدُّجَى: يا صبحُ لونُك حائلُ

وفاخَرتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً ... وكاثرتِ الشهبَ الحصا والجنادلُ

فيا موتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذميمةٌ ... ويا نفسِ جِدّي إنّ دهرَكِ هازلُ!

ثمّ أقول ثانياً لأمير المؤمنين عليه السلام: ليت شعري، لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معاوية؟! وإذا كانت الضرورة قد قادت إلى ذلك فهلّا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرّض للمفاخرة والمنافرة! وإذا كان لابدّ منهما فهلّا اكتفى بهما من غير تعرّض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله، وبأشدّ منه: ﴿وَلَاتَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] ... ولعلّه عليه السلام قد كان يظهر له من المصلحة حينئذٍ ما يغيب عنّا الآن، ولله أمر هو بالغه!»[2].

وحقيقة الأمر تؤول إلى ما ذكره ابن أبي الحديد نهاية كلامه بصيغة الاحتمال.

---

(١) الأنعام: ١٠٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ١٣٦.

فالشيء الجزمي أنّ الإمام لم يلج مضمار هذه الحرب الدعائيّة من دون حكمة، ولكي نتلمّس الحكمة من وراء مكاتبات الإمام يتحتّم أن نعرف في البدء طبيعة الأهداف التي كان يتوخاها معاوية من إطلاق الحرب الدعائيّة ضدّ الإمام.

## أهداف معاوية

قبل أن ندلف إلى تبيين الأهداف التي كان يصبو إليها معاوية من الحرب الدعائية، من الضروري أن نشير إلى أنّ الرسائل السياسيّة كانت تعدّ في ذلك العصر واحدة من أهمّ أدوات الحرب النفسيّة والدعائيّة. ففي ذلك العهد كانت وسائل الإعلام تقتصر على الخطب العامّة والرسائل، ومن الطبيعي أن يكون للرسائل فاعليّة إعلاميّة تفوق ما للخطابة. وربّما استطعنا أن نقارب التأثير الإعلامي للرسائل في ذلك العصر بما للصحافة المعاصرة من موقع في وقتنا الحاضر.

لقد بادر معاوية إلى شنّ حرب دعائيّة شاملة ضدَّ الإمام قبل أن تبدأ لحظة الاشتباك العسكري المباشر معه. فبالاستناد إلى مرتكزات نهجه السياسي رام معاوية من وراء حرب الدعاية هذه أن يهيّئ الأرضيّة الاجتماعيّة للالتحام العسكري المباشر، حيث وظّف في هذه الحرب آليّة الخطابة وآليّة الرسالة في الوقت ذاته.

لقد كان يبغي من وراء حربه الدعائيّة تحقيق عدد من الأهداف، هي:

### ١ ـ اتّهام الإمام بقتل عثمان

يركّز الشطر الأعظم من كتب معاوية إلى الإمام على هذا الموضوع. أمّا البواعث التي أملت على معاوية اتّهام الإمام بالتورّط بقتل عثمان، فقد تمثّلت ـ من جهة ـ بالطعن بأهليّة الإمام في تسنّم الخلافة، كما تحرّكت ـ من جهة ثانية ـ

باتّجاه تمهيد الأجواء للاصطدام العسكري المباشر معه بذريعة الطلب بدم عثمان، ومن ثمّ تهيئة المناخ اللازم لوصول معاوية نفسه إلى السلطة.

كثيرة هي الوثائق التأريخيّة التي تثبت صحّة هذا الادّعاء[1]. فقد انتهج معاوية هذه السياسة الشيطانيّة بوضوح حتى قبل مقتل عثمان، حينما تباطأ عن نصرته. وقد بلغ من شدّة جلاء هذا الأمر أنّ عثمان حينما رأى إهمال معاوية لمؤازرته برغم إصراره في أن يبعث إليه بقوّة تحميه في مقابل الثائرين؛ قال له صراحة: «أردت أن أُقتل فتقول: أنا وليّ الثأر»[2]!

**٢ ـ دفع الإمام للحديث ضدّ الخلفاء**

يعرف معاوية جيّداً أنّ عليّاً عليه السلام يعدّ نفسه هو الخليفة بلا فصل بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وأنّ الإمام يعتقد بأنّه قد أصابه الظلم في هذه الواقعة، ولذلك اعتصم بالمقاومة وامتنع عن بيعة أبي بكر ما كانت زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة النبي صلى الله عليه وآله على قيد الحياة. بيدَ أنّ الإمام لم يكن يرى من المصلحة أن يجهر بهذا الأمر، لما يفضي إليه ذلك من وقوع الفرقة في المجتمع الإسلامي، وتصدّع الكيان السياسي للمسلمين.

---

(١) قال البلاذري في أنساب الأشراف: بعث معاوية النعمان بن بشير الأنصاري وأبا هريرة الدوسي بعد أبي مسلم الخولاني إلى عليّ يدعوانه إلى أن يسلّم قتلة عثمان بن عفّان ليُقتلوا به فيصلح أمر الناس ويكفّ الحرب، وكان معاوية عالماً بأنّ عليّاً لا يفعل ذلك، ولكنّه أحبّ أن يشهد عليه عند أهل الشام بامتناعه من إسلام أُولئك والتبرّي منهم، فيشرع له أن يقول: إنّه قتله، فيزداد أهل الشام غيظاً عليه وحنقاً وبصيرةً في محاربته وعداوته. فلمّا صارا إليه فأبلغاه ما سأله معاوية امتنع من إجابتهما إلى شيء ممّا قدما له، فانصرف أبو هريرة إلى الشام، فأمره معاوية بأن يعلم الناس ما كان بينه وبين عليّ (أنساب الأشراف: ٣ / ٢٠٥).

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧٥.

وفي هذا الاتّجاه كانت إحدى أهداف معاوية من حربه الدعائيّة أن يدفع الإمام أمير المؤمنين ﷺ للتعريض بالخليفتين الأوّل والثاني، لكي يصيِّر ذلك ذريعة إلى محاصرته أمام الرأي العام وإحراجه، ووسيلة إلى بثّ الفرقة بين أنصاره وأتباعه.

يقول النقيب أبو جعفر بهذا الشأن: «كان معاوية يتسقّط علياً وينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر، وأنّهما غصباه حقّه، ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه، والرسالة يبعثها يطلب غِرّته، لينفث بما في صدره من حال أبي بكر وعمر، إمّا مكاتبة أو مراسلة، فيجعل ذلك حجّة عليه عند أهل الشام...

فكانت هذه الطامّة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه، بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره؛ لأنّهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين، إلّا القليل الشاذّ من خواصّ الشيعة»[1].

**٣ ـ التعريض بشموليّة بيعة الأُمّة للإمام**

اتّضح من مقدّمة القسم أنّ سعة بيعة عموم الناس للإمام هي واحدة من نقاط القوّة البارزة التي اقترنت مع بداية حكمه، إذ لم يحظَ أيّ من الخلفاء السابقين بمثل هذا الشمول. وما كان يرمي إليه معاوية في حربه الدعائيّة هو تشويه هذه النقطة والنيل من هذا المكسب، والإيحاء بأنّ عدم مبايعة أهل الشام للإمام هي دليل عدم شرعيّة خلافته.

**٤ ـ النيل من قداسة الإمام في الوجدان الشعبي**

لقد كان معاوية على دراية تامّة بأنّه لا يستطيع مواجهة الإمام والوقوف ضدّه

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥ / ١٨٤.

مع كلّ الرصيد الضخم الذي يحظى به أمير المؤمنين عليه السلام وما له من سابقة مشرقة في هذا الدين، إلّا بتهديم تلك القداسة في الأذهان والنيل من هالته في الوجدان الشعبي، عبر عمل دعائي مكثّف تتخلّله عناصر التضليل والخداع. وما الرسائل التي بعث بها للإمام إلّا خطوة في هذا الاتّجاه، ثمّ جاء سبّه من على المنابر استكمالاً لهذا النهج.

## حكمة أجوبة الإمام لمعاوية

والآن نتساءل: ما الذي كان سيقع لو أنّ الإمام تراجع في هذه الحرب الدعائيّة؟ وماذا لو لم يفتح باب المكاتبة مع معاوية بحسب تفكير ابن أبي الحديد؟ وماذا سيكون لو أهمل كلام معاوية وبرامجه على هذا الصعيد ولم يرد عليها؟ هل كان معاوية يختار الصمت مثلاً ويكفّ عن حربه الدعائية الشعواء ضدَّ الإمام؟

لا ريب أنّ سياسة السكوت في مقابل الأمواج الدعائيّة العاتية التي يبثّها معاوية كانت ستنتهي بضرر الإمام. فسكوت الإمام كان معناه تأييداً منه لكلّ تهم معاوية.

إنّه من السذاجة بمكان أن نتصوّر بأنّ الإمام لو لم يفتح باب المكاتبة مع معاوية، لما كان معاوية قد شرع بحربه الدعائيّة ضدّ الإمام أو أنّه كان ينثني عن إدامتها، بل الذي لا نشكّ فيه أنّ سكوت الإمام ـ لو حصل ـ كان يستتبع تصعيد وتيرة هذه الحرب وتأجيج نيرانها أكثر.

إنّ كتب الإمام وأجوبته لم تعمل على تعطيل الفعل الدعائي الماكر لمعاوية وحسب، بل تحوّلت إلى وثيقة في التأريخ تثبت أحقّية الإمام. فإضافةً إلى ما

بادر إليه الإمام من تنوير العقول وتبصير الناس وتوعيتها عبر هذه الرسائل ، فقد عمد فيها للدفاع عن نفسه على أحسن وجه[1] ، وأتمّ الحجّة على معاوية والمخدوعين من أتباعه . كما ترك للتأريخ ولمن يأتي بعده وثيقة حوت ما جرى بينه وبين معاوية . لقد التزم الإمام جانب الحذر بعمله بحيث لم يدع معاوية يحقّق أيّاً من الأهداف التي كان يصبو إليها من حربه الدعائيّة كما يريد .

## ٤ / ١٧

# كتاب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية

**٢٤٠٦ ـ وقعة صفّين عن عبد الله بن عوف بن الأحمر :** كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخر . سلام على أهل طاعة الله ممّن هو مسلم لأهل ولاية الله .

أمّا بعد ؛ فإنّ الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عَنَت[2] ولا ضعف في قوّته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ، ولكنّه خلقهم عبيداً ، وجعل منهم شقيّاً وسعيداً ، وغويّاً ورشيداً ، ثمّ اختارهم على علمه ، فاصطفى وانتخب منهم محمّداً صلى الله عليه وآله ؛ فاختصّه برسالته ، واختاره لوحيه ، وائتمنه على أمره ، وبعثه رسولاً مصدّقاً لما بين يديه من الكتب ، ودليلاً على الشرائع ، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ فكان أوّل من أجاب وأناب ، وصدق ووافق ، وأسلم وسلّم ـ أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فصدّقه بالغيب المكتوم ،

---

(١) لقد دار كثير من كلام الإمام في الحرب الدعائيّة هذه حول إثبات فضائله .

(٢) أي مشقّة (النهاية : ٣ / ٣٠٦) .

وآثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذّلاً لنفسه في ساعات الأزْل[1] ومقامات الروع، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله.

و قد رأيتك تساميه وأنت أنت!! وهو هو المبرّز السابق في كلّ خير، أوّل الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيّة، وأطيب الناس ذرّيّة، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عمّ. وأنت اللعين ابن اللعين.

ثمّ لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتخالفان فيه القبائل؛ على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خَلَفْته.

والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ.

والشاهد لعليّ ـ مع فضله المبين، وسبقه القديم ـ أنصاره الذين ذُكروا بفضلهم في القرآن، فأثنى الله عليهم، من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون بأسيافهم، ويُهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتّباعه، والشقاء في خلافه.

فكيف ـ يا لك الويل!! ـ تعدل نفسك بعليّ، وهو وارث رسول الله ﷺ، ووصيّه، وأبو ولده، وأوّل الناس له اتّباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه، ويشركه في أمره، وأنت عدّوه وابن عدّوه؟! فتمتّع ما استطعت بباطلك، وليمدد لك ابن العاص في غوايتك، فكأنّ أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى. وسوف

---

(١) الأزْل: الشّدّة والضيق (النهاية: ١ / ٤٦).

يستبين لمن تكون العاقبة العليا.

و اعلم أنّك إنّما تكايد ربّك الذي قد أمنت كيده، وأيست من رَوْحه[1]. وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، وبالله وأهل رسوله عنك الغَناء، والسلام على من اتّبع الهدى[2].

## ٤ / ١٨

## جواب معاوية عنه

**٢٤٠٧ ـ وقعة صفّين عن عبد الله بن عوف بن الأحمر: فكتب إليه معاوية:**

بسم الله الرحمن الرحيم. من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمّد ابن أبي بكر. سلام على أهل طاعة الله.

أمّا بعد؛ فقد أتاني كتابك، تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نبيّه، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف.

ذكرت حقّ ابن أبي طالب، وقديم سوابقه وقرابته من نبيّ الله صلّى الله عليه، ونصرته له، ومواساته إيّاه في كلّ خوف وهول، واحتجاجك عليَّ بفضل غيرك بفضلك. فأحمد إلهاً صرف الفضل عنك، وجعله لغيرك.

وقد كنّا وأبوك معنا في حياة من نبيّنا صلّى الله عليه نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجّته. قبضه الله إليه، فكان أبوك

---

(١) رَوْح الله: رحمته (لسان العرب: ٢ / ٤٥٩).

(٢) وقعة صفّين: ١١٨، الاحتجاج: ١ / ٤٣٤ / ٩٧، الاختصاص: ١٢٤ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ٣٣ / ٥٧٥ / ٧٢٣؛ شرح نهج البلاغة: ٣ / ١٨٨ نحوه.

وفاروقه أوّل من ابتزّه وخالفه ؛ على ذلك اتّفقا واتّسقا ، ثمّ دعواه إلى أنفسهم ؛ فأبطأ عنهما ، وتلكّأ عليهما ؛ فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم ؛ فبايع وسلّم لهما ؛ لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرّهما ، حتى قُبِضا وانقضى أمرهما .

ثمّ قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان ، يهتدي بهديهما ، ويسير بسيرتهما ، فعبته أنت وصاحبك ، حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي ، وبطنتما له وأظهرتما ، وكشفتما عداوتكما وغلّكما ، حتى بلغتما منه مُناكما .

فخُذْ حِذْرك يابن أبي بكر ! فسترى وبال أمرك . وقِسْ شبرك بفِترك[١] تقصر عن أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه ، ولا تلين على قَسْرٍ قناتُه ، ولا يدرك ذو مدىً أناتَه . أبوك مهَّدَ مهادَه ، وبنى ملكه وشاده ، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله ، وإن يك جوراً فأبوك أَسَسُه . ونحن شركاؤه ، وبهديه أخذنا ، وبفعله اقتدينا . ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له ، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله ، واقتدينا بفعاله . فعِب أباك ما بدا لك أو دَعْ ، والسلام على من أناب ، ورجع عن غوايته وتاب[٢] .

---

(١) الفِتْر : مابين طرف الإبهام وطرف السبّابة (لسان العرب : ٥ / ٤٤).

(٢) وقعة صفّين : ١١٩ ، الاحتجاج : ١ / ٤٣٦ / ٩٨ ، الاختصاص : ١٢٦ كلاهما نحوه ، بحار الأنوار : ٣ / ٥٧٩ / ٧٢٤ ؛ شرح نهج البلاغة : ٣ / ١٨٩ .

# الفَصلُ الخامِسُ

# تهيّؤ معاوية للحرب

## ١/٥

## إشارة عمرو بن العاص

**٢٤٠٨ـ** شرح نهج البلاغة ـفي شرح كلامه عليه السلام في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة ، حيث أمر عليه السلام بردّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مالٍ أعطاه من بيت المال ـ : قال الكلبي : ثمّ أمر عليه السلام بكلّ سلاح وُجِد لعثمان في داره مما تقوّى به على المسلمين فقُبض ، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقُبضت ، وأمر بقبض سيفه ودرعه ، وأمر ألّا يعرض لسلاح وُجِد له لم يقاتل به المسلمون ، وبالكفّ عن جميع أمواله التي وُجِدت في داره وفي غير داره ، وأمر أن تُرتجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أُصيبت أو أُصيب أصحابها .

فبلغ ذلك عمرو بن العاص وكان بأيلة من أرض الشام ، أتاها حيث وثب الناس على عثمان فنزلها فكتب إلى معاوية : ما كنت صانعاً فاصنع . إذ قَشَرَك ابن

أبي طالب من كلّ مال تملكه كما تُقشَر عن العصا لِحاها[1].

## ٥ / ٢

## الاستعانة بعمرو بن العاص

**٢٤٠٩ ـ وقعة صفّين عن عمر بن سعد ومحمّد بن عبيد الله:** كتب معاوية إلى عمرو وهو بالبيع من فلسطين: أمّا بعد؛ فإنّه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك. وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة، وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني. أقبل أُذاكرك أمراً.

فلما قرئ الكتاب على عمرو استشار ابنيه عبد الله ومحمّداً فقال: ابنيَّ، ما تريان؟

فقال عبد الله: أرى أنّ نبيّ الله ﷺ قُبض وهو عنك راضٍ، والخليفتان من بعده، وقُتل عثمان وأنت عنه غائب. فقرَّ في منزلك فلست مجعولاً خليفة، ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة، أوشك أن تهلك فتشقى فيها.

وقال محمّد: أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها، وإن تصرّم هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك. فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أياديها، واطلب بدم عثمان، فإنّك قد استنمت فيه إلى بني أُميّة.

فقال عمرو: أمّا أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأمّا أنت يا محمّد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي، وأنا ناظر فيه[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٧٠.

(٢) وقعة صفّين: ٣٤، بحار الأنوار: ٣٢ / ٣٧٠؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٦١.

## ٣/٥

## وعد المؤازرة المشروطة

**٢٤١٠ـ تاريخ الطبري:** خرج عمرو بن العاص ومعه ابناه حتى قدم على معاوية، فوجد أهل الشام يحضّون معاوية على الطلب بدم عثمان، فقال عمرو بن العاص: أنتم على الحقّ، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم. ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو[1].

**٢٤١١ـ تاريخ اليعقوبي ـ في ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية وبيعته له ـ:** فقدم على معاوية، فذاكره أمره، فقال له: أمّا عليّ، فوالله، لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء، وإنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش إلّا أن تظلمه.

قال: صدقت، ولكنّا نقاتله على ما في أيدينا، ونلزمه قتل عثمان.

قال عمرو: واسوءتاه! إنّ أحقّ الناس ألّا يذكر عثمان لا أنا ولا أنت.

قال: ولِمَ ويحك؟

قال: أمّا أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي، فسار إليه؛ وأمّا أنا فتركته عياناً، وهربت إلى فلسطين.

فقال معاوية: دعني من هذا مدّ يدك فبايعني!

قال: لا، لعمر الله، لا أُعطيك ديني حتى آخذ من دنياك.

قال له معاوية: لك مصر طعمة، فغضب مروان بن الحكم، وقال: ما لي لا أُستشار؟

---

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٥٨.

فقال معاوية : اسكت ، فانما يستشار بك .

فقال له معاوية : يا أبا عبد الله ، بت عندنا الليلة . وكره أن يُفسد عليه الناس ، فبات عمرو ، وهو يقول :

مُعاوِيَ لا أعطيكَ ديني، ولم أنل ... به منك دنيا، فانظُرَن كيف تصنعُ

فإن تُعطني مِصراً فأربح بصفقة ... أخذتَ بها شيخاً يضرّ وينفعُ

وَما الدينُ والدنيا سواءٌ، وإنّني ... لآخذ ما أُعطى، ورأسي مُقنعُ

ولكنّني أُعطيك هذا، وإنني ... لأخدع نفسي، والمخادع يُخدعُ

أأُعطيك أمراً فيه للملك قوّةٌ ... وأبقى له، إن زلّت النعل أُخدعُ؟

وتمنعُني مِصراً، وليست برغبة ... وإنّ ثرى القَنُوع يوماً لَمُولَعُ

فكتب له بمصر شرطاً ، وأشهد له شهوداً ، وختم الشرط ، وبايعه عمرو ، وتعاهدا على الوفاء[1] .

**٢٤١٢ ـ سير أعلام النبلاء عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الواحد بن أبي عون** : لمّا صار الأمر في يد معاوية ، استكثر مصر طعمة لعمرو ما عاش ، ورأى عمرو أنّ الأمر كلّه قد صلح به وبتدبيره ، وظنّ أنّ معاوية سيزيده الشام ، فلم يفعل ، فتنكّر له عمرو . فاختلفا وتغالظا ، فأصلح بينهما معاوية بن حديج ، وكتب بينهما كتاباً بأنّ : لعمرو ولاية مصر سبع سنين ، وأشهد عليهما شهوداً ، وسار عمرو إلى مصر سنة تسع وثلاثين ، فمكث نحو ثلاث سنين ، ومات[2] .

**٢٤١٣ ـ الإمام عليّ عليه السلام ـ في ذكر عمرو بن العاص ـ** : إنّه لم يبايع معاوية حتى

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٨٦ وراجع وقعة صفّين : ٣٨ وتاريخ دمشق : ٤٦ / ١٧٠ والعقد الفريد : ٣ / ٣٣٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٣ / ٧٣ / ١٥ .

شرط أن يؤتيه أتيّة، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة[١].

راجع: أهداف معاوية في حرب الدعاية وحكمة أجوبة الإمام.

## ٤/٥

## استغلال قميص عثمان

**٢٤١٤ـ تاريخ الطبري عن محمّد وطلحة:** كان أهل الشام لمّا قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضّباً بدمه، وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم؛ إصبعان منها، وشيء من الكفّ، وإصبعان مقطوعتان من أُصولهما، ونصف الإبهام، وضع معاوية القميص على المنبر، وكتب بالخبر إلى الأجناد.

وثاب إليه الناس، وبكوا سنة[٢] وهو على المنبر والأصابع معلّقة فيه، وآلى الرجال من أهل الشام ألّا يأتوا النساء، ولا يمسّهم الماء للغسل إلّا من احتلام، ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم. فمكثوا حول القميص سنة، والقميص يوضع كلّ يوم على المنبر ويجلّله أحياناً فيلبسه، وعلّق في أردانه أصابع نائلة[٣].

**٢٤١٥ـ وقعة صفّين عن عمر بن سعد:** لمّا بلغ معاوية بن أبي سفيان مكان عليّ ﷺ بالنخيلة ومعسكره بها ـ ومعاوية بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان ـ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٤، الاحتجاج: ١/ ٤٣٤/ ٩٦، شرح المائة كلمة: ١٦٢، بحار الأنوار: ٣٣/ ٢٢١/ ٥٠٩.

(٢) في الكامل في التاريخ: «فبكوا على القميص مدّة»، وهو الأصحّ.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/ ٥٦٢، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٥٩ نحوه وراجع البداية والنهاية: ٧/ ٢٢٨.

وهو مخضّب بالدم، وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله لا تجفّ دموعهم على عثمان ـ خطب معاوية أهل الشام فقال:

يا أهل الشام! قد كنتم تكذّبوني في عليّ، وقد استبان لكم أمره، والله، ما قتل خليفتكم غيره، وهو أمر بقتله، وألّب الناس عليه، وآوى قتلته، وهم جنده وأنصاره وأعوانه، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لإبادتكم.

يا أهل الشام! اللهَ اللهَ في عثمان! فأنا وليّ عثمان وأحقّ من طلب بدمه، وقد جعل الله لوليّ المظلوم سلطاناً، فانصروا خليفتكم المظلوم؛ فقد صنع به القوم ما تعلمون، قتلوه ظلماً وبغياً، وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله. ثمّ نزل[1].

راجع: أهداف معاوية في حرب الدعاية وحكمة أجوبة الإمام.

## ٥ / ٥

# المصالحة مع الروم

٢٤١٦ ـ تاريخ الطبري عن حرملة بن عمران: أتى معاوية في ليلة أنّ قيصر قصد له في الناس، وأنّ ناتل بن قيس الجذامي غلب فلسطين وأخذ بيت مالها، وأنّ المصريّين الذين كان سجنهم هربوا، وأنّ علي بن أبي طالب قصد له في الناس، فقال لمؤذّنه: أذّن هذه الساعة، ـ وذلك نصف الليل ـ فجاءه عمرو بن العاص فقال: لِمَ أرسلتَ إليَّ؟ قال: أنا ما أرسلتُ إليك، قال: ما أذّن المؤذّن هذه الساعة إلّا من أجلي، قال: رُميتُ بالقِسيّ الأربع! قال عمرو: أمّا هؤلاء الذين خرجوا من سجنك، فإنهم إن خرجوا من سجنك فهم في سجن الله عزّوجلّ وهم قوم شُراة لا رحلة بهم، فاجعل لمن أتاك برجل منهم أو برأسه ديته فإنّك ستؤتى بهم،

---

(١) وقعة صفّين: ١٢٧ وراجع البداية والنهاية: ٧ / ٢٣٠.

وانظر قيصر فوادعه وأعطه مالاً وحُللاً من حُلل مصر فإنّه سيرضى منك بذاك، وانظر ناتل بن قيس فلعمري ما أغضبه الدين ولا أراد إلّا ما أصاب، فاكتب إليه وهب له ذلك وهنّئه إيّاه، فإن كانت لك قدرة عليه وإن لم تكن لك فلا تأس عليه، واجعل حدّك وحديدَك لهذا الذي عنده دُم ابن عمّك[١].

٢٤١٧ ـ مروج الذهب: قدكان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله إليه لشغله بعليّ[٢].

## ٥ / ٦

## الاستنصار من مكّة والمدينة

٢٤١٨ ـ وقعة صفّين عن صالح بن صدقة: لمّا أراد معاوية السير إلى صفّين قال لعمرو بن العاص: إنّي قد رأيت أن نُلقي إلى أهل مكّة وأهل المدينة كتاباً نذكر لهم فيه أمر عثمان، فإمّا أن ندرك حاجتنا، وإمّا أن يكفّ القوم عنّا.

قال عمرو: إنّما نكتب إلى ثلاثة نفر: راضٍ بعليّ فلا يزيده ذلك إلّا بصيرة، أو رجلٍ يهوى عثمان فلن نزيده على ما هو عليه، أو رجلٍ معتزل فلست بأوثق في نفسه من عليّ. قال: عليَّ ذلك. فكتبا: أمّا بعد؛ فإنّه مهما غابت عنا من الأُمور فلن يغيب عنا أنّ عليّاً قتل عثمان، والدليل على ذلك مكان قَتلته منه. وإنّما نطلب بدمه حتى يدفعوا إلينا قَتلته فنقتلهم بكتاب الله، فإن دفعهم عليٌّ إلينا كففنا عنه، وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب. وأمّا الخلافة فلسنا نطلبها، فأعينونا على أمرنا هذا وانهضوا من ناحيتكم، فإنّ أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد، هاب عليٌّ ما هو فيه.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٣٣.

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٣٨٧.

فكتب إليهما عبد الله بن عمر : أمّا بعد فلعمري لقد أخطأتما موضع البصيرة ، وتناولتُماها من مكان بعيد ، وما زاد الله من شاكٍّ في هذا الأمر بكتابكما إلّا شكّاً . وما أنتما والخلافة ؟ وأمّا أنت يا معاوية فطليق ، وأمّا أنت يا عمرو فظنون . ألا فكفّا عنّي أنفسكما ، فليس لكما ولا لي نصير .

وكتب رجل من الأنصار مع كتاب عبد الله بن عمر :

مُعاوِيَ إنّ الحقّ أبلجُ واضحٌ     وليس بما ربّصتَ أنت ولا عمرو[١].

٢٤١٩ـ وقعة صفّين عن زياد بن رستم :كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن عمر بن الخطّاب خاصّة ، وإلى سعد بن أبي وقاص ، ومحمّد بن مسلمة ، دون كتابه إلى أهل المدينة ، فكان في كتابه إلى ابن عمر :

أمّا بعد ؛ فإنّه لم يكن أحد من قريش أحبّ إليّ أن يجتمع عليه الأُمّة بعد قتل عثمان منك . ثمّ ذكرت خذلك إيّاه وطعنك على أنصاره فتغيّرت لك ، وقد هوّن ذلك عليَّ خلافُك على عليّ ، ومحا عنك بعض ما كان منك ، فأعنّا ـ رحمك الله ـ على حقّ هذا الخليفة المظلوم ، فإنّي لست أُريد الإمارة عليك ، ولكنّي أُريدها لك ، فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين[٢].

## ٥ / ٧

# إعلان الحرب

٢٤٢٠ـ وقعة صفّين عن محمّد وصالح بن صدقة :كتب عليّ عليه السلام إلى جرير [رسوله إلى معاوية] بعد ذلك :

---

(١) وقعة صفّين : ٦٢ ؛ شرح نهج البلاغة : ٣ / ١٠٩ .

(٢) وقعة صفّين : ٧١ ؛ شرح نهج البلاغة : ٣ / ١١٣ .

أمّا بعد؛ فإذا أتاك كتابي هذا، فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثمّ خيّره بين حرب مجلية، أو سلم محظية، فإن اختار الحرب فانبذ له، وإن اختار السلم فخذ بيعته.

فلمّا انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب، فقال له: يا معاوية، إنّه لا يُطبع على قلب إلّا بذنب، ولا يُشرح صدر إلّا بتوبة، ولا أظنّ قلبك إلّا مطبوعاً. أراك قد وقفت بين الحقّ والباطل كأنّك تنتظر شيئاً في يدي غيرك. فقال معاوية: ألقاك بالفيصل أوّل مجلس إن شاء الله. فلمّا بايع معاوية أهل الشام وذاقهم قال: يا جرير! الحق بصاحبك. وكتب إليه بالحرب، وكتب في أسفل كتابه بقول كعب بن جعيل:

أرى الشامَ تكره مُلكَ العراقِ — وأهلُ العراقِ لها كارهونا

وكلٌّ لصاحبه مُبغضٌ — يرى كلّ ما كان من ذاك دينا[1]

---

(١) وقعة صفّين: ٥٥، نهج البلاغة: الكتاب ٨ وفيه إلى «فخذ بيعته» وفيه «مخزية» بدل «محظية»؛ تاريخ دمشق: ٥٩ / ١٣٥، شرح نهج البلاغة: ٨٧/٣ كلاهما نحوه وراجع جواهر المطالب: ٣٧١/١.



# الفَصْلُ السَّادِسُ

# مَسِيرُ الإِمَامِ إِلَى صِفِّينَ

## ٦ / ١

## استشارة الإمام في المسير إلى صفّين

٢٤٢١ ـ تاريخ الطبري عن أبي بكر الهذلي : إنّ عليّاً لمّا استخلف عبد الله بن عبّاس على البصرة سار منها إلى الكوفة فتهيّأ فيها إلى صفّين ، فاستشار النـاس في ذلك فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم وأشار آخرون بالمسير ، فأبى إلّا المباشرة فجهّز الناس . فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص فاستشاره فقال : أمّا إذ بلغك أنّه يسير فسر بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك . قال : أمّا إذاً يا أبا عبد الله فجهّز الناس . فجاء عمرو فحضّض الناس وضـعّف عـليّاً وأصـحابه وقال : إنّ أهل العراق قد فرّقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم وفلوا حدّهم ، ثمّ إنّ أهل البصرة مخالفون لعليّ قد وترهم وقتلهم ، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهـل الكوفة يوم الجمل ، وإنما سار في شرذمة قليلة ، ومنهم من قد قتل خليفتكم ، فالله

اللهَ في حقّكم أن تضيّعوه وفي دمكم أن تُبطلوه[١].

راجع: السياسة العلوية / أصحاب الإمام يشيرون عليه بالاستعداد للحرب.

## ٦ / ٢

## خطبة الإمام قبل الشخوص

٢٤٢٢ ـ وقعة صفّين عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود: لمّا أراد عليّ عليه السلام الشخوص من النخيلة، قام في الناس ـ لخمس مضين من شوال يوم الأربعاء ـ فقال:

الحمد لله غير مفقود النعم، ولا مكافأِ الإفضال، وأشهد ألّا إله إلّا الله ونحن على ذلكم من الشاهدين، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله.

أمّا بعد ذلكم؛ فإنّي قد بعثت مقدّماتي، وأمرتهم بلزوم هذا المِلطاط[٢]، حتى يأتيهم أمري، فقد أردت أن أقطع هذه النُّطفة[٣] إلى شرذمة منكم مُوطّنين بأكناف[٤] دجلة، فأُنهضهم معكم إلى أعداء الله إن شاء الله، وقد أمّرت على المصر عقبة بن عمرو الأنصاري، ولم آلُكم ولا نفسي، فإيّاكم والتخلّف والتربّص؛ فإنّي قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعي، وأمرته ألّا يترك متخلّفاً إلّا ألحقه بكم

---

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٣.

(٢) قال الشريف الرضي: يعني عليه السلام بالمِلْطاط هاهنا: السَّمْت الذي أمرهم بلزومه؛ وهو شاطئ الفرات، ويقال ذلك أيضاً لشاطئ البحر، وأصله ما استوى من الأرض (نهج البلاغة: ذيل الخطبة ٤٨).

(٣) قال الشريف الرضي: ويعني بالنُّطفة: ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وعجيبها (نهج البلاغة: ذيل الخطبة ٤٨).

(٤) أكناف: الكَنَفُ: ناحية الشيء، وناحيتا كلِّ شيء كنفاه، والجمع أكناف (لسان العرب: ٩ / ٣٠٨).

عاجلاً إن شاء الله.

فقام اليه معقل بن قيس الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين! والله لا يتخلّف عنك إلّا ظنين، ولا يتربص بك إلّا منافق. فأْمُر مالك بن حبيب أن يضرب أعناق المتخلّفين.

قال عليّ عليه السلام: قد أمرته بأمري، وليس مقصّراً في أمري إن شاء الله.

وأراد قوم أن يتكلّموا فدعا بدابّته فجاءته، فلمّا أراد أن يركب وضع رجله في الركاب وقال: «بسم الله». فلما جلس على ظهرها قال: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[1]. ثمّ قال: اللهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحيرة بعد اليقين، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد. اللهمّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، ولا يجمعهما غيرك؛ لأنّ المستخلَف لا يكون مستصحَباً، والمستصحَب لا يكون مستخلَفاً[2].

**٢٤٢٣ ـ الأخبار الطوال**: لمّا أجمع عليّ عليه السلام على المسير إلى أهل الشام، وحضرت الجمعة، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قال:

أيّها الناس! سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار، سيروا إلى الجفاة الطغام الذين كان إسلامهم خوفاً وكرهاً، سيروا إلى المؤلّفة قلوبهم ليكفّوا عن المسلمين بأسهم[3].

**٢٤٢٤ ـ الإمام عليّ عليه السلام** ـ من خطبة له عند المسير إلى الشام، وقيل: هو بالنخيلة

---

(١) الزخرف: ١٣ و ١٤.

(٢) وقعة صفّين: ١٣١.

(٣) الأخبار الطوال: ١٦٤ وراجع الفتوح: ٢ / ٥٥٠ ووقعة صفّين: ٩٤.

خارجاً من الكوفة إلى صفّين ـ : الحمد لله كلّما وقبَ ليلٌ وغسقَ ، والحمد لله كلّما لاحَ نجمٌ وخفقَ ، والحمد لله غير مفقود الإنعام ، ولا مكافأِ الإفضال .

أمّا بعد ؛ فقد بعثت مقدّمتي ، وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط ، حتى يأتيهم أمري ، وقد رأيت أن أقطع هذه النطفة إلى شرذمة منكم ، مُوطّنين أكناف دجلة ، فأُنهضهم معكم إلى عدوّكم ، وأجعلهم من أمداد القوّة لكم(١) .

## ٦ / ٣

## ردّ الشمس بدعاء الإمام

٢٤٢٥ ـ وقعة صفّين عن ابن مخنف : إنّي لأنظر إلى أبي ، مخنف بن سُليم وهو يساير عليّاً ببابل ، وهو يقول : إنّ ببابل أرضاً قد خُسِف بها ، فحرّك دابتك لعلّنا أن نصلّي العصر خارجاً منها .

فحرّك دابته وحرّك الناس دوابّهم في أثره ، فلمّا جاز جسر الصراة نزل فصلّى بالناس العصر .

[و] عن عبد خير : كنت مع عليّ أسير في أرض بابل . وحضرت الصلاة صلاة العصر . فجعلنا لا نأتي مكاناً إلّا رأيناه أفيح(٢) من الآخر ، حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا ، وقد كادت الشمس أن تغيب . فنزل عليٌّ ونزلت معه ، فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر ، فصلّينا العصر ، ثمّ غابت الشمس(٣) .

راجع: القسم الثالث عشر / ردّ الشمس له / ردّ الشمس أيّام إمارة الإمام.

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٤٨ وراجع وقعة صفّين : ١٣٤ .

(٢) كلّ موضع واسع يقال له : أفيَح (النهاية : ٣ / ٤٨٤) .

(٣) وقعة صفّين : ١٣٥ وراجع تهذيب التهذيب : ٣ / ٢٣٧ / ٤١٤٤ .

## ٦ / ٤

## بكاءُ الإمام لمّا وصل إلى كربلاء

**٢٤٢٦ ـ وقعة صفّين عن الحسن بن كثير عن أبيه:** إنّ عليّاً أتى كربلاء فوقف بها، فقيل: يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء.

قال: ذات كربٍ وبلاء.

ثمّ أومأ بيده إلى مكان فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومُناخ ركابهم.

وأومأ بيده إلى موضع آخر فقال: هاهنا مُهراق دمائهم[1].

**٢٤٢٧ ـ الفتوح:** سار [عليّ ﷺ] حتى نزل بدير كعب فأقام هنالك باقي يومه وليلته. وأصبح سائراً حتى نزل بكربلاء، ثمّ نظر إلى شاطئ الفرات وأبصر هنالك نخيلاً فقال:

يابن عبّاس! أتعرف هذا الموضع؟

فقال: لا يا أمير المؤمنين! ما أعرفه.

فقال: أما إنّك لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجاوزه حتى تبكي لبكائي.

قال: ثمّ بكى عليّ ﷺ بكاءً شديداً، حتى اخضلّت لحيته بدموعه وسالت الدموع على صدره، ثمّ جعل يقول:

اواه! مالي ولآل أبي سفيان! ثمّ التفت إلى الحسين ﷺ فقال: اِصبر أبا عبد الله! فلقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى من بعدي.

---

(١) وقعة صفّين: ١٤٢، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٢٠ وج ٤١ / ٣٣٩ / ٥٨؛ شرح نهج البلاغة: ٣ / ١٧١ وراجع الإرشاد: ١ / ٣٣٢ وخصائص الأئمّة ﷺ: ٤٧.

قال: ثمّ جعل علي ﷺ يجول في أرض كربلاء كأنّه يطلب شيئاً، ثمّ نزل ودعا بماء فتوضّأ وضوء الصلاة، ثمّ قام فصلّى ما شاء أن يصلّي والناس قد نزلوا هنالك من قرب نينوى[1] إلى شاطئ الفرات. قال: ثمّ خفق برأسه خفقة فنام وانتبه فزعاً فقال:

يابن عبّاس! ألا أُحدّثك بما رأيت الساعة في منامي؟

فقال: بلى يا أمير المؤمنين!

فقال: رأيت رجالاً بيض الوجوه، في أيديهم أعلام بيض، وهم متقلّدون بسيوف لهم، فخطّوا حول هذه الأرض خطّة، ثمّ رأيت هذه النخيل وقد ضربت بسعفها الأرض، ورأيت نهراً يجري بالدم العَبيط، ورأيت ابني الحسين وقد غرق في ذلك الدم وهو يستغيث فلا يغاث، ثمّ إنّي رأيت أُولئك الرجال البيض الوجوه الذين نزلوا من السماء وهم ينادون: صبراً آل الرسول صبراً! فإنّكم تُقتلون على أيدي أشرار الناس، وهذه الجنّة مشتاقة إليك يا أبا عبد الله! ثمّ تقدّموا إليّ فعزّوني وقالوا: أبشر يا أبا الحسن! فقد أقرّ الله عينك بابنك الحسين غداً يوم يقوم الناس لربّ العالمين. ثمّ إنّي انتبهت؛ فهذا ما رأيت، فوَالذي نفس عليّ بيده! لقد حدّثني الصادق المصدوق أبو القاسم ﷺ أنّي سأرى هذه الرؤيا بعينها في خروجي إلى قتال أهل البغي علينا، وهذه أرض كربلاء الذي يُدفن فيها ابني الحسين وشيعته وجماعة من ولد فاطمة بنت محمّد ﷺ، وأنّ هذه البقعة المعروفة في أهل السماوات تذكر بأرض كربٍ وبلاء، وليُحشرنّ منها قوم يدخلون الجنّة

---

(١) نِيْنَوى: ناحية بسواد الكوفة إلى جانب نهر دجلة، منها كربلاء التي قتل بها الحسين ﷺ (راجع معجم البلدان: ٥ / ٣٣٩).

بلا حساب[١].

راجع: القسم الثالث عشر / إخباره بالأمور الغيبيّة / استشهاد الحسين في كربلاء.

## ٦ / ٥

# مرور الجيش بالمدائن

**٢٤٢٨ ـ وقعة صفّين عن عمر بن سعد:** ثمّ مضى نحو ساباط[٢] حتى انتهى إلى مدينة بهرسير[٣]، وإذا رجل من أصحابه يقال له حرّ بن سهم بن طريف من بني ربيعة بن مالك، ينظر إلى آثار كسرى، وهو يتمثّل قول ابن يعفر التميمي:

جرتِ الرياحُ على مكان ديارِهم ... فكأنّما كانوا على ميعاد

فقال عليّ: أفلا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾[٤]؟ إنّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، إنّ هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية. إيّاكم وكفر النعم لا تحلّ بكم النِّقم. ثمّ قال: انزلوا بهذه النَّجوة[٥][٦].

---

(١) الفتوح: ٢ / ٥٥١ وراجع وقعة صفّين: ١٤٠.

(٢) سَابَاط: موضع في العراق معروف قرب المدائن وبهرسير، يعرف بساباط كِسرى (راجع معجم البلدان: ٣ / ١٦٦).

(٣) بَهُرَسِير: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن وساباط (معجم البلدان: ١ / ٥١٥).

(٤) الدخان: ٢٥ ـ ٢٩.

(٥) النَّجوة: هو ما ارتفع من الأرض (النهاية: ٥ / ٢٦).

(٦) وقعة صفّين: ١٤٢، كنز الفوائد: ١ / ٣١٥ نحوه إلى نهاية الآية، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٢٢؛ شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢٠٢، المعيار والموازنة: ١٣٢، كنز العمّال: ١٦ / ٢٠٤ / ٤٤٢٢٨ نقلاً عن ابن أبي الدنيا وتاريخ بغداد وكلاهما نحوه.

٢٤٢٩ ـ وقعة صفّين عن الأصبغ بن نباتة: إنّ رجلاً سأل عليّاً بالمدائن عن وضوء رسول الله عليه الصلاة والسلام، فدعا بمِخْضَبٍ[1] من بِرامٍ قد نَصَفَه الماء. قال عليّ: مَن السائل عن وضوء رسول الله ﷺ؟

فقام الرجل، فتوضّأ عليٌّ ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه واحدة، وقال: هكذا رأيت رسول الله يتوضّأ[2].

٢٤٣٠ ـ وقعة صفّين عن حَبّة العُرَني: أمر عليّ بن أبي طالب الحارث الأعور فصاح في أهل المدائن: من كان من المقاتلة فليوافِ أمير المؤمنين صلاة العصر. فوافوه في تلك الساعة، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أمّا بعد فإنّي قد تعجبت من تخلّفكم عن دعوتكم، وانقطاعكم عن أهل مصركم في هذه المساكن الظالم أهلُها، والهالك أكثر سكانها، لا معروفاً تأمرون به، ولا منكراً تنهون عنه.

قالوا: يا أمير المؤمنين! إنّا كنّا ننتظر أمرك ورأيك، مُرنا بما أحببت.

فسار وخلّف عليهم عديّ بن حاتم، فأقام عليهم ثلاثاً ثمّ خرج في ثمانمائة، وخلّف ابنه يزيد فلحقه في أربعمائة رجل منهم، ثمّ لحق عليّاً[3].

## ٦ / ٦
## مرور الجيش بالأنبار

٢٤٣١ ـ وقعة صفّين عن حبّة العُرَني: وجاء عليّ حتى مرّ بالأنبار، فاستقبله

---

(١) المِخضَب: هي إجّانةٌ تُغْسَلُ فيها الثياب (النهاية: ٢ / ٣٩).

(٢) وقعة صفّين: ١٤٦.

(٣) وقعة صفّين: ١٤٣، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٢٣؛ شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢٠٣ وليس فيه «ثمّ لحق عليّاً».

بنو خُشنوشك[١] دهاقنتها. فلما استقبلوه نزلوا ثمّ جاؤوا يشتدّون معه قال: ما هذه الدوابّ التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟

قالوا: أمّا هذا الذي صنعنا فهو خُلق منّا نعظّم به الأمراء. وأمّا هذه البراذين فهديّة لك. وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً، وهيّأنا لدوابّكم علفاً كثيراً.

قال: أمّا هذا الذي زعمتم أنّه منكم خُلق تعظّمون به الأُمراء فوالله، ما ينفع هذا الأُمراء، وإنّكم لتشقّون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا له. وأمّا دوابّكم هذه فإن أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها منكم. وأمّا طعامكم الذي صنعتم لنا فإنّا نكره أن نأكل من أموالكم شيئاً إلّا بثمن.

قالوا: يا أمير المؤمنين، نحن نقوّمه ثمّ نقبل ثمنه.

قال: إذاً لا تقوّمونه قيمته، نحن نكتفي بما دونه.

قالوا: يا أمير المؤمنين، فإنّ لنا من العرب مواليَ ومعارفَ، فتمنعنا أن نهدي لهم وتمنعهم أن يقبلوا منا؟

قال: كلّ العرب لكم موالٍ، وليس ينبغي لأحد من المسلمين أن يقبل هديّتكم. وإن غصبكم أحدٌ فأعلمونا.

قالوا: يا أمير المؤمنين، إنّا نحبّ أن تقبل هديّتنا وكرامتنا.

قال لهم: ويحكم، نحن أغنى منكم. فتركهم ثمّ سار[٢].

---

(١) قال سليمان بن الربيع بن هشام النهدي أحد رواة كتاب صفّين: خُشْ: طيب. نُوشَك: راض. يعني بني الطيّب الراضي، بالفارسيّة (انظر وقعة صفّين: ١٤٤).

(٢) وقعة صفّين: ١٤٣، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٢٤.

# ٦ / ٧

## خبر ماء الدير

٢٤٣٢ ـ **الفتوح**: أقام عليّ عليه السلام بالأنبار يومين، فلمّا كان في اليوم الثالث سار بالناس في بريّة ملساء، وعطش الناس واحتاجوا إلى الماء. قال: وإذا براهب في صومعته، فدنا منه عليّ عليه السلام وصاح به فأشرف عليه، فقال له عليّ عليه السلام: هل تعلم بالقرب منك ماء نشرب منه؟

فقال: ما أعلم ذلك، وإنّ الماء ليُحمل إلينا من قريبٍ من فرسخين.

قال: فتركه عليّ عليه السلام وأقبل إلى موضع من الأرض فطاف به، ثمّ أشار إلى مكان منه فقال: احفروا ههنا.

فحفروا قليلاً وإذا هم بصخرة صفراء كأنّما طليت بالذهب، وإذا هي على سبيل الرحى لا ينتقلها إلّا مائة رجل.

فقال عليّ عليه السلام: اقلبوها فالماء من تحتها.

فاجتمع الناس عليها فلم يقدروا على قلبها.

قال: فنزل عليّ عليه السلام عن فرسه، ثمّ دنا من الصخرة وحرّك شفتيه بشيء لم يُسمع، ثمّ دنا من الصخرة وقال: باسم الله، ثمّ حرّكها ورفعها فدحاها ناحية.

قال: فإذا بعين من الماء لم تر الناس أعذب منها ولا أصفى ولا أبرد، فنادى في الناس أن «هلمّوا إلى الماء».

قال: فورد الناس فنزلوا وشربوا وسقوا ما معهم من الظَّهر، وملؤوا أسقيتهم، وحملوا من الماء ما أرادوا. ثمّ حمل على الصخرة وهو يحرّك شفتيه بمثل كلامه الأوّل حتى ردّ الصخرة إلى موضعها.

ثمّ سار حتى نزل في الماء الذي أرادوا وإذا ماؤه متغيّر ، فقال عليﷺ لأصحابه :

أ فيكم من يعرف مكان الماء الذي يتم عليه ؟

فقالوا : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : فانطلَقوا إليه ، فطلبوا مكان الصخرة فلم يقدروا عليه ؛ فانطلقوا إلى الراهب فصاحوا به : يا راهب ! فأشرف عليهم ، فقالوا : أين هذا الماء الذي هو بالقرب من ديرك ؟

فقال الراهب : إنّه ما بقُربي شيء من الماء !

فقالوا : بلى ! قد شربنا منه . نحن وصاحبنا ، وهو الذي استخرج لنا الماء وقد شربنا منه .

فقال الراهب : والله ما بُني هذا الدير إلّا بذلك الماء ، وإنّ لي في هذه الصومعة منذ كذا سنة ما علمت بمكان هذا الماء ، وإنّها عين يقال لها عين راحوما ، ما استخرجها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ ، ولقد شرب منها سبعون نبيّاً وسبعون وصيّاً .

قال : فرجعوا إلى عليّﷺ فأخبروه بذلك ، فسكت ولم يقل شيئاً[1] .

**٢٤٣٣ ـ الإرشاد** ـ في بيان قصّة عطش أصحاب الإمامﷺ لمّا توجّه إلى صفّين ولقائهم مع الراهب ـ : فقالﷺ : اكشفوا الأرض في هذا المكان .

فعدل جماعة منهم إلى الموضع فكشفوه بالمساحي ، فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي .

---

(١) الفتوح : ٢ / ٥٥٥ وراجع وقعة صفّين : ١٤٥ .

فقال لهم: إنّ هذه الصخرة على الماء فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء.

فاجتهدوا في قلبها، فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً واستصعبت عليهم، فلمّا رآهم عليه السلام قد اجتمعوا وبذلوا الجهد في قلع الصخرة فاستصعبت عليهم، لوى عليه السلام رجله عن سرجه حتى صار على الأرض، ثمّ حسر عن ذراعيه ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحرّكها، ثمّ قلعها بيده ودحا بها أذرعاً كثيرة، فلمّا زالت عن مكانها ظهر لهم بياض الماء، فتبادروا إليه فشربوا منه، فكان أعذب ماء شربوا منه في سفرهم وأبرده وأصفاه.

فقال لهم: تزوّدوا وارتووا.

ففعلوا ذلك. ثمّ جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت[١].

٢٤٣٤ ـ شرح نهج البلاغة ـ في صفة قوّة الإمام عليه السلام ـ: وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الذي اقتلع هُبل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جدّاً وألقاه إلى الأرض، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيّام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها وأنبط الماء من تحتها[٢].

## ٦ / ٨

## النزول ببليخ[٣]

٢٤٣٥ ـ الفتوح: ونظر إليه [عليٌّ عليه السلام] راهبٌ قد كان هنالك في صومعة له، فنزل من

---

(١) الإرشاد: ١ / ٣٣٥، إعلام الورى: ١ / ٣٤٦ نحوه وراجع خصائص الأئمّة عليهم السلام: ٥٠ والخرائج والجرائح: ١ / ٢٢٢ / ٦٧ والفضائل لابن شاذان: ٨٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١ / ٢١.

(٣) موضع في سوريا قرب الرقّة على جانب الفرات.

الصومعة وأقبل إلى عليّ عليه السلام، فأسلم على يده؛ ثمّ قال: يا أمير المؤمنين! إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، يذكرون أنّ عيسى بن مريم عليه السلام كتبه، أفأعرضه عليك؟

قال عليّ عليه السلام: نعم فهاته.

فرجع الراهب إلى الصومعة وأقبل بكتاب عتيق قد كاد أن يندرس، فأخذه عليّ وقبله ثمّ دفعه إلى الراهب، فقال: اقرأه عليّ!

فقرأه الراهب على عليّ عليه السلام، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، أنّه باعث في الأُمّيّين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة، ويدلّهم على سبيل الرشاد، لا فَظّ[1] ولا غليظ ولا صَخّاب[2] في الأسواق، لا يجزي السيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، أُمّته الحامدون الذين يَحمدون الله على كلّ حال في هبوط الأرض وصعود الجبال، ألسنتهم مذلّلة بالتسبيح والتقديس والتكبير والتهليل، ينصر الله هذا النبيّ على من ناواه؛ فإذا توفّاه الله اختلفت أُمّته من بعده، ثمّ يلبثون بذلك ما شاء الله؛ فيمرّ رجل من أُمّته بشاطئ هذا النهر، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقضي بالحقّ ولا يرتشي في الحكم، الدنيا عليه أهون من شرب الماء على الظمآن، يخاف الله عزّ وجلّ في السِرّ وينصح الله في العلانية، ولا يأخذه في الله لومة لائم، فمن أدرك ذاك النبيّ فليؤمن به، فمن آمن به كان له رضوان الله والجنّة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنّه وصيّ خاتم الأنبياء، والقتل معه شهادة.

قال: ثمّ إنّه أقبل هذا الراهب على عليّ فقال: يا أمير المؤمنين! إنّي صاحبك

---

(١) فظّ: سَيِّئُ الخُلق (لسان العرب: ٧/٤٥١).

(٢) الصَّخَب والسَّخَب: الضَّجَّة، واضطرابُ الأصواتِ للخِصَام (النهاية: ٣/١٤).

لا أُفارقك أبداً حتى يصيبني ما أصابك.

قال: فبكى عليّ عليه السلام ثمّ قال: الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.

قال: ثمّ سار وهذا الراهب معه، فكان يتغدّى ويتعشّى مع عليّ؛ حتى صار إلى صفّين، فقاتل فقُتل، فقال عليّ لأصحابه: اطلبوه! فطلبوه فوجدوه، فصلّى عليه عليّ عليه السلام ودفنه واستغفر له، ثمّ قال: هذا منّا أهل البيت[1].

## ٦ / ٩

## الوصول إلى الرقّة

**٢٤٣٦ ـ وقعة صفّين عن يزيد بن قيس الأرحبي**: ثمّ سار أمير المؤمنين حتى أتى الرقّة وجلّ أهلها العثمانيّة، الذين فرّوا من الكوفة برأيهم وأهوائهم إلى معاوية، فغلّقوا أبوابها وتحصّنوا فيها، وكان أميرهم سماك بن مخرمة الأسدي في طاعة معاوية، وقد كان فارق عليّاً في نحو من مائة رجل من بني أسد، ثمّ أخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة رجل[2].

**٢٤٣٧ ـ الفتوح**: دعا [عليّ عليه السلام] على أهل الرقّة فقال: اعقدوا لي جسراً على هذا الفرات حتى أعبر عليه أنا وأصحابي إلى قتال معاوية. فأبوا ذلك؛ وعلم عليّ عليه السلام هوى أهل الرقّة في معاوية، فتركهم ونادى في أصحابه: نمضي لكي نعبر على جسر منبج[3].

---

(١) الفتوح: ٢ / ٥٥٦؛ وقعة صفّين: ١٤٧ نحوه.

(٢) وقعة صفّين: ١٤٦.

(٣) مَنْبج: مدينة كبيرة في ناحية الشام فوق الرقّة وحلب، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، بناها أنو شيروان (راجع معجم البلدان: ٥ / ٢٠٦).

قال: فخرج الأشتر إلى أهل الرقّة مغضباً وقال: والله يا أهل الرقّة! لئن لم تعقدوا لأمير المؤمنين جسراً لأُجرّدن فيكم السيف ولأقتلنّ الرجال ولأحوينّ الأموال. فلمّا سمع أهل الرقّة ذلك قال بعضهم لبعض: إنّ الأشتر والله يوفي بما يقول؛ ثمّ إنّهم ركبوا خلف عليّ بن أبي طالب فردّوه وقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين! فإنّنا عاقدون لك جسراً.

قال: فرجع عليّ إلى الرقّة، وعقدوا له جسراً على الفرات، ونادى في أصحابه أن اركبوا! فركبت الناس وعبرت الأثقال كلّها، وعبر الناس بأجمعهم، وعليّ واقف في ألف فارس من أصحابه، ثمّ عبر آخر الناس[1].

## ٦ / ١٠

## كتاب الإمام إلى معاوية وجوابه

**٢٤٣٨ ـ** وقعة صفّين عن أبي الوداك: إنّ طائفة من أصحاب عليّ قالوا له: اكتب إلى معاوية وإلى من قِبَله من قومك بكتاب تدعوهم فيه إليك وتأمرهم بترك ماهم فيه من الخطأ فإنّ الحجّة لن تزداد عليهم بذلك إلّا عظماً، فكتب إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية وإلى من قِبَله من قريش.

سلام عليكم فإنّي أحمد الله إليكم الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد، فإنّ لله عباداً آمنوا بالتنزيل، وعرفوا التأويل، وفُقهوا في الدين، وبيّن الله فضلهم في القرآن الحكيم، وأنتم في ذلك الزمان أعداء لرسول الله صلّى الله

---

(١) الفتوح: ٢ / ٥٦٤، تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٥، شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢١١؛ وقعة صفّين: ١٥١ كلّها نحوه.

عليه، تكذّبون بالكتاب، مجمعون على حرب المسلمين، من ثقفتم منهم حبستموه أو عذّبتموه أو قتلتموه، حتى أراد الله إعزاز دينه وإظهار رسوله، ودخلت العرب في دينه أفواجاً، وأسلمت له هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً، وكنتم ممّن دخل في هذا الدين إمّا رغبة وإمّا رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم وفاز المهاجرون الأولون بفضلهم. فلا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الإسلام، أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله وأولى به، فيحوب[1] بظلم. ولا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره، ولا أن يعدو طوره، ولا أن يُشقي نفسه بالتماس ما ليس له. ثمّ إنّ أولى الناس بأمر هذه الأُمّة قديماً وحديثاً، أقربها من رسول الله صلّى الله عليه، وأعلمها بالكتاب وأفقهها في الدين، وأوّلها إسلاماً وأفضلها جهاداً وأشدّها بما تحمله الرعية من أمورها اضطلاعاً. فاتقوا الله الذي إليه ترجعون، ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]. واعلموا أنّ خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون، وأنّ شرارهم الجهال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم، فإنّ للعالم بعلمه فضلاً، وإنّ الجاهل لن يزداد بمنازعة العالم إلّا جهلاً.

ألا وإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه صلّى الله عليه، وحقن دماء هذه الأُمّة. فإن قبلتم أصبتم رشدكم، واهتديتم لحظّكم. وإن أبيتم إلّا الفرقة وشقّ عصا هذه الأُمّة فلن تزدادوا من الله إلّا بعداً، ولن يزداد الربّ عليكم إلّا سُخطاً. والسلام.

فكتب إليه معاوية: أمّا بعد؛ فإنّه:

---

(١) الحُوب: الإثم، وفلان يَتحوَّب من كذا؛ أي يتأثّم (لسان العرب: ١ / ٣٤٠).

(٢) البقرة: ٤٢.

ليس بـيني وبـين قـيس عـتابُ غير طعن الكلى وضرب الرقـاب

فقال علي : ﴿إِنَّكَ لَاتَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّـهَ يَـهْدِى مَـن يَشَآءُ وَهُـوَ أَعْـلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1] [2].

## ٦ / ١١

## الأشتر على مقدّمة جيش الإمام

**٢٤٣٩ ـ** تاريخ الطبري عن خالد بن قطن الحارثي : إنّ عليّاً لما قطع الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرّحهما أمامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكوفة . قال : وقد كانا حيث سرّحهما من الكوفة أخذا على شاطئ الفرات من قبل البرّ ممّا يلي الكوفة حتى بلغا عانات[3] ، فبلغهما أخذ عليّ على طريق الجزيرة ، وبلغهما أنّ معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال عليّ فقالا : لا والله ، ما هذا لنا برأي أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر ! وما لنا خير في أن نلقى جنود أهل الشام بقلّة من معنا منقطعين من العدد والمدد . فذهبوا ليعبروا من عانات ، فمنعهم أهل عانات وحبسوا عنهم السفن ، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت[4] ، ثمّ لحقوا عليّاً

---

(١) القصص : ٥٦ .

(٢) وقعة صفّين : ١٤٩ ، الأمالي للطوسي : ١٨٣ / ٣٠٨ عن جبر بن نوف نحوه وراجع أنساب الأشراف : ٣ / ٨٠ والإمامة والسياسة : ١ / ٦٨ .

(٣) عَانَات : عانة بلد في العراق مشهور بين الرَّقّة وهيت ، وجاء في الشعر (عانات) كأنّه جمع لما حوله ، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة (معجم البلدان : ٤ / ٧٢) .

(٤) هِيْت : بلدة في العراق على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار (معجم البلدان : ٥ / ٤٢١) .

بقرية دون قرقيسياء[1] وقد أرادوا أهل عانات فتحصّنوا وفرّوا، ولما لحقت المقدّمة عليّاً قال: مقدّمتي تأتيني من ورائي!

فتقدم إليه زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ فأخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما. فقال: سددتما. ثمّ مضى عليّ فلما عبر الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية، فلمّا انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبوالأعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام، فأرسلا إلى عليّ: إنّا قد لقينا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام وقد دعوناهم فلم يجبنا منهم أحد فمرنا بأمرك. فأرسل عليّ إلى الأشتر فقال:

يا مالك، إنّ زياداً وشريحاً أرسلا إليّ يعلماني أنّهما لقيا أبا الأعور السلمي في جمع من أهل الشام، وأنبأني الرسول أنّه تركهم متواقفين، فالنجاء إلى أصحابك النجاء، فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم وإيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلّا أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع، ولا يَجرمنّك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرّة بعد مرّة، واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً وقف من أصحابك وسطاً، ولا تدنُ منهم دنوّ من يريد أن يُنشب الحرب، ولا تباعد منهم بُعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك، فإنّي حثيث السير في أثرك إن شاء الله.

قال: وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفي فكتب عليّ إلى زياد وشريح: أمّا بعد، فإنّي قد أمّرت عليكما مالكاً فاسمعا له وأطيعا، فإنّه ممّن لا يخاف

---

(١) قَرْقِيسِياء: بلد على نهر الخابور قرب صفّين والرقّة وعندها مصبّ الخابور في الفرات، وهي الآن في العراق (راجع معجم البلدان: ٤/ ٣٢٨).

رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم، ولا الإسراع إلى ما الإبطاء عنه أمثل، وقد أمرته بمثل الذي كنت أمرتكما به ألّا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويُعذر إليهم[1].

## ١٢/٦

## مواجهة مقدّمة الجيشين

**٢٤٤٠ ـ تاريخ الطبري عن خالد بن قطن الحارثي:** خرج الأشتر حتى قدم على القوم، فاتّبع ما أمره عليّ وكفّ عن القتال، فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبوالأعور السلمي، فثبتوا له واضطربوا ساعة، ثمّ إنّ أهل الشام انصرفوا.

ثمّ خرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة الزهري في خيل ورجال حسن عددها وعُدّتها، وخرج إليه أبوالأعور فاقتتلوا يومهم ذلك، تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال، وصبر القوم بعضهم لبعض ثمّ انصرفوا، وحمل عليهم الأشتر فقتل عبد الله بن المنذر التنوخي قتله يومئذٍ ظبيان بن عمار التميمي وما هو إلّا فتى حدث وإن كان التنوخي لفارس أهل الشام، وأخذ الأشتر يقول: ويحكم! أروني أبا الأعور. ثمّ إنّ أبا الأعور دعا الناس فرجعوا نحوه، فوقف من وراء المكان الذي كان فيه أول مرّة، وجاء الأشتر حتى صفّ أصحابه في المكان الذي كان فيه أبوالأعور، فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعي: انطلق إلى أبي الأعور فادعه إلى المبارزة، فقال: إلى مبارزتي أو مبارزتك؟ فقال له الأشتر: لو أمرتك بمبارزته فعلت؟ قال: نعم والله، لو أمرتني أن أعترض صفّهم

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/٥٦٦؛ وقعة صفّين: ١٥٢ نحوه.

بسيفي ما رجعت أبداً حتى أضرب بسيفي في صفّهم، قال له الأشتر: يابن أخي، أطال الله بقاءك! قد والله، ازددت رغبة فيك لا أمرتك بمبارزته إنّما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتي، إنّه لا يبرز إن كان ذلك من شأنه إلّا لذوي الأسنان والكفاءة والشرف، وأنت ـ لربّك الحمد ـ من أهل الكفاءة والشرف غير أنّك فتىً حدث السن، فليس بمبارز الأحداث ولكن ادعه إلى مبارزتي. فأتاه فنادى: آمنوني فإنّي رسول فأومن، فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور. قال أبومخنف: فحدّثني النضر بن صالح أبو زهير العبسي قال: حدّثني سنان قال: فدنوت منه فقلت: إنّ الأشتر يدعوك إلى مبارزته. قال: فسكت عنّي طويلاً ثمّ قال: إنّ خفّة الأشتر وسوء رأيه هو حمله على إجلاء عمّال ابن عفان من العراق، وانتزاؤه عليه يقبّح محاسنه، ومن خفّة الأشتر وسوء رأيه أن سار إلى ابن عفّان في داره وقراره حتى قتله، فيمن قتله فأصبح متّبعاً بدمه، ألا لا حاجة لي في مبارزته. قال: قلت: إنّك قد تكلّمت فاسمع حتى أُجيبك، فقال: لا، لا حاجة لي في الاستماع منك ولا في جوابك، اذهب عنّي. فصاح بي أصحابه فانصرفت عنه، ولو سمع إليّ لأخبرته بعذر صاحبي وحجّته. فرجعت إلى الأشتر فأخبرته أنّه قد أبى المبارزة، فقال: لنفسه نظر.

فواقفناهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم وبتنا متحارسين، فلمّا أصبحنا نظرنا فإذا القوم قد انصرفوا من تحت ليلتهم، ويصبّحنا عليّ بن أبي طالب غدوة. فقدم الأشتر فيمن كان معه في تلك المقدّمة حتى انتهى إلى معاوية فواقفه، وجاء عليّ في أثره فلحق بالأشتر سريعاً فوقف وتواقفوا طويلاً[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٧؛ وقعة صفّين: ١٥٤ نحوه.

# الفَصْلُ السَّابِعُ

# مُوَاجَهَةُ الجَيْشَيْنِ

## المدخل

توجّه الإمام عليه السلام من الكوفة باتّجاه الشام في شهر شوّال من عام ٣٦ هـ، ولمّا كان الطريق المستقيم بينهما يمرّ عبر صحراء جرداء لا عشب فيها ولا ماء ولم تكن للإمام عليه السلام المعدّات الكافية لدعم جيشه الذي قوامه مائة ألف، اختار الطريق المحاذي للفرات (أي مسير الجزيرة). فمرّ على كربلاء وهيت و... حتى وصل إلى الرقّة قرب صفّين.

فالتقت مقدّمة جيش الإمام بقيادة مالك الأشتر مع مقدّمة جيش معاوية واضطرّتهم للفرار، وهي أوّل مواجهة بين الجيشين في صفّين، والذي شرع بهذه المواجهة جيش معاوية.

وفي أواخر ذي القعدة وصل جيش الإمام إلى صفّين، بعد وصول جيش معاوية إليها لقربها من الشام، واحتلال المناطق الحسّاسة من

المنطقة.

وقد نظّم معاويةُ جيشَه بنحوٍ بحيث لا يتمكّن جيش الإمام من الوصول للماء. فنصحهم الإمامعليه السلام، وأرسل اليهم رسولاً في ذلك، لكن دون جدوى.

فهجم الأشتر والأشعث على جيش معاوية ـ بعد موافقة الإمام على ذلك ـ واستولوا على الماء. فأمر الإمامعليه السلام بتنظيم الجيش بنحوٍ يتمكّن معه الجيشان من الماء. وبهذا انتصر الإمامعليه السلام نصراً معنويّاً سجّله التاريخ في صفحاته بماء الذهب بأنّ الإمام يمنع التوسّل بالسبل غير الإنسانيّة في مواجهة العدوّ لتحصيل النصر.

ثمّ أرسل الإمامعليه السلام ممثّليه إلى معاوية كي يدفعوا به إلى الاستسلام، ويحولون دون وقوع الحرب وإراقة الدماء. فلمّا أقبلوا على معاوية طردهم بغضب.

وفي شهر ذي الحجّة حصلت مناوشات ومواجهات متفرّقة بين الجيشين؛ إذ كان الإمام في صدد إنهاء ذلك بالصلح دون الحرب، ولذا لم تكن المواجهة بين تمام الجيشين.

ثمّ انقطعت هذه المواجهات المتفرّقة في شهر محرّم من عام ٣٧ هـ، وصارت محادثات الصلح بصورة أكثر جدّية، لكنّها لم تثمر شيئاً كسابقاتها.

لمّا تقطّعت جميع السبل تهيّأ الإمامعليه السلام للحرب، فبدأت الحرب يوم الأربعاء أوّل شهر صفر عام ٣٧ هـ. وكانت الحرب في الأُسبوع الأوّل بهذه الكيفيّة:

يخرج صباح كلّ يوم أحد القادة الأبطال لجيش الإمام ويحارب العدوّ حتى

المساء، ثم تنقطع الحرب إلى اليوم التالي دون حصول نصر لأحد الطرفين على الآخر خلال هذه المدّة.

وكان قادة الجيش في هذه الأيّام: مالك الأشتر، وعمّار بن ياسر، ومحمّد ابن الحنفيّة، وعبد الله بن عبّاس، وهاشم بن عتبة، وقيس بن سعد.

لكن الحرب اشتدّت في يوم الأربعاء الثامن من صفر واتّخذت شكلاً آخر؛ حيث اشترك فيها تمام الجيشين. وقد استقرّ الإمامعليه السلام في القلب، وتولّى قيادة الجيش بنفسه. واستُشهد عدد كثير من كبار الجيش في هذا اليوم ويوم الخميس.

ولمّا كان قصد الإمام حسم الأمر لم تتوقّف الحرب عند غروب الخميس بل استمرّت ليلة الجمعة أيضاً، وكانت أشدّ ليلة طوال الحرب، ولهذا سُمّيت «ليلة الهرير».

وكان الإمامعليه السلام حاضراً بنفسه في أرض المعركة يوم الخميس وليلة الجمعة، وقتل بيده ٥٢٣ شخصاً أكثرهم من شجعان أهل الشام.

ولشدّة الحرب صلّى أصحاب الإمامعليه السلام في ميدان القتال إيماءً.

وفي صباح الجمعة أشرقت الشمس وأطلّت على ظفر جيش الإمام وانكسار وهزيمة أهل الشام. وأشرف مالك الأشتر والسريّة التي يقودها على خيمة معاوية ـ التي يقود الجيش منها ـ بحيث صمّم معاوية على الاستسلام وطلب الأمان، لكن جرى قلم القدر على شيء آخر؛ فتلاقح جهل الخوارج مع حيلة عمرو بن العاص فأنتجا نجاة معاوية!

## ١ / ٧

# الاصطفاف للقتال

٢٤٤١ ـ تاريخ الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي: سمعت عمّار بن ياسر بصفّين وهو يقول لعمرو بن العاص: لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ وهذه الرابعة، ماهي بأبرّ ولا أتقى[1].

٢٤٤٢ ـ وقعة صفّين عن أسماء بن الحكم الفزاري: كنّا بصفّين مع عليّ بن أبي طالب تحت راية عمّار بن ياسر، ارتفاع الضحى ـ استظللنا ببرد أحمر ـ إذ أقبل رجل يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيّكم عمّار بن ياسر؟

فقال عمّار بن ياسر: هذا عمّار.

قال: أبو اليقظان؟

قال: نعم.

قال: إنّ لي حاجة إليك فأنطق بها علانية أو سرّاً

قال: اختر لنفسك أيَّ ذلك شئت.

قال: لا، بل علانية.

قال: فانطق.

قال: إنّي خرجت من أهلي مستبصراً في الحقّ الذي نحن عليه لا أشكّ في ضلالة هؤلاء القوم وأنّهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا؛ فتقدّم منادينا فشهد ألّا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨١.

رسول الله، ونادى بالصلاة، فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثمّ أُقيمت الصلاة فصلّينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ورسولُنا واحد، فأدركني الشكّ في ليلتي هذه، فبتّ بليلة لا يعلمها إلّا الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيتَ عمّار بن ياسر؟

قلت: لا.

قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتّبعه. فجئتك لذلك.

قال له عمّار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلتي فإنّها راية عمرو بن العاص، قاتلتُها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرّات، وهذه الرابعة ما هي بخيرهنّ ولا أبرّهنّ، بل هي شرّهنّ وأفجرهنّ.

أشَهدت بدراً وأُحداً وحنيناً أو شهدها لك أبٌ فيخبرك عنها؟

قال: لا.

قال: فإنّ مراكزنا على مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدر، ويوم أُحد، ويوم حنين، وإنّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله، لوددت أنّ جميع من أقبل مع معاوية ممّن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطّعته وذبحته، والله، لدماؤهم جميعاً أحلّ من دم عصفور، أ فترى دم عصفور حراماً؟

قال: لا، بل حلال.

قال: فإنّهم كذلك حلال دماؤهم.

أ تراني بيّنتُ لك؟

قال: قد بيّنتَ لي.

قال : فاختر أيّ ذلك أحببت .

قال : فانصرف الرجل ثمّ دعاه عمّار بن ياسر فقال : أما إنّهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون : لو لم يكونوا على حقّ ما ظهروا علينا . والله ، ما هم من الحقّ على ما يُقذي[1] عين ذباب ، والله ، لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنّا على حقّ وهم على باطل .

وآيمُ الله ، لا يكون سلماً[2] سالماً أبداً حتى يبوء أحد الفريقين على أنفسهم بأنّهم كانوا كافرين ، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنّهم على الحقّ وأنّ قتلاهم في الجنّة وموتاهم ، ولا ينصرم أيّام الدنيا حتى يشهدوا بأنّ موتاهم وقتلاهم في الجنّة ، وأنّ موتى أعدائهم وقتلاهم في النار ، وكان أحياؤهم على الباطل[3] .

٢٤٤٣ ـ مسند ابن حنبل عن عبد الله بن سلمة : رأيت عمّاراً يوم صفّين شيخاً كبيراً آدم طوالاً آخذ الحربة بيده ويده ترعد فقال : والذي نفسي بيده ، لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرّات ، وهذه الرابعة ، والذي نفسي بيده ، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر لعرفت أنّ مصلحينا على الحقّ وأنّهم على الضلالة[4] .

---

(١) القَذَى : جمع قَذاة ، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تِبْن أو وَسَخ أو غير ذلك (النهاية : ٤ / ٣٠) .

(٢) كذا في المصدر .

(٣) وقعة صفّين : ٣٢١ ، بحار الأنوار : ٣٢ / ٤٩١ / ٤٢٤ ؛ شرح نهج البلاغة : ٥ / ٢٥٦ وليس فيه «وآيم الله ، لا يكون . . .» .

(٤) مسند ابن حنبل : ٦ / ٤٨٠ / ١٨٩٠٦ ، مسند أبي يعلى : ٢ / ٢٦٢ / ١٦٠٧ ، المستدرك على ⇔

## ٢/٧

# حيلولة جيش معاوية دون الماء

**٢٤٤٤ـ الأخبار الطوال**: أقبل عليّ ﷺ حتى وافى المكان، فصادف أهل الشام قد احتووا على القرية والطريق، فأمر الناس، فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية، وانطلق السَّقّاؤون والغلمان إلى طريق الماء، فحال أبو الأعور بينهم وبينه.

وأُخبر عليّ ﷺ بذلك، فقال لصعصعة بن صوحان: إيت معاوية، فقل له: إنّا سرنا إليكم لنُعذر قبل القتال، فإن قبلتم كانت العافية أحبّ إلينا، وأراك قد حلتَ بيننا وبين الماء، فإن كان أعجب إليك أن ندع ما جئنا له، ونذر الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فقال الوليد: اِمنعهم الماء كما منعوه أمير المؤمنين عثمان، اقتلهم عطشاً، قتلهم الله.

فقال معاوية لعمرو بن العاص: ما ترى؟.

قال: أرى أن تُخلّي عن الماء، فإنّ القوم لن يعطشوا وأنت ريّان.

فقال عبد الله بن أبي سَرْح، وكان أخا عثمان لأمّه: اِمنعهم الماء إلى الليل، لعلّهم أن ينصرفوا إلى طرف الغيضة[1]، فيكون انصرافهم هزيمة.

---

⇔ الصحيحين: ٣/ ٤٣٣/ ٥٦٥١ و ص ٤٤٣/ ٥٦٧٨، الطبقات الكبرى: ٣/ ٢٥٦، أنساب الأشراف: ١/ ١٩٥، سير أعلام النبلاء: ١/ ٤٠٨/ ٨٤، العقد الفريد: ٣/ ٣٣٦ وفي الستّة الأخيرة «سعفات» بدل «شعفات»، المصنّف لابن أبي شيبة: ٨/ ٧٢٧/ ٣٦ نحوه، البداية والنهاية: ٧/ ٢٦٧؛ الخصال: ٢٧٦/ ١٨ عن حفص بن غياث عن الإمام الصادق ﷺ نحوه.

(١) الغيضة: وهي الشجر الملتفّ (النهاية: ٣/ ٤٠٢).

فقال صعصعة لمعاوية : ما الذي ترى ؟ .

قال معاوية : إِرجع ، فسيأتيكم رأيي . فانصرف صعصعة إلى علـيّ ، فأخـبره بذلك[1] .

٢٤٤٥ ـ تاريخ الطبري عن عبد الله بن عوف بن الأحمر : لمّا قدمنا على معاوية وأهل الشام بصفّين وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واسعاً ، أخذوا الشريعة ، فهي في أيديهم ، وقد صفّ أبو الأعور السلمي عليها الخيل والرجال ، وقد قدّم المرامية أمام من معه ، وصفّ صفّاً معهم من الرماح والدَّرَق[2] ، وعلى رؤوسهم البيض ، وقد أجمعوا على أن يمنعونا الماء .

ففزعنا إلى أمير المؤمنين ، فخبّرناه بذلك ، فدعا صعصعة بن صوحان فقال له : ائت معاوية وقل له : إنّا سرنا مسيرنا هذا إليكم ، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، وإنّك قدّمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكفّ عنك حتى ندعوك ونحتجّ عليك .

وهذه أُخرى قد فعلتموها ، قد حلتم بين الناس وبين الماء ، والناس غير منتهين أو يشربوا ، فابعث إلى أصحابك فليخلّوا بين الناس وبين الماء ، ويكفّوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قدمنا له وقدمتم له ، وإن كان أعجب إليك أن نترك ما جئنا له ، ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب ، فعلنا .

فقال معاوية لأصحابه : ما ترون ؟

---

(١) الأخبار الطوال : ١٦٨ .

(٢) الدَّرَق : ضرب من التِّرَسةِ ، الواحدة دَرَقة تتّخذ من الجلود (لسان العرب : ١٠ / ٩٥) .

فقال الوليد بن عقبة : إِمنعهم الماء كما منعوه عثمان بن عفّان ؛ حصروه أربعين صباحاً يمنعونه برد الماء ، ولين الطعام . اُقتلهم عطشاً ، قتلهم الله عطشاً !

فقال له عمرو بن العاص : خلّ بينهم وبين الماء ، فإنّ القوم لن يعطشوا وأنت ريّان ، ولكن بغير الماء ، فانظر ما بينك وبينهم .

فأعاد الوليد بن عقبة مقالته . وقال عبد الله بن أبي سرح : امنعهم الماء إلى الليل ، فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا ، ولو قد رجعوا كان رجوعهم فَلّاً . امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة !

فقال صعصعة : إنّما يمنعه الله عزّ وجلّ يوم القيامة الكفرة الفسقة وشربة الخمر ، ضربك وضرب هذا الفاسق ـ يعني الوليد بن عقبة ـ .

قال : فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه ، فقال معاوية : كفّوا عن الرجل فإنّه رسول[1] .

٢٤٤٦ ـ **الفتوح** : دعا عليّ عليه السلام بشبث[2] بن ربعي الرياحي وصعصعة بن صوحان العبدي فقال لهما : انطلقا إلى معاوية فقولا له : إنّ خيلك قد حالت بيننا وبين الماء ، ولو كنا سبقناك لم نحل بينك وبينه ، فإن شئت فخلّ عن الماء حتى نستوي فيه نحن وأنت ، وإن شئت قاتلناك عليه حتى يكون لمن غلب ، وتركنا ما جئنا له

---

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ٥٧١ ، شرح نهج البلاغة : ٣ / ٣١٨ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٦٤ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٢٤ كلاهما نحوه وفيه «الأشعث» بدل «صعصعة بن صوحان» ؛ وقعة صفّين : ١٦٠ .

(٢) كما في تاريخ الطبري : ٥ / ٢٤٠ وبالأصل «شبيب» وهو خطأ .

ولم يرد ذكره فيمن أرسله عليّ إلى معاوية بل ذكر فقط صعصعة بن صوحان (تاريخ الطبري : ٥ / ٢٣٩ ، ابن الأثير : ٢ / ٣٦٤ ، وقعة صفّين : ١٦١) وفي الإمامة والسياسة ١ / ١٢٥ : أنّ عليّاً أرسل الأشعث بن قيس لمناقشة معاوية في أمر منع الماء .

من الحرب .

قال : فأقبل شبث فقال : يا معاوية ! إنّك لست بأحقّ من هذا الماء منّا فخلّ عن الماء ، فإنّنا لا نموت عطشاً وسيوفنا على عواتقنا .

ثمّ تكلّم صعصعة بن صوحان فقال : يا معاوية ! إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لك : إننا قد سرنا مسيرنا هذا وإنّي أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، فإنّك قدّمت خيلك فقاتلتنا من قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكفّ حتى نعذر إليك ونحتجّ عليك ، وهذه مرّة أُخرى قد فعلتموها ، حلتم بين الناس والماء ، وأيم الله لنشربن منه شئت أم أبيت ! فامنن إن قدرت عليه من قبل أن نغلب فيكون الغالب هو الشارب .

فقال لعمرو بن العاص : ما ترى أبا عبد الله ؟ فقال : أرى أنّ عليّاً لا يظمأ وفي يده أعنّة الخيل وهو ينظر إلى الفرات دون أن يشرب منه ، وإنّما جاء لغير الماء فخلّ عن الماء حتى يشرب ونشرب .

قال : فقال الوليد بن عقبة : يا معاوية ! إنّ هؤلاء قد منعوا عثمان بن عفّان الماء أربعين يوماً وحصروه ، فامنعهم إياه حتى يموتوا عطشاً واقتلهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون .

قال : ثمّ تكلّم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فقال : لقد صدق الوليد في قوله : فامنعهم الماء ، منعهم الله إيّاه يوم القيامة !

فقال صعصعة : إنّما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفسقة الفجرة مثلك ومثل نظرائك هذا الذي سمّاه الله في الكتاب فاسقاً الوليد بن عقبة الذي صلّى بالناس الغداة أربعاً وهو سكران ثمّ قال : أزيدكم ؟ فجلد الحدّ في الإسلام . قال : فثاروا

إليه بالسيوف، فقال معاوية: كفّوا عنه فإنّه رسول[1].

## ٣/٧

## تحريض الإمام أصحابه للاستيلاء على الماء

**٢٤٤٧ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من خطبة له عليه السلام لمّا غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفّين ومنعوهم الماء ـ:

قد استطعموكم القتال، فأقرّوا على مذلّة، وتأخير محلّة، أو روّوا السيوف من الدماء ترووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين.

ألا وإنّ معاوية قادَ لُمّةً من الغواة، وعمّس[2] عليهم الخبر، حتى جعلوا نحورهم أغراض المنيّة[3].

## ٤/٧

## استيلاءُ أصحاب الإمام على الماء

**٢٤٤٨ ـ الأخبار الطوال:** ظلّ أهل العراق يومهم ذلك وليلتهم بلا ماء إلّا من كان ينصرف من الغلمان إلى طرف الغيضة، فيمشي مقدار فرسخين فيستقي، فغمّ عليّاً عليه السلام أمرُ الناس غمّاً شديداً، وضاق بما أصابهم من العطش ذرعاً؛ فأتاه الأشعث ابن قيس فقال: يا أمير المؤمنين، أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا

(١) الفتوح: ٣ / ٥ وراجع المعيار والموازنة: ١٤٦.

(٢) عمّس عليهم الخبر: أي لبّس الحال عليهم وجعل الأمر مظلماً (مجمع البحرين: ٢ / ١٢٧٢).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٥١، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٤٢ نقلاً عن وقعة صفّين وزاد فيه «حيث منعوكم الماء» بعد «القتال».

سيوفنا ؟ وَلِّني الزحف إليه ، فوالله لا أرجع أو أموت ، ومُر الأشتر فلينضمّ إليّ في خيله .

فقال له عليّ : إيت في ذلك ما رأيت .

فلمّا أصبح زاحف أبا الأعور ، فاقتتلوا ، وصدقهم الأشتر والأشعث حتى نفياالأعور وأصحابه عن الشريعة ، وصارت في أيديهما[١] .

**٢٤٤٩ ـ وقعة صفّين عن زيد بن حسين :** نادى الأشعث عمرو بن العاص قال : ويحك يابن العاص ! خلّ بيننا وبين الماء ، فوالله ، لئن لم تفعل ليأخذنا وإيّاكم السيوف .

فقال عمرو : والله ، لا نخلّي عنه حتى تأخذنا السيوف وإيّاكم ، فيعلم ربّنا أيّنا اليوم أصبر .

فترجّل الأشعث والأشتر وذوو البصائر من أصحاب عليّ ، وترجّل معهما اثنا عشر ألفاً ، فحملوا على عمرو ومن معه من أهل الشام ، فأزالوهم عن الماء حتى غمست خيل عليّ سنابكها في الماء[٢] .

**٢٤٥٠ ـ الكامل في التاريخ ـ بعد ذكر إرسال الإمام عليه السلام صعصعة لمعاوية كي يكلّمه بشأن الشريعة ـ :** فرجع صعصعة [حين بعثه الإمام عليه السلام إلى معاوية] فأخبره بما كان ، وأنّ معاوية قال : سيأتيكم رأيي ، فسرّب الخيل إلى أبي الأعور ليمنعهم الماء .

---

(١) الأخبار الطوال : ١٦٨ .

(٢) وقعة صفّين : ١٦٧ و ص ١٧٠ وفيه «فلقي عمرو بن العاص بعد ذلك الأشعث بن قيس ، فقال : أي أخا كندة ! أما والله ، لقد أبصرت صواب قولك يوم الماء ولكنّي كنت مقهوراً على ذلك الرأي فكايدتك بالتهدّد ، والحرب خدعة» ، بحار الأنوار : ٣٢ / ٤٤٢ ؛ شرح نهج البلاغة : ٣ / ٣٢٤ .

فلمّا سمع عليّ ذلك قال: قاتلوهم على الماء.

فقال الأشعث بن قيس الكندي: أنا أسير إليهم. فسار إليهم، فلمّا دنوا منهم ثاروا في وجوههم فرموهم بالنبل، فتراموا ساعة ثمّ تطاعنوا بالرماح، ثمّ صاروا إلى السيوف فاقتتلوا ساعة.

وأرسل معاوية يزيد بن أسد البجلي القسري ـ جدّ خالد بن عبد الله القسري ـ في الخيل إلى أبي الأعور، فأقبلوا.

فأرسل عليّ شبث بن ربعي الرياحي، فازداد القتال.

فأرسل معاوية عمرو بن العاص في جند كثير، فأخذ يمدّ أبا الأعور ويزيد بن أسد.

وأرسل عليّ الأشتر في جمع عظيم، وجعل يمدّ الأشعث وشبثاً، فاشتدّ القتال.

فقال عبد الله بن عوف الأزدي الأحمري:

خلّوا لنا ماء الفرات الجاري ... أو اثبتوا لجحفلٍ جرّار

لكلّ قرم مستميت شاري ... مطاعن برمحه كرّار

ضرّاب هامات العدى مغوار ... لم يخشَ غير الواحد القهّار

وقاتلوهم حتى خلّوا بينهم وبين الماء، وصار في أيدي أصحاب عليّ[1].

**٢٤٥١ ـ** وقعة صفّين عن صعصعة بن صوحان: قتل الأشتر في تلك المعركة سبعة... فأوّل قتيل قتل الأشتر ذلك اليوم بيده من أهل الشام رجل يقال له:

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٦٤، تاريخ الطبري: ٤ / ٥٦٩ نحوه وراجع الفتوح: ٣ / ٩ ـ ١٣ ووقعة صفّين: ١٦٢.

صالح بن فيروز ـ وكان مشهوراً بشدّة البأس ـ... فبرز إليه الأشتر... ثمّ شدّ عليه بالرمح فقتله، وفلق ظهره، ثمّ رجع إلى مكانه.

ثمّ خرج إليه فارس آخر يقال له: مالك بن أدهم السلماني ـ وكان من فرسان أهل الشام ـ... ثمّ شدّ على الأشتر، فلمّا رهقه التوى الأشتر على الفرس، ومار السنان فأخطأه، ثمّ استوى على فرسه وشدّ عليه بالرمح... فقتله.

ثمّ خرج فارس آخر يقال له: رياح بن عتيك... فخرج إليه الأشتر... فشدّ عليه فقتله.

ثمّ خرج إليه فارس آخر يقال له: إبراهيم بن الوضّاح... فخرج إليه الأشتر... فقتله.

ثمّ خرج إليه فارس آخر يقال له: زامل بن عتيك الحِزامي ـ وكان من أصحاب الألوية ـ فشدّ عليه... فطعن الأشتر في موضع الجوشن فصرعه عن فرسه ولم يصب مقتلاً، وشدّ عليه الأشتر راجلاً فكسف[1] قوائم الفرس بالسيف... ثمّ ضربه بالسيف وهما رَجلان[2].

ثمّ خرج إليه فارس يقال له: الأجلح ـ وكان من أعلام العرب وفرسانها، وكان على فرس يقال له: لاحق ـ فلمّا استقبله الأشتر كره لقاءه واستحيا أن يرجع، فخرج إليه... فشدّ عليه الأشتر... فضربه.

ثمّ خرج إليه محمّد بن روضة وهو يضرب في أهل العراق ضرباً منكراً... فشدّ عليه الأشتر... ثمّ ضربه فقتله....

---

(١) كسفه: قطعه (القاموس المحيط: ٣/ ١٩٠).

(٢) الرَّجلان: الراجِل (لسان العرب: ١١/ ٢٦٩).

ثمّ أقبل الأشتر يضرب بسيفه جمهور الناس حتى كشف أهل الشام عن الماء[١].

٢٤٥٢ ـ شرح نهج البلاغة : لمّا ملك عسكر معاوية عليه [على الإمام عليّ عليه السلام] الماء ، وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقالت رؤساء الشام له : اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً ، سألهم عليّ عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء ، فقالوا : لا والله ، ولا قطرة حتى تموت ظمأً كما مات ابن عفّان .

فلمّا رأى عليه السلام أنّه الموت لا محالة تقدّم بأصحابه ، وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة ، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع ؛ سقطت منه الرؤوس والأيدي ، وملكوا عليهم الماء ، وصار أصحاب معاوية في الفلاة ، لا ماء لهم[٢].

## ٧ / ٥

## مكافأة الإساءة بالإحسان

٢٤٥٣ ـ الكامل في التاريخ ـ في ذكر القتال على الماء ـ : قاتلوهم حتى خلّوا بينهم وبين الماء ، وصار في أيدي أصحاب عليّ ، فقالوا : والله ، لا نسقيه أهل الشام !

فأرسل عليّ إلى أصحابه : أن خذوا من الماء حاجتكم ، وخلّوا عنهم ، فإنّ الله نصركم ببغيهم وظلمهم[٣].

---

(١) وقعة صفّين : ١٧٤ ـ ١٧٩ ؛ المناقب للخوارزمي : ٢١٦ ـ ٢١٨ عن أبي هاني بن معمر السدوسي وفيه «رياح ابن عبيدة الغسّاني» بدل «رياح بن عتيك» .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١ / ٢٣ ، ينابيع المودّة : ١ / ٤٥٠ ؛ بحار الأنوار : ٤١ / ١٤٥ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٦٥ ، تاريخ الطبري : ٤ / ٥٧٢ ؛ وقعة صفّين : ١٦٢ كلاهما نحوه وراجع الفتوح : ١٠ و ١١ .

**٢٤٥٤ ـ مروج الذهب** ـ بعد أن كشف جند الإمام عليّ عليه السلام جند معاوية عن الماء ـ: قال معاوية لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، ما ظنّك بالرجل، أتراه يمنعنا الماء لمنعنا إيّاه؟ وقد كان انحاز بأهل الشام إلى ناحية في البرّ نائية عن الماء.

فقال له عمرو: لا، إنّ الرجل جاء لغير هذا، وإنّه لا يرضى حتى تدخل في طاعته، أو يقطع حبل عاتقك.

فأرسل إليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعته، واستقاء الناس مِن طريقه، ودخول رسله في عسكره. فأباحه عليّ كلَّ ما سأل وطلب منه[1].

**٢٤٥٥ ـ الأخبار الطوال** ـ بعد منع معاوية الماء على جيش الإمام عليّ عليه السلام ـ: فلمّا أصبح زاحف أبا الأعور، فاقتتلوا، وصدقهم الأشتر والأشعث حتى نفيا أبا الأعور وأصحابه عن الشريعة، وصارت في أيديهما.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ما ظنّك بالقوم اليوم إن منعوك الماء كما منعتهم أمس؟

فقال معاوية: دع ما مضى، ما ظنّك بعليّ؟

قال: ظنّي أنّه لا يستحلّ منك ما استحللت منه؛ لأنّه أتاك في غير أمر الماء.

ثمّ توادع الناس، وكفّ بعضهم عن بعض، وأمر عليّ ألّا يُمنع أهل الشام من الماء، فكانوا يسقون جميعاً[2].

**٢٤٥٦ ـ شرح نهج البلاغة** ـ في ذكر القتال على الماء واستيلاء أصحاب الإمام عليه ـ: فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين! كما منعوك،

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٨٦.

(٢) الأخبار الطوال: ١٦٩، الفتوح: ٣ / ١١، الإمامة والسياسة: ١ / ١٢٦؛ وقعة صفّين: ١٨٦ كلّها نحوه.

ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب.

فقال: لا والله، لا أُكافئُهم بمثل فعلهم، أفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك(١).

## ٧ / ٦

## إقامة الحجّة في ساحة القتال

٢٤٥٧ ـ تاريخ اليعقوبي: وجّه عليّ إلى معاوية يدعوه ويسأله الرجوع، وألّا يفرّق الأُمّة بسفك الدماء، فأبى إلّا الحرب(٢).

٢٤٥٨ ـ تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي ـ بعد ذكر القتال على الماء ـ: مَكث عليّ يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً، ولا يرسل إليه معاوية. ثمّ إنّ عليّاً دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي، فقال: ائتوا هذا الرجل، فادعوه إلى الله، وإلى الطاعة والجماعة.

فقال له شبث بن ربعي: يا أمير المؤمنين! ألا تُطمعه في سلطان تولّيه إيّاه، ومنزلة يكون له بها أُثرة عندك إن هو بايعك؟

فقال عليّ: ائتوه فالقوه واحتجّوا عليه، وانظروا ما رأيه. ـ وهذا في أوّل ذي الحجّة ـ.

فأتوه، ودخلوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه أبو عمرة بشير بن عمرو، وقال: يا

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٤ وج ٣ / ٣٣١ نحوه، ينابيع المودّة: ١ / ٤٥١؛ بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٤٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٨٨.

معاوية ! إنّ الدنيا عنك زائلة ، وإنّك راجع إلى الآخرة ، وإنّ الله عزّ وجلّ محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدّمت يداك ، وإنّي أنشدك الله عزّ وجلّ أنْ تفرّق جماعة هذه الأُمّة ، وأن تسفك دماءها بينها !

فقطع عليه الكلام ، وقال : هلّا أوصيت بذلك صاحبك ؟

فقال أبو عمرة : إنّ صاحبي ليس مثلك ، صاحبي أحقّ البريّة كلّها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام ، والقرابة من الرسول ﷺ .

قال : فيقول ماذا ؟

قال : يأمرك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وإجابة ابن عمّك إلى ما يدعوك إليه من الحقّ ، فإنّه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في عاقبة أمرك .

قال معاوية : ونُطلّ[1] دم عثمان ! لا والله ، لا أفعل ذلك أبداً .

فذهب سعيد بن قيس يتكلّم ، فبادره شبث بن ربعي فتكلّم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : يا معاوية ! إنّي قد فهمت ما رددت على ابن محصن ، إنّه والله ، لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب ، إنّك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلّا قولك : «قتل إمامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه» ، فاستجاب له سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأتَ عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ، ورُبّ متمنّي أمر وطالبه ، اللهُ عزّ وجلّ يحول دونه بقدرته ، وربّما أُوتي المتمنّي أُمنيته وفوق أُمنيته .

ووالله ، ما لك في واحدة منهما خير ، لئن أخطأت ما ترجو إنّك لشرّ العرب حالاً في ذلك ، ولئن أصبت ما تمنّى لا تصيبه حتى تستحقّ من ربّك صُلِيَّ النار ،

---

(١) الطَّلُّ : هَدْرُ الدَّم (لسان العرب : ١١ / ٤٠٥).

فاتّقِ الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله.

فحمد الله [معاوية] وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ أوّل ما عرفتُ فيه سفهَك وخفّة حلمك، قطعُك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقَه، ثمّ عنيت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت ولؤمت أيُّها الأعرابي الجلف الجافي في كلّ ما ذكرت ووصفت. انصرفوا من عندي، فإنّه ليس بيني وبينكم إلّا السيف[1].

## ٧/٧

## بداية القتال

**٢٤٥٩ـ تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي ـ في بيان ابتداء الحرب في ذي الحجّة ـ:** أخذ عليّ يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة، ويخرج اليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة، فيقتتلان في خيلهما ورجالهما ثمّ ينصرفان، وأخذوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام لما يتخوّفون أن يكون في ذلك من الاستئصال والهلاك، فكان عليّ يُخرج مرّة الأشتر، ومرّة حجر بن عديّ الكندي، ومرّة شبث بن ربعي، ومرّة خالد بن المعمر، ومرّة زياد بن النضر الحارثي، ومرّة زياد بن خصفة التيمي، ومرّة سعيد بن قيس، ومرّة معقل بن قيس الرياحي، ومرّة قيس بن سعد، وكان أكثر القوم خروجاً اليهم الأشتر، وكان معاوية يُخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد المخزومي وأبا الأعور السلمي، ومرّة حبيب بن مسلمة الفهري، ومرّة ابن ذي الكلاع الحميري، ومرّة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومرّة شرحبيل بن السمط الكندي، ومرّة حمزة بن

---

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧٣، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٦٥؛ وقعة صفّين: ١٨٧ وفيه «شهر ربيع الآخر» بدل «أوّل ذي الحجّة» وراجع مروج الذهب: ٢ / ٣٨٧.

مالك الهمداني ، فاقتتلوا من ذي الحجّة كلّها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرّتين أوّله وآخره.

قال أبومخنف : حدّثني عبد الله بن عاصم الفائشي قال : حدثني رجل من قومي أنّ الأشتر خرج يوماً يقاتل بصفّين في رجال من القراء ورجال من فرسان العرب ، فاشتدّ قتالهم فخرج علينا رجل والله لقلّما رأيت رجلاً قطّ هو أطول ولا أعظم منه ، فدعا إلى المبارزة فلم يخرج إليه أحد إلّا الأشتر ، فاختلفا ضربتين فضربه الأشتر فقتله ، وأيمُ الله ، لقد كنا أشفقنا عليه ، وسألناه ألّا يخرج إليه ، فلمّا قتله الأشتر نادى منادٍ من أصحابه :

يا سهمُ سهم بن أبي العيزار ... يا خير مَن نعلمه من زار

وزارة : حيّ من الأزد . وقال : أقسم بالله لأقتلنّ قاتلك أو ليقتلني . فخرج فحمل على الأشتر وعطف عليه الأشتر فضربه ، فإذا هو بين يدي فرسه ، وحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحاً . فقال أبو رفيقة الفهمي : هذا كان ناراً فصادف إعصاراً . واقتتل الناس ذا الحجّة كلّه ، فلما انقضى ذو الحجّة تداعى الناس إلى أن يكفّ بعضهم عن بعض المحرم ، لعلّ الله أن يجري صلحاً أو اجتماعاً ، فكفّ بعضهم عن بعض[1].

## ٨/٧

## الهدنة رجاء الصلح

٢٤٦٠ـ تاريخ الطبري ـ في أخبار سنة ٣٧ ـ: كان في أول شهر منها وهو المحرّم موادعة الحرب بين عليّ ومعاوية ، قد توادعا على ترك الحرب فيه إلى انقضائه

---

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ٥٧٤ ؛ وقعة صفّين : ١٩٥.

طمعاً في الصلح[1].

٢٤٦١ ـ تاريخ الطبري عن المحلّ بن خليفة الطائي: لما توادع عليّ ومعاوية يوم صفين اختلف فيما بينهما الرسل رجاء الصلح، فبعث عليٌّ عديَّ بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة إلى معاوية.

فلما دخلوا حمد الله عديّ بن حاتم ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عزّ وجلّ به كلمتنا وأُمّتنا، ويحقن به الدماء ويؤمّن به السبل ويصلح به ذات البين. إنّ ابن عمّك سيّد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها في الإسلام أثراً، وقد استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذي رأوا، فلم يبق أحد غيرك وغير مَن معك، فانته يا معاوية لا يصبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل.

فقال معاوية: كأنّك إنما جئت متهدّداً لم تأتِ مصلحاً، هيهات يا عديّ! كلّا والله، إنّي لابنُ حرب ما يُقعقع لي بالشنان[2]، أما والله إنّك لمن المجلِبين على ابن عفان، وإنّك لمن قتلته، وإنّي لأرجو أن تكون ممن يقتل الله عزّ وجلّ به، هيهات يا عدي ابن حاتم! قد حلبت بالساعد الأشدّ.

فقال له شبث بن ربعي وزياد بن خصفة ـ وتنازعا جواباً واحداً ـ: أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فأقبلت تضرب لنا الأمثال، دع مالا يُنتفع به من القول والفعل، وأجبنا فيما يعمّنا وإيّاك نفعه.

وتكلّم يزيد بن قيس فقال: إنّا لم نأتك إلّا لنبلّغك ما بُعثنا به إليك، ولنؤدّي

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٥.

(٢) الشنان: جمع شنّ؛ وهو الخلق من كلّ آنية صنعت من جلد (تاج العروس: ١٨ / ٣٢٧).

عنك ما سمعنا منك ، ونحن على ذلك لم ندع أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظننا أنّ لنا عليك به حجة ، وأنّك راجع به إلى الألفة والجماعة .

إنّ صاحبنا مَن قد عرفت وعرف المسلمون فضله ، ولا أظنّه يخفى عليك ، إنّ أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعليّ ، ولن يميّلوا بينك وبينه ، فاتّقِ الله يا معاوية ولا تخالف عليّاً ، فإنّا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعمل بالتقوى ولا أزهد في الدنـيا ولا أجمع لخصال الخير كلّها منه .

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثمّ قال :

أمّا بعد ، فإنّكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأمّا الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي . وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنّا لا نراها ، إنّ صاحبكم قتل خليفتنا وفرّق جماعتنا وآوى ثأرنا وقتلتنا ، وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتله فـنحن لا نـردّ ذلك عليه ، أرأيتم قتلة صاحبنا ؟ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم ؟ فـليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ، ثمّ نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال له شبث : أ يسرّك يا معاوية أنّك أُمكنت من عمّار تقتله ؟

فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك ؟! والله لو أُمكنتُ من ابن سميّة مـا قـتلته بعثمان ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان .

فقال له شبث : وإله الأرض وإله السماء ما عدلت معتدلاً ، لا والذي لا إله إلّا هو لا تصل إلى عمّار حتى تندر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاء عليك برُحبها .

فقال له معاوية : إنّه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك أضيق .

وتفرّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خصفة التيمي

فخلا به ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أمّا بعد يا أخا ربيعة فإنّ عليّاً قطع أرحامنا وآوى قتلة صاحبنا ، وإنّي أسألك النصر عليه بأُسرتك وعشيرتك ، ثمّ لك عهد الله عزّ وجلّ وميثاقه أن أولّيك إذا ظهرتُ أيَّ المصرين أحببت .

قال أبو مخنف : فحدثني سعد أبو المجاهد عن المحل بن خليفة ، قال : سمعت زياد بن خصفة يحدّث بهذا الحديث .

قال : فلما قضى معاوية كلامه ، حمدت الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه ، ثمّ قلت : أمّا بعد ، فإنّي على بينة من ربّي وبما أنعم عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، ثمّ قمت .

فقال معاوية لعمرو بن العاص ـ وكان إلى جنبه جالساً ـ : ليس يكلّم رجل منّا رجلاً منهم فيجيب إلى خير ، مالهم عضبهم[1] الله بشرّ ! ما قلوبهم إلّا كقلب رجل واحد [2].

## ٧ / ٩

## مناقشات وفد معاوية

٢٤٦٢ ـ تاريخ الطبري عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود : إنّ معاوية بعث إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه وأنا عنده ، فحمد الله حبيب وأثنى عليه ثمّ قال :

أمّا بعد ، فإنّ عثمان بن عفان كان خليفة مهديّاً يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ وينيب إلى أمر الله تعالى ، فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه

---

(١) عضبه الله : يدعون عليه بقطع يديه ورجليه (تاج العروس : ٢ / ٢٤١).

(٢) تاريخ الطبري : ٥ / ٥ ؛ وقعة صفّين : ١٩٧.

فقتلتموه، فادفع إلينا قتلة عثمان ـ إن زعمت أنّك لم تقتله ـ نقتلهم به، ثمّ اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم، يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

فقال له عليّ بن أبي طالب: وما أنت لا أمّ لك والعزل وهذا الأمر، اِسكت فإنّك لست هناك ولا بأهل له.

فقام وقال له: والله لترينّي بحيث تكره.

فقال عليّ: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورَجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ، أحقرةً وسوءًا؟! اِذهب فصوّب وصعّد ما بدا لك.

و قال شرحبيل بن السمط: إنّي إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلّا مثل كلام صاحبي قبل، فهل عندك جواب غير الذي أجبته به؟

فقال عليّ: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبتُه به.

فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّ الله جلّ ثناؤه بعث محمّداً ﷺ بالحقّ فأنقذ به من الضلالة وانتاش[1] به من الهلكة وجمع به من الفرقة، ثمّ قبضه الله إليه وقد أدّى ما عليه ﷺ ثمّ استخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فأحسنا السيرة وعدلا في الأمّة، وقد وجدنا عليهما أن تولّيا علينا ونحن آل رسول الله ﷺ فغفرنا ذلك لهما، وولي عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه، فساروا إليه فقتلوه، ثمّ أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم فقالوا لي: بايع فأبيتُ عليهم، فقالوا لي: بايع فإنّ الأمّة لا ترضى إلّا بك وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس، فبايعتهم فلم يرعني إلّا شقاق رجلين قد بايعاني، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ له سابقة

---

(١) نَتَشْتُ الشيءَ بالمِنْتاشِ: أي استخرجتُه (لسان العرب: ٦/ ٣٥٠).

في الدين ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ وللمسلمين عدوّاً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين.

فلا غرو إلّا خلافكم معه وانقيادكم له وتدعون آل نبيّكم ﷺ الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً، ألا إنّي أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيه ﷺ وإماتة الباطل وإحياء معالم الدين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكلّ مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة.

فقالا: اشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً.

فقال لهما: لا أقول: إنّه قتل مظلوماً ولا إنّه قتل ظالماً.

قالا: فمن لم يزعم أنّ عثمان قتل مظلوماً فنحن منه برآء، ثمّ قاما فانصرفا.

فقال عليّ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ * وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

ثمّ أقبل عليّ على أصحابه فقال: لا يكن هؤلاء أولى بالجِدّ في ضلالهم منكم بالجِدّ في حقّكم وطاعة ربّكم[2].

## ٧ / ١٠

## الاستئناء رجاء الاهتداء

٢٤٦٣ ـ شرح نهج البلاغة: لمّا ملك أمير المؤمنين ﷺ الماء بصفّين، ثمّ سمح

---

(١) النمل: ٨٠ و ٨١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٧، البداية والنهاية: ٧ / ٢٥٩ نحوه وليس فيه من «وقال شرحبيل» إلى «ومسلم ومسلمة»؛ وقعة صفّين: ٢٠٠ وراجع تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٦٢٨.

لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة، رجاء أن يعطفوا إليه، واستمالةً لقلوبهم وإظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم، مكث أيّاماً لا يرسل إلى معاوية، ولا يأتيه من عند معاوية أحد.

واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال، وقالوا: يا أمير المؤمنين! خلّفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لنتّخذها وطناً؟! ائذن لنا في القتال، فإنّ الناس قد قالوا.

قال لهم عليه السلام: ما قالوا؟

فقال منهم قائل: إنّ الناس يظنّون أنّك تكره الحرب كراهية للموت، وإنّ من الناس من يظنّ أنّك في شكٍّ من قتال أهل الشام.

فقال عليه السلام: ومتى كنت كارهاً للحرب قطّ؟ إنّ من العجب حبّي لها غلاماً ويفعاً، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاد العمر وقرب الوقت!

وأمّا شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة، والله، لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعُني إلّا القتال، أو أن أعصي الله ورسوله، ولكنّي أستأني بالقوم، عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس[1].

٢٤٦٤ ـ الإمام عليّ عليه السلام ـ من كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفّين ـ: أمّا قولكم: أكُلّ ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أُبالي، دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ.

---

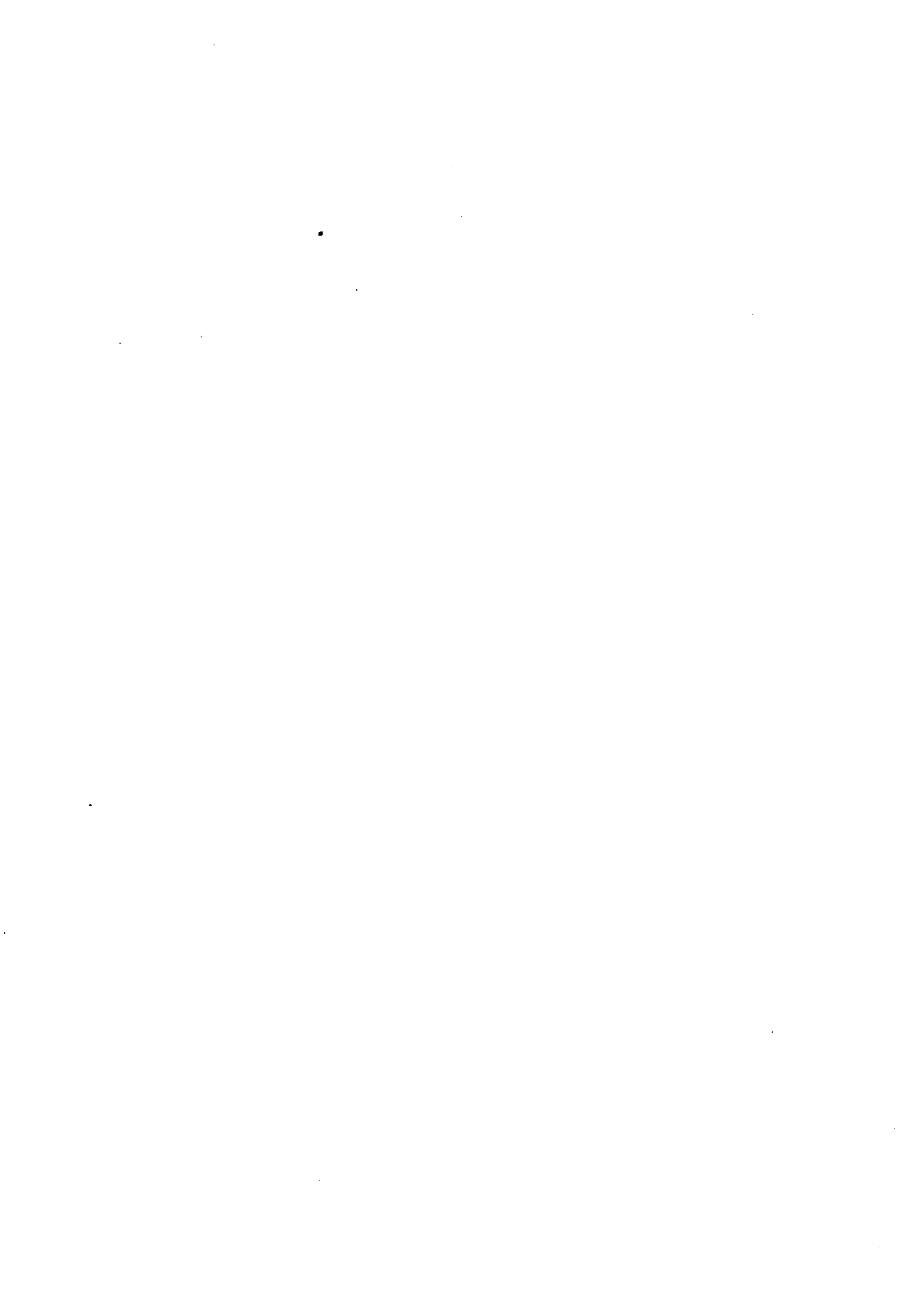
(١) شرح نهج البلاغة: ٤/ ١٣؛ بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٤٧.

وأمّا قولكم: شكّاً في أهل الشام، فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشو[١] إلى ضوئي، وذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها[٢].

---

(١) يعشو: يُبْصِرُ بها بَصَراً ضَعيفاً (النهاية: ٣/٢٤٣).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥٥، بحار الأنوار: ٣٢/٥٥٦/٤٦٤.



# الفَصلُ الثَّامِنُ

# القِتالُ

## ٨ / ١

## دعاءُ الإمام قبل القتال

**٢٤٦٥ ـ تاريخ الطبري عن زيد بن وهب الجهني**: إنّ عليّاً خرج إليهم غداة الأربعاء فاستقبلهم فقال: اللهمّ! ربّ السقف المرفوع المحفوظ المكفوف، الذي جعلته مَغيضاً[١] للّيل والنهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم، وجعلت سكّانه سِبطاً[٢] من الملائكة، لا يسأمون العبادة. وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوامّ والأنعام، وما لا يُحصى ممّا لا يُرى وممّا يُرى من خلقك العظيم. وربّ الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وربّ السحاب المسخَّر بين السماء والأرض، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم،

---

(١) غاضَه: أي نَقَصَهُ (لسان العرب: ٧ / ٢٠١).

(٢) السِّبْطُ: الأمّة والطائفةُ (النهاية: ٢ / ٣٣٤).

وربّ الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق متاعاً؛ إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي، وسدّدنا للحقّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة، واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة[1].

وزاد في البداية والنهاية: ثمّ تقدّم عليّ وهو في القلب في أهل المدينة، وعلى ميمنته يومئذٍ عبد الله بن بديل، وعلى الميسرة عبد الله بن عبّاس، وعلى القرّاء عمّار ابن ياسر وقيس بن سعد، والناس على راياتهم فزحف بهم إلى القوم[2].

**٢٤٦٦ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ يوم صفّين ـ: اللهمّ إليك رُفعت الأبصار، وبُسطت الأيدي، ونُقلت الأقدام، ودعت الألسن، وأفضت القلوب، وتحوكم إليك في الأعمال، فاحكم بيننا وبينهم بالحقّ وأنت خير الفاتحين. اللهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وقلّة عددنا وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا وشدّة الزمان وظهور الفتن. أعنّا عليهم بفتح تعجّله، ونصر تُعزّ به سلطان الحقّ وتظهره[3].

**٢٤٦٧ ـ عنه** عليه السلام ـ في دعائه عند ابتداء القتال يوم صفّين لمّا زحفوا باللواء ـ:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، اللهمّ إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، يا الله يا رحمن يا رحيم، يا أحد يا صمد يا إله محمّد، إليك نقلت الأقدام، وأفضت

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ١٤؛ نهج البلاغة: الخطبة ١٧١ وليس فيه من «وربّ الفلك» إلى «بالعالم»، مهج الدعوات: ١٣٣ عن يعقوب بن شعيب، المصباح للكفعمي: ٤٠٣ كلاهما عن الإمام الصادق عنه عليه السلام، وقعة صفّين: ٢٣٢، بحار الأنوار: ٩٤ / ٢٤١.

(٢) البداية والنهاية: ٧ / ٢٦٣.

(٣) وقعة صفّين: ٢٣١، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٦١ / ٣٩٩؛ شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٧٦ كلّها عن عبد الواحد بن حسّان العجلي عمّن حدّثه.

القلوب، وشخصت الأبصار، ومدّت الأعناق، وطلبت الحوائج، ورفعت الأيدي، اللهمّ افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين.

ثمّ قال: لا إله إلّا الله والله أكبر ـ ثلاثاً ـ[1].

## ٢/٨

## الأمر بالقتال

**٢٤٦٨ ـ الأخبار الطوال**: لما انسلخ المحرّم بعث عليّ مُنادِياً، فنادَى في عسكر معاوية عند غروب الشمس: إنّا أمسكنا لتنصرم الأشهر الحرم، وقد تصرّمت، وَإنّا نَنْبِذُ إليكم على سواء، إنّ الله لا يُحبُّ الخائنين[2].

**٢٤٦٩ ـ تاريخ الطبري عن جعفر بن حذيفة**: مكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ المحرّم أمر عليّ مرثد بن الحارث الجشمي، فنادى أهل الشام ـ عند غروب الشمس ـ: ألا إنّ أمير المؤمنين يقول لكم: إنّي قد استدمتكم لتراجعوا الحقّ وتنيبوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عزّ وجلّ، فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، ولم تجيبوا إلى حقّ، وإنّي قد نبذت إليكم على سواء، إنّ الله لا يحبُّ الخائنين.

ففزع أهل الشام إلى أُمرائهم ورؤسائهم، وخرج معاوية وعمرو بن العاص في الناس يكتّبان الكتائب ويعبّيان الناس، وأوقدوا النيران، وبات عليّ ليلته كلّها

---

(١) مهج الدعوات: ١٢٧، وقعة صفّين: ٤٧٧ عن جابر بن عُمير الأنصاري؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢١١، ينابيع المودّة: ٢ / ١١ وزاد فيها «اللهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا» قبل «اللهمّ افتح» وراجع كتاب سليم بن قيس: ٢ / ٩٠٢ / ٥٩.

(٢) الأخبار الطوال: ١٧١.

يعبّي الناس، ويكتّب الكتائب، ويدور في الناس يحرّضهم[1].

## ٨ / ٣

## تحريض الإمام أصحابه على القتال

**٢٤٧٠ ـ تاريخ دمشق عن ابن عبّاس**: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب، والله ما رأيت ولا سمعت رئيساً يوزن به، لرأيته ـ يوم صفّين ـ وعلى رأسه عمامة قد أرخى طرفيها كأنّ عينيه سراجا سليط وهو يقف على شرذمة يحضّهم حتى انتهى إليّ وأنا في كنف من الناس فقال:

معاشر المسلمين! استشعروا الخَشية، وغضّوا الأصوات، وتجَلبَبوا السكينة، واعملوا الأسنّة، وأقلقوا السيوف قبل السلّة، واطعنوا الرخر[2]، ونافِحوا بالظُّبا، وصِلُوا السيوف بالخُطا، والنبال بالرماح، فإنّكم بعين الله ومع ابن عمّ نبيّه ﷺ.

عاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ؛ فإنّه عارٌ باقٍ في الأعقاب والأعناق، ونار يومَ الحساب، وطِيبوا عن أنفسكم أنفساً، وامشوا إلى الموت أسحاً[3]، وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطيّب، فاضربوا ثَبَجَه[4]؛ فإنّ الشيطان

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ١٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧٠، مروج الذهب: ٢ / ٣٨٧، البداية والنهاية: ٧ / ٢٦٠ وليس فيهما من «ففزع ...» وكلّها نحوه؛ وقعة صفّين: ٢٠٣ عن عمر بن سعد.

(٢) كذا في المصدر، وفي نهج البلاغة: «الشَّزْر». والطَّعن الشَّزْر: ما كان عن يمين وشمال (لسان العرب: ٤ / ٤٠٤).

(٣) كذا في المصدر، ولعلّها من سَحَّ الماءَ وغيره يسحّه سَحّاً: إذا صبّه صبّاً متتابعاً كثيراً (لسان العرب: ٢ / ٤٧٦).

وفي نهج البلاغة: «سُجُحاً». والسُّجُح: السَّهلة (النهاية: ٢ / ٣٤٢).

(٤) الثَّبجَ: هو معظم الشيء وعواليه (مجمع البحرين: ١ / ٢٣٨).

راكب صعبه، ومفرش ذراعيه، قد قدّم للوثبة يداً، وأخّر للنُّكوص رجلاً، فصمداً صمداً حتى يتجلّى لكم عمود الدين ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾[1] [2].

**٢٤٧١ـ الكافي عن مالك بن أعين: حرّض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس بصفّين فقال:**

إنّ الله عزّ وجلّ دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، وتشفي بكم على الخير: والإيمان بالله والجهاد في سبيل الله، وجعل ثوابه مغفرة للذنب، ومساكن طيّبة في جنّات عدن، وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[3].

فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، فقدّموا الدارع وأخّروا الحاسر، وعضّوا على النواجذ؛ فإنّه أنبى للسيوف عن الهام[4]، والتووا على أطراف الرماح؛ فإنّه أمورُ[5] للأسنّة، وغضّوا الأبصار؛ فإنّه أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات؛ فإنّه أطرد للفشل وأولى بالوقار، ولا تميلوا براياتكم، ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلّا مع شجعانكم؛ فإنّ المانع للذمار، والصابر عند نزول الحقائق، هم أهل الحفاظ...

---

(١) محمّد: ٣٥.

(٢) تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٦٠، مروج الذهب: ٢ / ٣٨٩، عيون الأخبار لابن قتيبة: ١ / ١١٠؛ نهج البلاغة: الخطبة ٦٦ وفيه من «معاشر المسلمين»، خصائص الأئمّة ﷺ: ٧٥، بشارة المصطفى: ١٤١ كلّها نحوه.

(٣) الصفّ: ٤.

(٤) في المصدر: «أنبأ للسيوف على الهام»، والصحيح ما أثبتناه كما في بحار الأنوار نقلاً عن الكافي.

(٥) مَارَ الشيء مَوْراً: اضطرب وتحرّك (لسان العرب: ٥ / ١٨٦).

واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحفّون براياتهم ويكتنفونها ويصيرون حفافيها ووراءها وأمامها، ولا يضيعونها؛ لا يتأخّرون عنها فيسلّموها، ولا يتقدّمون عليها فيفردوها.

رحم الله امرأً واسى أخاه بنفسه، ولم يكلّ قرنه إلى أخيه فيجتمع قرنه وقرن أخيه، فيكتسب بذلك اللائمة، ويأتي بدناءة، وكيف لا يكون كذلك وهو يقاتل الاثنين؟! وهذا ممسك يده قد خلّى قرنه على أخيه هارباً منه ينظر إليه، وهذا فمن يفعله يمقته الله، فلا تعرضوا لمقت الله عزّ وجلّ فإنّما ممرّكم إلى الله، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

وأيمُ الله، لئن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيوف الآجلة، فاستعينوا بالصبر والصدق؛ فإنّما ينزل النصر بعد الصبر، فجاهدوا في الله حقّ جهاده ولا قوّة إلّا بالله[2].

## ٨ / ٤

## اليوم الأوّل من القتال

**٢٤٧٢ـ تاريخ الطبري عن القاسم مولى يزيد بن معاوية:** يخرج أهل العراق أحد عشر صفّاً، فخرجوا أوّل يوم من صفّين فاقتتلوا، وعلى من خرج يومئذٍ من أهل الكوفة الأشتر، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة، وذلك يوم الأربعاء، فاقتتلوا

---

(١) الأحزاب: ١٦.

(٢) الكافي: ٥ / ٣٩ / ٤، نهج البلاغة: الخطبة ١٢٤ وفيه من «فقدّموا الدارع...»، وقعة صفّين: ٢٣٥ عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن عن أبيه، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥٦٢ / ٤٦٨؛ تاريخ الطبري: ٥ / ١٦ عن أبي عمرة الأنصاري وكلّها نحوه.

قتالاً شديداً جلّ النهار، ثمّ تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض[١].

**٢٤٧٣ ـ مروج الذهب:** وأصبح عليّ يوم الأربعاء ـ وكان أوّل يوم من صفر ـ فعبّأ الجيش، وأخرج الأشتر أمام الناس، وأخرج إليه معاوية ـ وقد تصافّ أهل الشام وأهل العراق ـ حبيب بن مسلمة الفهري، وكان بينهم قتال شديد سائر يومهم، وأسفرت عن قتلى من الفريقين جميعاً، وانصرفوا[٢].

## ٥/٨

## اليوم الثاني من القتال

**٢٤٧٤ ـ تاريخ الطبري عن القاسم مولى يزيد بن معاوية ـ في ذكر أحداث اليوم الثاني من الحرب ـ:** خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدّتها، وخرج إليه أبو الأعور، فاقتتلوا يومهم ذلك، يحمل الخيل على الخيل، والرجال على الرجال، ثمّ انصرفوا وقد كان القوم صبر بعضهم لبعض[٣].

**٢٤٧٥ ـ مروج الذهب:** فلمّا كان يوم الخميس ـ وهو اليوم الثاني ـ أخرج عليّ هاشم ابن عتبة بن أبي وقّاص الزهري المرقال وهو ابن أخي سعد بن أبي وقّاص، وإنّما سمّي المرقال؛ لأنّه كان يُرقل[٤] في الحرب، وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة عليّ... فأخرج إليه معاوية أبا الأعور

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ١٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧١؛ وقعة صفّين: ٢١٤ وفيهما «صفر» بدل «صفّين».

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٣٨٧.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ١٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧١ نحوه؛ وقعة صفّين: ٢١٤.

(٤) الإرقال: ضَربٌ من الخَبَب؛ من قولهم: ناقة مِرقال؛ أي مُسرعة. وهو لقب هاشم بن عتبة الزهري؛ سُمّي به لشدّة اتّصافه بهذا الوصف (مجمع البحرين: ٢ / ٧٢٥).

السلَمي وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن عليّ، فكانت بينهم الحرب سجالاً، وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير[١].

## ٨ / ٦

## اليوم الثالث من القتال

**٢٤٧٦ـ تاريخ الطبري عن القاسم مولى يزيد بن معاوية:** خرج اليوم الثالث عمّار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص، فاقتتل الناس كأشدّ القتال، وأخذ عمّار يقول: يا أهل العراق! أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، فلمّا رأى الله عزّ وجلّ يعزّ دينه ويظهر رسوله أتى النبيّ ﷺ فأسلم، وهو فيما نرى راهب غير راغب؟ ثمّ قبض الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ! فوالله، إن زال بعده معروفاً بعداوة المسلم، وهوادة المجرم. فاثبتوا له وقاتلوه فإنّه يطفئ نور الله، ويظاهر أعداء الله عزّ وجلّ.

فكان مع عمّار زياد بن النضر على الخيل، فأمره أن يحمل في الخيل، فحمل، وقاتله الناس وصبروا له، وشدّ عمّار في الرجال، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه[٢].

**٢٤٧٧ـ الأخبار الطوال:** خرج يوماً آخر عمّار بن ياسر في خيل من أهل العراق، فخرج إليه عمرو بن العاص في ذلك، ومعه شُقّة سوداء على قناة.

فقال الناس: هذا لواء عقده رسول الله ﷺ.

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٨٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ١٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧١؛ وقعة صفّين: ٢١٤ وراجع مروج الذهب: ٢ / ٣٨٨.

فقال عليّ عليه السلام : أنا مخبركم بقصّة هذا اللواء : هـذا لواء عـقده رسـول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : مَن يأخذه بحقّه ؟

فقال عمرو : وما حقّه يا رسول الله ؟

فقال : لا تفرّ به من كافر ، ولا تقاتل به مسلماً .

فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد قاتل به المسلمين اليوم .

فاقتتل عمرو وعمّار ذلك اليوم كلّه[١] .

## ٨ / ٧

## اليوم الرابع من القتال

**٢٤٧٨ ـ تاريخ الطبري عن القاسم مولى يزيد بن معاوية ـ في ذكر أحداث اليوم الرابع من الحرب ـ :** خرج محمّد بن عليّ وعبيد الله بن عمر في جمعين عظيمين ، فاقتتلوا كأشدّ القتال . ثمّ إنّ عبيد الله بن عمر أرسل إلى ابن الحنفيّة : أن اخـرج إليَّ .

فقال : نعم . ثمّ خرج يمشي ، فـبصر بـه أمـير المـؤمنين فـقال : مـن هـذان المتبارزان ؟

فقيل : ابن الحنفيّة ، وعبيد الله بن عمر ، فحرّك دابّته ثمّ نادى محمّداً ، فـوقف له .

فقال : أمسك دابّتي ، فأمسكها ، ثمّ مشى إليه عليّ فقال : أبرز لك ، هلمّ إليَّ .

فقال : ليست لي في مبارزتك حاجة ، فقال : بلى ، فقال : لا .

---

(١) الأخبار الطوال : ١٧٤ ؛ وقعة صفّين : ٢١٥ عن يونس بن الأرقم عن شيخ من بكر بن وائل نحوه .

فرجع ابن عمر. فأخذ ابن الحنفيّة يقول لأبيه: يا أبتِ! لِمَ منعتني من مبارزته؟ فوالله، لو تركتني لرجوتُ أن أقتله.

فقال: لو بارزتَه لرجوتُ أن تقتله، وما كنت آمن أن يقتلك[1].

**٢٤٧٩ ـ وقعة صفّين عن عمر بن سعد:** إنّ عبيد الله بن عمر تقدّم في اليوم الرابع، ولم يترك فارساً مذكوراً، وجمع من استطاع.

فقال له معاوية: إنّك تلقى أفاعي أهل العراق فارفق واتّئد.

فلقيه الأشتر أمام الخيل مُزبداً ـ وكان الأشتر إذا أراد القتال أزيد ـ... وشدّ على الخيل خيل الشام فردّها، فاستحيا عبيد الله فبرز أمام الخيل ـ وكان فارساً شجاعاً ـ... فحمل عليه الأشتر فطعنه، واشتدّ الأمر، وانصرف القوم وللأشتر الفضل، فغمّ ذلك معاوية[2].

**٢٤٨٠ ـ الفتوح ـ في ذكر وقائع صفّين ـ:** خرج الأشتر... فخرج إليه عبيد الله بن عمر ابن الخطّاب... ثمّ دنا الأشتر وليس يعرفه.

فقال له: من أنت أيّها الفارس؟! فإنّي لا أُبارز إلّا كفؤاً.

قال: أنا مالك بن الحارث النخعي.

قال: فصمت عبيد الله بن عمر ساعة ثمّ قال: يا مالك! والله لو علمتُ أنّك الداعي إلى البراز لما خرجتُ إليك، فإن رأيتَ أن أرجع عنك فعلت منعماً.

فقال الأشتر: ألا تخاف العار أن ترجع عنّي وأنا رجل من اليمن وأنت فتى من قريش؟!

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ١٢، الأخبار الطوال: ١٧٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧١، البداية والنهاية: ٧ / ٢٦٢ كلاهما نحوه؛ وقعة صفّين: ٢٢١ عن عمرو بن شَمِر.

(٢) وقعة صفّين: ٤٢٩، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥١٣ / ٤٣٦؛ شرح نهج البلاغة: ٨ / ٧١.

فقال : لا والله ما أخاف العار إذا رجعتُ عن مثلك .

فقال له الأشتر : فارجع إذاً ولا تخرج إلّا إلى من تعرفه[١].

## ٨ / ٨

## اليوم الخامس من القتال

**٢٤٨١ ـ وقعة صفّين عن الزهري ـ** في ذكر أحداث اليوم الخامس من الحرب ـ: خرج في ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري ، فلحق بعليّ عليه السلام في ناس من قرّاء أهل الشام ، ففتّ ذلك في عضد معاوية وعمرو بن العاص .

وقال عمرو : يا معاوية ! إنّك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمّد صلى الله عليه وآله قرابة قريبة ، ورحم ماسّة ، وقدم في الإسلام لا يعتدّ أحد بمثله ، ونجدة[٢] في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله ، وإنّه قد سار إليك بأصحاب محمّد صلى الله عليه وآله المعدودين ، وفرسانهم وقرّائهم وأشرافهم وقدمائهم في الإسلام ، ولهم في النفوس مهابة .

فبادر بأهل الشام مخاشن الوعر ، ومضايق الغَيض ، واحملهم على الجهد ، وأْتِهم من باب الطمع قبل أن ترفّههم فيحدث عندهم طول المقام مللاً ، فيظهر فيهم كآبة الخذلان . ومهما نسيت فلا تنس أنّك على باطل .

فلمّا قال عمرو لمعاوية ذلك زوّق معاوية خطبة ، وأمر بالمنبر فأُخرج ، ثمّ أمر أجناد أهل الشام فحضروا خطبته ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

أيّها الناس ! أعيرونا أنفسكم وجماجمكم ، لا تفشلوا ولا تخاذلوا ، فإنّ اليوم

---

(١) الفتوح : ٣ / ٤٥ .

(٢) النَّجدة : الشِّدة والشَّجاعة ، ورجلٌ نَجِدٌ ونَجُدٌ : أي شديد البأس (النهاية : ٥ / ١٨).

يوم خطار، ويوم حقيقة وحفاظ، فإنّكم على حقّ وبأيديكم حجّة، وإنّما تقاتلون من نكث البيعة، وسفك الدم الحرام، فليس له في السماء عاذر.

ثمّ صعد عمرو بن العاص مرقاتين من المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس! قدّموا المستلئمة، وأخّروا الحاسر، وأعيروا جماجمكم ساعة؛ فقد بلغ الحقّ مقطعه، وإنّما هو ظالم ومظلوم[1].

٢٤٨٢ ـ تاريخ الطبري: فلمّا كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن عبّاس والوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودنا ابن عبّاس من الوليد بن عقبة، فأخذ الوليد يسبّ بني عبد المطّلب، وأخذ يقول: يابن عبّاس! قطّعتم أرحامكم، وقتلتم إمامكم، فكيف رأيتم صنع الله بكم؟! لم تُعطَوا ما طلبتم، ولم تُدركوا ما أمّلتم، واللهُ إن شاء مهلككم وناصر عليكم.

فأرسل إليه ابن عبّاس: أن ابرز لي، فأبى. وقاتل ابن عبّاس يومئذٍ قتالاً شديداً، وغشي الناس بنفسه[2].

## ٨ / ٩

## اليوم السادس من القتال

٢٤٨٣ ـ تاريخ الطبري: خرج قيس بن سعد الأنصاري، وابن ذي الكلاع الحميري فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ انصرفا. وذلك في اليوم السادس[3].

---

(١) وقعة صفّين: ٢٢٢، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٦٣ / ٤٠٢؛ شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٨٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ١٣، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧١، الأخبار الطوال: ١٧٥ كلاهما نحوه وفيه «عتبة» بدل «عقبة»؛ وقعة صفّين: ٢٢١ وراجع مروج الذهب: ٢ / ٣٨٨.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ١٣، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧٢ نحوه.

**٢٤٨٤ ـ مروج الذهب** : أخرج عليّ في اليوم السادس ـ وهو يوم الإثنين ـ سعيد بن قيس الهمداني ، وهو سيّد همدان يومئذٍ ، فأخرج إليه معاوية ذا الكَلاَع ، وكانت [الحرب] بينهما إلى آخر النهار ، وأسفرت عن قتلى ، وانصرف الفريقان جميعاً[1] .

## ٨ / ١٠

## اليوم السابع من القتال

**٢٤٨٥ ـ تاريخ الطبري** ـ في ذكر أحداث اليوم السابع من الحرب ـ : خرج الأشتر ، وعاد إليه حبيب بن مسلمة اليومَ السابع ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، ثمّ انصرفا عند الظهر ، وكلٌّ غير غالب . وذلك يوم الثلاثاء[2] .

**٢٤٨٦ ـ مروج الذهب** : وأخرج عليّ في اليوم السابع ـ وهو يوم الثلاثاء ـ الأشتر في النخع وغيرهم ، فأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، فكانت الحرب بينهم سجالاً ، وصبر كلا الفريقين وتكافؤوا وتواقفوا للموت ثمّ انصرف الفريقان وأسفرت عن قتلى منهما ، والجراح في أهل الشام أعمّ[3] .

---

(١) مروج الذهب : ٢ / ٣٨٩.

(٢) تاريخ الطبري : ٥ / ١٣ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٧٢.

(٣) مروج الذهب : ٢ / ٣٨٩.

الفَصلُ التَّاسِعُ

# إشتداد القتال

## ٩ / ١

## القتال الجماعي

٢٤٨٧ ـ تاريخ الطبري عن زيد بن وهب : أنّ عليّاً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ! فقام في الناس عشيّة الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر ، فقال :

الحمد لله الذي لايُبرم ما نقض ، وما أبرم لا ينقضه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأُمّة في شيء من أمره ، ولاجحد المفضول ذا الفضل فضله . وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار ، فلفّت بيننا في هذا المكان ، فنحن من ربّنا بمرأى ومسمع ، فلو شاء عجّل النقمة ، وكان منه التغيير ، حتى يكذّب الله الظالم ، ويعلم الحقّ أين مصيره ، ولكنّه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار ؛ ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ

أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى﴾(١).

ألا إنّكم لاقو القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله عزّ وجلّ النصر والصبر، والقوهم بالجدّ والحزم، وكونوا صادقين.

ثمّ انصرف، ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها، ومرّ بهم كعب بن جعيل التغلبي وهو يقول:

| | |
|---|---|
| أصبحتِ الأُمّةُ في أمرٍ عَجبْ | والمُلك مجموعٌ غداً لِمن غَلَبْ |
| فقلتُ قَولاً صادقاً غيرَ كَذِبْ | إنّ غَداً تَهلكُ أعلامُ العربْ(٢) |

**٢٤٨٨ ـ الأخبار الطوال:** حمل حبيب بن مسلمة ـ وكان على ميسرة معاوية ـ على ميمنة عليّ ﷺ، فانكشفوا وجالوا جولة. ونظر عليّ إلى ذلك، فقال لسهل بن حنيف: انهض فيمن معك من أهل الحجاز حتى تعين أهل الميمنة.

فمضى سهل فيمن كان معه من أهل الحجاز نحو الميمنة، فاستقبلهم جموع أهل الشام، فكشفوه ومن معه حتى انتهوا إلى عليّ ـ وهو في القلب ـ فجال القلب وفيه عليّ جولة، فلم يبقَ مع عليّ إلّا أهل الحفاظ والنجدة. فحثّ عليّ فرسه نحو ميسرته، وهم وقوف يقاتلون من بإزائهم من أهل الشام ـ وكانوا ربيعة ـ.

قال زيد بن وهب: فإنّي لأنظر إلى عليّ وهو يمرّ نحو ربيعة، ومعه بنوه: الحسن والحسين ومحمّد، وإنّ النبل ليمرّ بين أُذنيه وعاتقه، وبنوه يقونه بأنفسهم.

---

(١) النجم: ٣١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ١٣، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧٢، البداية والنهاية: ٧ / ٢٦٢؛ وقعة صفّين: ٢٢٥ عن يزيد بن وهب.

فلمّا دنا عليّ من الميسرة وفيها الأشتر، وقد وقفوا في وجوه أهل الشام يجالدونهم، فناداه عليّ، وقال: ائتِ هؤلاء المنهزمين، فقل: أين فراركم من الموت الذي لم تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم!

فدفع الأشتر فرسه، فعارض المنهزمين، فناداهم: أيّها الناس! إليَّ إليَّ، أنا مالك ابن الحارث، فلم يلتفتوا إليه، فظنّ أنّه بالاستعراف، فقال: أيّها الناس! أنا الأشتر، فثابوا[1] إليه، فزحف بهم نحو ميسرة أهل الشام، فقاتل بهم قتالاً شديداً حتى انكشف أهل الشام[2].

**٢٤٨٩ ـ** تاريخ الطبري عن زيد بن وهب: إنّ علياً لمّا رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها ومصافّها، وكشفت من بإزائها من عدوّها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم، فقال:

إنّي قد رأيت جولتكم، وانحيازكم عن صفوفكم، يحوزكم الطغاة الجفاة وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم[3] العرب، والسنام الأعظم، وعُمّار الليل بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحقّ إذ ضلّ الخاطئون.

فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكرّكم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولّي يوم الزحف دبره، وكنتم من الهالكين، ولكن هوّنَ وَجْدي وشفى بعض أُحاح[4] نفسي أنّي رأيتكم بأخرة، حُزتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن

---

(١) ثاب القوم: أتوا متواترين (لسان العرب: ١/ ٢٤٤).

(٢) الأخبار الطوال: ١٨٢ وراجع تاريخ الطبري: ٥/ ١٨ ـ ٢١ والكامل في التاريخ: ٢/ ٣٧٣ والبداية والنهاية: ٧/ ٢٦٥ ووقعة صفّين: ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

(٣) هي جمع لُهْمُوم؛ وهو الجواد من الناس والخيل (النهاية: ٤/ ٢٨٢).

(٤) الأُحاح: الغليظ (تاج العروس: ٤/ ٣).

مصافّهم كما أزالوكم، تحسّونهم بالسيوف، تركب أُولاهم أُخراهم كالإبل المطردة الهيم[١].

فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينة، وثبّتكم الله عزّ وجلّ باليقين، ليعلم المنهزم أنّه مسخط ربّه، وموبق نفسه، إنّ في الفرار موجدة الله عزّ وجلّ عليه، والذلّ اللازم، والعار الباقي، واعتصار الفيء من يده، وفساد العيش عليه. وإنّ الفارّ منه لا يزيد في عمره، ولا يرضي ربّه، فموت المرء محقّاً قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتأنيس[٢] لها، والإقرار عليها[٣].

**٢٤٩٠ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ حين مرّ براية لأهل الشام أصحابها لا يزولون عن مواضعهم ـ: إنّهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دِراك[٤]، يخرج منه النسيم[٥]، وضرب يفلق الهام، ويُطيح العظام، ويسقط منه المعاصم والأكفّ، حتى تصدع جباههم بعمد الحديد، وتنثر حواجبهم على الصدور والأذقان! أين أهل الصبر وطلّاب الأجر؟!

فسارت إليه عصابة من المسلمين، فعادت ميمنته إلى موقفها ومصافّها، وكشفت من بإزائها، فأقبل حتى انتهى إليهم[٦].

---

(١) الهيم: الإبل العطاش (مجمع البحرين: ٣/ ١٨٩٤).

(٢) الإيناس: خلاف الايحاش، وكذلك التأنيس (لسان العرب: ٦/ ١٤).

(٣) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٥؛ وقعة صفّين: ٢٥٦، الكافي: ٥/ ٤٠/ ٤ عن مالك بن أعين نحوه وراجع نهج البلاغة: الخطبة ١٠٧.

(٤) دِراك: متتابع (لسان العرب: ١٠/ ٤٢٠).

(٥) النَّسيم: العرق (لسان العرب: ١٢/ ٥٧٦).

(٦) الكافي: ٥/ ٤٠/ ٤ عن مالك بن أعين، الإرشاد: ١/ ٢٦٧، وقعة صفّين: ٣٩١ عن عامر الشعبي وليس فيهما ذيله وراجع نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣.

## ٩ / ٢

# استشهاد عبد الله بن بديل

**٢٤٩١ ـ تاريخ الطبري عن أبي روق الهمداني :** قاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة قتالاً شديداً ، حتى انتهى إلى قبّة معاوية . ثمّ إنّ الذين تبايعوا على الموت أقبلوا إلى معاوية ، فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل في الميمنة ؛ وبعث إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة ، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم ، وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبقَ منهم إلّا ابن بديل في مائتين أو ثلاثمائة من القرّاء ، قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض ، وانجفل[1] الناس .

فأمر عليّ سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة ، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة ، فاحتملتهم حتى ألحقتهم بالميمنة ، وكان في الميمنة إلى موقف عليّ في القلب أهل اليمن ، فلمّا كشفوا انتهت الهزيمة إلى عليّ ، فانصرف يتمشّى نحو الميسرة ، فانكشفت عنه مضر من الميسرة ، وثبتت ربيعة[2] .

**٢٤٩٢ ـ تاريخ الطبري عن فضيل بن خديج عن مولى للأشتر ـ** لمّا كشف الأشتر عن عبد الله بن بديل وأصحابه أهلَ الشام وعلموا أنّ عليّاً ﷺ حيّ صالح في الميسرة ـ : قال عبد الله بن بديل لأصحابه : استقدموا بنا ، فأرسل الأشتر إليه : ألّا تفعل ، اثبت مع الناس فقاتل ؛ فإنّه خير لهم ، وأبقى لك ولأصحابك . فأبى ، فمضى كما هو نحو معاوية ، وحوله كأمثال الجبال ، وفي يده سيفان ، وقد خرج

---

(١) انجفلَ القومُ : إذا هربوا بسرعة وانقلعوا كلّهم ومضوا (لسان العرب : ١١ / ١١٤).

(٢) تاريخ الطبري : ٥ / ١٨ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٧٣ ؛ وقعة صفّين : ٢٤٨.

فهو أمام أصحابه، فأخذ كلّما دنا منه رجل ضربه فقتله، حتى قتل سبعة.

ودنا من معاوية، فنهض إليه الناس من كلّ جانب، واُحيط به وبطائفة من أصحابه، فقاتل حتى قتل، وقتل ناس من أصحابه، ورجعت طائفة قد جرحوا منهزمين.

فبعث الأشتر ابن جمهان الجعفي فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من نجا من أصحاب ابن بديل حتى نفّسوا عنهم وانتهوا إلى الأشتر[1].

**٢٤٩٣ ـ وقعة صفّين عن الشعبي**: كان عبد الله بن بديل الخزاعي مع عليّ يومئذ، وعليه سيفان ودرعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قُدماً... فلم يزَل يحمل حتى انتهى إلى معاوية والذين بايعوه على الموت، فأمرهم أن يصمدوا لعبد الله بن بديل، وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري ـ وهو في الميسرة ـ أن يحمل عليه بجميع من معه، واختلط الناس واضطرم الفيلقان؛ ميمنة أهل العراق، وميسرة أهل الشام، وأقبل عبد الله بن بديل يضرب الناس بسيفه قُدماً حتى أزال معاوية عن موقفه.

وجعل ينادي: يالثارات عثمان! يعني أخاً كان له قد قُتل وظنّ معاوية وأصحابه أنّه إنّما يعني عثمان بن عفّان.

وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً، وأشفق على نفسه، وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرّة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه. ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها، حتى لم يبقَ مع ابن بديل إلّا نحو مائة إنسان من القرّاء، فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم، ولجّج ابن

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٢٣، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧٥.

بديل في الناس وصمّم على قتل معاوية، وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى إليه [ومع معاوية][١] عبد الله بن عامر واقفاً.

فنادى معاوية بالناس: ويلكم، الصخر والحجارة إذا عجزتم عن السلاح! فأقبل أصحاب معاوية على عبد الله بن بديل يرضخونه بالصخر، حتى أثخنوه وقُتل الرجل، وأقبل إليه معاوية وعبد الله بن عامر حتى وقفا عليه، فأمّا عبد الله بن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحّم عليه، وكان له من قبل أخاً وصديقاً، فقال معاوية: اكشف عن وجهه. فقال: لا والله، لا يمثّل به وفيَّ روح. فقال معاوية: اكشف عن وجهه، فإنّا لا نمثّل به، فقد وهبته لك. فكشف ابن عامر عن وجهه، فقال معاوية: هذا كبش القوم[٢] وربّ الكعبة[٣].

راجع: القسم السادس عشر / عبدالله بن بديل.

## ٩ / ٣

# استشهاد أبي الهيثم بن التيّهان

٢٤٩٤ـ شرح نهج البلاغة عن نصر: أقبل أبو الهيثم بن التيّهان ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، بدريّاً، نقيباً عقبيّاً ـ يسوّي صفوف أهل العراق، ويقول: يا معشر أهل العراق! إنّه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل والجنّة في الآجل إلّا ساعة من النهار، فأرسوا أقدامكم، وسوّوا صفوفكم، وأعيروا ربّكم جماجمكم. استعينوا

---

(١) ما بين المعقوفين أثبتناه من شرح نهج البلاغة.

(٢) كبش القوم: رئيسهم وسيّدهم وقيل: حاميتهم والمنظور إليه فيهم. (لسان العرب: ٦ / ٣٣٨).

(٣) وقعة صفّين: ٢٤٥؛ شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٩٦ وراجع الأخبار الطوال: ١٧٥ والاستيعاب: ٣ / ٩ / ١٤٨٩ وتاريخ الطبري: ٥ / ٢٣ والكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧٥ وتاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٥٦٧.

بالله إلهكم، وجاهدوا عدوّ الله وعدوّكم، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم، واصبروا فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين[١] [٢].

٢٤٩٥ ـ المناقب لابن شهر آشوب ـ في ذكر حرب صفّين ـ: قال أمير المؤمنين: فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنّة؟! فبرز أبو الهيثم بن التيّهان قائلاً:

أحـمَدُ ربّـي فَـهوَ الحَـميدُ ذاكَ الذي يَفعلُ مـا يُـريدُ

دِينٌ قويمٌ وهو الرشيدٌ

فقاتل حتى قُتل[٣].

## ٩ / ٤

## استشهاد أُويس بن عامر القرني

٢٤٩٦ ـ رجال الكشّي عن الأصبغ بن نباتة: كنّا مع عليّ عليه السلام بصفّين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، ثمّ قال: أين تمام المائة؛ لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبايعني في هذا اليوم مائة رجل!

قال: إذ جاء رجل عليه قباء صوف، متقلّداً بسيفين، فقال: ابسط يدك أُبايعك. قال عليّ عليه السلام: علامَ تبايعني؟

قال: على بذل مهجة نفسي دونك.

قال: من أنت؟

(١) إشارة إلى الآية ١٢٨ من سورة الأعراف.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٩٠؛ بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٦٧ / ٤٠٥.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٨٠، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥٨٧.

قال: أنا أُويس القرني.

فبايعه، فلم يزَل يقاتل بين يديه حتى قُتل، فوجد في الرجّالة[١].

٢٤٩٧ـ المستدرك على الصحيحين عن أبي مكين: رأيت امرأة في مسجد أُويس القرني قالت: كان يجتمع هو وأصحاب له في مسجدهم هذا يصلّون، ويقرؤون في مصاحفهم، فآتي غداءهم وعشاءهم هاهنا حتى يصلّوا الصلوات.

قالت: وكان ذلك دأبهم ما شهدوا حتى غزوا، فاستشهد أُويس وجماعة من أصحابه في الرجّالة بين يدي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين[٢].

٢٤٩٨ـ المستدرك على الصحيحين عن عليّ بن حكيم عن شريك: ذكروا في مجلسه أُويس القرني، فقال: قتل مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الرجّالة[٣].

٢٤٩٩ـ تاريخ دمشق عن سعيد بن المسيب ـ في ذكر أُويس القرني ـ: عاد في أيّام عليّ فقاتل بين يديه، فاستشهد في صفّين أمامه، فنظروا فإذا عليه نيّف وأربعون جراحة، من طعنة، وضربة، ورمية[٤].

## ٥/٩

## قتال هاشم بن عتبة وتوبة شابّ

٢٥٠٠ـ تاريخ الطبري عن أبي سلمة: إنّ هاشم بن عتبة الزهري دعا الناس عند

---

(١) رجال الكشّي: ١/٣١٥/١٥٦، خصائص الأئمّة عليهم السلام: ٥٣ وراجع المستدرك على الصحيحين: ٣/٤٥٥/٥٧١٨ وشرح الأخبار: ٢/١٢/٤٠٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣/٤٦١/٥٧٢٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣/٤٦٠/٥٧٢٧.

(٤) تاريخ دمشق: ٩/٤٣٤، سير أعلام النبلاء: ٤/٣٢/٥ نحوه.

المساء : ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإليّ . فأقبل إليه ناس كثير ، فشدّ في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً ، فليس من وجه يحمل عليه إلّا صبر له وقاتل فيه قتالاً شديداً .

فقال لأصحابه : لا يهولنّكم ما ترون من صبرهم ، فوالله ما ترون فيهم إلّا حميّة العرب ، وصبراً تحت راياتها وعند مراكزها ، وإنّهم لعلى الضلال وإنّكم لعلى الحقّ ، ياقوم اصبروا ، وصابروا ، واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدوّنا على تؤدَة[1] رويداً ، ثمّ اثبتوا ، وتناصروا ، واذكروا الله ، ولا يسأل رجل أخاه ، ولا تُكثروا الالتفات ، واصمدوا صمدهم ، وجاهدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .

ثمّ إنّه مضى في عصابة معه من القرّاء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه عند المساء ، حتى رأوا بعض ما يسرّون به . فإنّهم لكذلك إذ خرج عليهم فتى شابّ وهو يقول :

أنا ابنُ أربابِ الملوك غسّان ... والدائن اليوم بدينِ عثمان

إنّي أتاني خبرٌ فأشجان ... أنّ عليّاً قتلَ ابن عفّان

ثمّ يشدّ فلا ينثني حتى يضرب بسيفه ، ثمّ يشتم ويلعن ويكثر الكلام .

فقال له هاشم بن عتبة : يا عبد الله ، إنّ هذا الكلام بعده الخصام ، وإن هذا القتال بعده الحساب ، فاتّقِ الله فإنّك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به .

قال : فإنّي أُقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي ـ كما ذكر لي ـ وأنتم لا تصلّون

---

(١) التؤدَة : التأنّي (لسان العرب : ٢ / ١٠١).

أيضاً، وأُقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم أردتموه على قتله.

فقال له هاشم: وما أنت وابن عفّان! إنّما قتله أصحاب محمّد وأبناء أصحابه وقرّاء الناس حين أحدث الأحداث وخالف حكم الكتاب، وهم أهل الدين وأولى بالنظر في أُمور الناس منك ومن أصحابك، وما أظنّ أمر هذه الأُمّة وأمر هذا الدين أُهمل طرفة عين.

فقال له: أجل، والله لا أكذب؛ فإنّ الكذب يضرّ ولا ينفع

قال: فإنّ أهل هذا الأمر أعلم به، فخلّه وأهل العلم به.

قال: ما أظنّك والله إلّا نصحت لي.

قال: وأمّا قولك: «إنّ صاحبنا لا يصلّي» فهو أوّل من صلّى مع رسول الله، وأفقه خلق الله في دين الله، وأولى بالرسول. وأمّا كلّ من ترى معي فكلّهم قارئ لكتاب الله، لا ينام الليل تهجّداً، فلا يغوينّك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون.

فقال الفتى: يا عبد الله إنّي أظنّك امرأً صالحاً، فتخبرني هل تجد لي من توبة؟

فقال: نعم يا عبد الله، تب إلى الله يتُب عليك؛ فإنّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات ويحب المتطهّرين.

قال: فجشر والله الفتى الناس راجعاً.

فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي، خدعك العراقي.

قال: لا، ولكن نصح لي[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٢؛ وقعة صفّين: ٣٥٣، الدرجات الرفيعة: ٣٧٨.

## ٩ / ٦

# استشهاد هاشم بن عتبة

**٢٥٠١ ـ وقعة صفّين عن حبيب بن أبي ثابت** : لمّا كان قتال صفّين والراية مع هاشم بن عتبة ـ قال : ـ جعل عمّار بن ياسر يتناوله بالرمح ويقول : أقدم يا أعور !

لا خير في أعور لا يأتي الفزع

فجعل يستحيي من عمّار ، وكان عالماً بالحرب ، فيتقدّم فيركز الراية ، فإذا تتامّت إليه الصفوف قال عمّار : أقدم يا أعور !

لا خير في أعور لا يأتي الفزع

فجعل عمرو بن العاصِ يقول : إنّي لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً ، لئن دام على هذا لتُفنَينّ العرب اليوم .

فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وجعل عمّار يقول : صبراً عباد الله ! الجنّة تحت ظلال البيض ، وكان لواء الشام مع أبي الأعور السلمي .

ولم يزل عمّار بهاشم ينخسه حتى اشتدّ القتال ، وزحف هاشم بالراية يرقل بها إرقالاً ، وكان يسمّى : المرقال[1] .

**٢٥٠٢ ـ وقعة صفّين** : إنّ عليّاً دعا في هذا اليوم هاشم بن عتبة ومعه لواؤه ـ وكان أعور ـ فقال له : يا هاشم ، حتى متى تأكل الخبز ، وتشرب الماء ؟

فقال هاشم : لأجهدنّ على ألّا أرجع إليك أبداً .

---

(١) وقعة صفّين : ٣٢٨ ، الدرجات الرفيعة : ٣٧٨ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٢٦ / ٣٨٠ ؛ شرح نهج البلاغة : ٨ / ١٢ وليس فيه «يرقل بهاء إرقالاً ...» .

قال عليّ : إنّ بإزائك ذا الكلاع ، وعنده الموت الأحمر ؟

فتقدّم هاشم ، فلمّا أقبل قال معاوية : من هذا المقبل ؟ فقيل : هاشم المرقال. فقال : أعور بني زهرة ؟ قاتله الله ! وقال : إنّ حماة اللواء ربيعة ، فأجيلوا القداح فمن خرج سهمه عبّيته لهم ، فخرج سهم ذي الكلاع لبكر بن وائل ، فقال : ترّحك الله من سهم كرهت الضراب.

وإنّما كان جلّ أصحاب عليّ أهل اللواء من ربيعة ؛ لأنّه أمر حماة منهم أن يحاموا عن اللواء.

فأقبل هاشم ... وحمل صاحب لواء ذي الكلاع وهو رجل من عذرة ... فاختلفا طعنتين ، فطعنه هاشم فقتله ، وكثرت القتلى ، وحمل ذو الكلاع فاجتلد الناس ، فقتلا جميعاً ، وأخذ ابن هاشم اللواء[١].

**٢٥٠٣ ـ مروج الذهب** : صمد هاشم بن عتبة المرقال لذي الكلاع وهو في حمير ، فحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع ... فاختلفا طعنتين ، فطعنه هاشم المرقال فقتله ، وقتل بعده تسعة عشر رجلاً.

وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ، ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا ألّا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا.

فاجتلد الناس ، فقُتل هاشم المرقال ، وقُتل ذو الكلاع جميعاً ، فتناول ابن المرقال اللواء حين قُتل أبوه في وسط المعركة[٢].

**٢٥٠٤ ـ مروج الذهب** : إنّ هاشماً المرقال لمّا وقع إلى الأرض وهو يجود بنفسه

---

(١) وقعة صفّين : ٣٤٦، الدرجات الرفيعة : ٣٨ نحوه ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٤ / ٣٨٠؛ شرح نهج البلاغة : ٨ / ٢٨.

(٢) مروج الذهب : ٢ / ٣٩٣.

رفع رأسه، فإذا عبيد الله بن عمر مطروحاً إلى قربه جريحاً، فحَبا حتى دنا منه، فلم يَزل يعضّ على ثدييه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوّة(١).

**٢٥٠٥ ـ الأخبار الطوال**: دفع [عليّ عليه السلام] رايته العظمى إلى هاشم بن عتبة، فقاتل بها نهاره كلّه، فلمّا كان العشي انكشف أصحابه انكشافة، وثبت هاشم في أهل الحفاظ منهم والنجدة، فحمل عليهم الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه طعنة جائفة، فلم ينتهِ عن القتال.

ووافاه رسول عليّ يأمره أن يقدّم رايته، فقال للرسول: انظر إلى ما بي! فنظر إلى بطنه فرآه منشقّاً، فرجع إلى عليّ فأخبره، ولم يلبث هاشم أن سقط(٢).

**٢٥٠٦ ـ مروج الذهب**: وقف عليّ رضي الله عنه عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الأسلميّين وغيرهم، فدعا لهم، وترحّم عليهم، وقال من أبيات:

جـزَى اللهُ خَـيراً عُـصبةً أسـلميّة ... صِباح الوجوهِ صُرّعوا حولَ هـاشمِ

يَـزيدُ وعـبدُ اللهِ بشـرُ بـن مـعبدٍ ... وسُـفيانُ وابـنا هـاشمٍ ذي المكـارِمِ

وعـروةُ لا يـنفد ثَـناهُ وذِكـرهُ ... إذا اخترطت يوماً خِفافُ الصـوارمِ(٣)

## ٩ / ٧

# استشهاد عمّار بن ياسر

كان عمّار بن ياسر صحابيّاً، حليف الحقّ، مؤازراً لرسول الله صلى الله عليه وآله. وكان مهذّب

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٩٧؛ وقعة صفّين: ٣٥٥، الدرجات الرفيعة: ٣٨١ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٧ / ٣٨٠.

(٢) الأخبار الطوال: ١٨٣؛ وقعة صفّين: ٣٥٥ نحوه.

(٣) مروج الذهب: ٢ / ٣٩٣، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٣٥؛ وقعة صفّين: ٣٥٦، الدرجات الرفيعة: ٣٨١ كلّها نحوه.

النفس، طاهر النقيبة، محمود السريرة، سليم القلب، مفعماً بحبّ الله تعالى.

إنّ عمّاراً وما تحمّله من مشاقّ وجهود في سبيل الدين وإرساء دعائم المجتمع الإسلامي الفتيّ صفحة مشرقة تتألّق في التأريخ الإسلامي؛ فكان ذا بصيرة ثاقبة، ورؤية نافذة، وخطوات وطيدة، فقد كان يرى الشرك على حقيقته من بين ركام المكر والخديعة والظواهر المموّهة بالإسلام والتوحيد. وكان يقف وقفة مهيبة أمام راية أهل الشام ويقول:

والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرّات، وهذه الرابعة. والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر لعرفت أنّ مصلحينا على الحقّ، وأنّهم على الضلالة[١].

وهكذا كان وجود عمّار في صفّين باعثاً على زهو البعض، ومولّداً الذعر في نفوس البعض الآخر، ومثيراً للتأمّل عند آخرين.

ولمّا علم الزبير بحضوره في معركة الجمل، طفق يتضعضع[٢]. وأرابَ وجودُه في صفّين كثيراً من أصحاب معاوية، وذلك أنّ رسول الله ﷺ كان قد قال له: «تقتلك الفئة الباغية»[٣]، وقال: «يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وعمّار في أهل

---

(١) مسند ابن حنبل: ٦ / ٤٨٠ / ١٨٩٠٦، مسند أبي يعلى: ٢ / ٢٦٢ / ١٦٠٧، العقد الفريد: ٣ / ٣٣٦ وفيه «سعفات» بدل «شعفات».

(٢) الأخبار الطوال: ١٤٧، تاريخ الطبري: ٤ / ٥١٠.

(٣) نقل سبعة وعشرون صحابيّاً هذا الحديث بألفاظ مختلفة، راجع: صحيح البخاري: ١ / ١٧٢ / ٤٣٦ وج ٣ / ١٠٣٥ / ٢٦٥٧، صحيح مسلم: ٤ / ٢٢٣٥ / ٧٠ وص ٢٢٣٦ / ٧٢، سنن الترمذي: ٥ / ٦٦٩ / ٣٨٠٠، مسند ابن حنبل: ٢ / ٦٥٤ / ٦٩٤٣ وج ٦ / ٢٢٩ / ١٧٧٨١، المستدرك على الصحيحين: ٣ / ٤٣٥ / ٥٦٥٧ وص ٤٣٦ / ٥٦٥٩ وح ٥٦٦٠ وص ٤٤٢ / ٥٦٧٦، مسند البزّار:

⇔

الحقّ تقتله الفئة الباغية»[١]، وقال: «ليس ينبغي لعمّار أن يفارق الحقّ، ولن تأكل النار منه شيئاً»[٢]، وقال: «إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ...»[٣].

وحاول الكثيرون أن يروا عمّاراً، ويسمعوا كلامه؛ كي يستزيدوا من التعرّف على حقّانيّة أمير المؤمنين عليه السلام من خلال كلام هذا الشيخ الجليل الفتيّ القلب... الذي ينبع حديثه من أعماق قلبه، من أجل أن يتثبّتوا من مواضع أقدامهم.

ولمّا تجندل ذلك الشيخ المتفاني ذو القدّ الممشوق، وتضمّخ بدمه، وشرب كأس المنون... كبر ذلك على كلا الجيشين. ورأى مثيرو الفتنة ومسعّروا الحرب ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله بأُمّ أعينهم، وإذ شقّ عليهم وصمة «الفئة الباغية» فلابدّ أن يحتالوا بتنميق فتنة أُخرى وخديعة ثانية؛ ليحولوا دون تضعضع جندهم، وهذا ما فعله معاوية[٤].

فقد إمامنا العظيم صلوات الله عليه أخلص أصحابه وأفضلهم، وقُطع عضده المقتدر، واغتمّت نفسه المقدّسة وضاق صدره، فقال: رحم الله عمّاراً يوم أسلم،

---

⇔ ٤/ ٢٥٦/ ١٤٢٨، المعجم الكبير: ٥/ ٢٢١/ ٥١٤٦ وج ٢٣/ ٣٦٣/ ٨٥٢ـ ٨٥٧، مسند أبي يعلى: ٦/ ٣٥٥/ ٧١٣٩، الطبقات الكبرى: ٣/ ٢٥١ـ ٢٥٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/ ٥٧١ و ص ٥٧٧ـ ٥٧٩، الاستيعاب: ٣/ ٢٣١/ ١٨٨٣، الإصابة: ٤/ ٤٧٤/ ٥٧٢٠ وفيهما «تواترت الآثار عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: تقتل عمّاراً الفئة الباغية»، الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة: ٧٦/ ١٠٤، البداية والنهاية: ٧/ ٢٦٧ـ ٢٧٠.

(١) وقعة صفّين: ٣٣٥.

(٢) وقعة صفّين: ٣٣٥ عن عمرو بن العاص.

(٣) المعجم الكبير: ١٠/ ٩٦/ ١٠٠٧١، دلائل النبوّة للبيهقي: ٦/ ٤٢٢، البداية والنهاية: ٧/ ٢٧١.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/ ٤١، العقد الفريد: ٣/ ٣٣٧، الفتوح: ٣/ ١٥٩، شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٣٣٤/ ٨٣٥؛ وقعة صفّين: ٣٤٣.

ورحم الله عمّاراً يوم قُتل، ورحم الله عمّاراً يوم يُبعث حيّاً.

**٢٥٠٧ ـ تاريخ بغداد عن أبي أيّوب**: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمّار: يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار بن ياسر، إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلُك مع عليّ؛ فإنّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى. يا عمّار، من تقلّد سيفاً أعان به عليّاً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين[1] من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ عليّ قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار»[2].

**٢٥٠٨ ـ الفتوح** ـ فيما قاله عمّار بن ياسر لعمرو بن العاص ـ: لقد أمرني رسول الله ﷺ أن أُقاتل الناكثين، فقد فعلت، وأمرني أن أُقاتل القاسطين، فأنتم هم، وأمّا المارقون فلا أدري أُدركهم أم لا.

أيّها الأبتر! ألست تعلم أنّ النبيّ ﷺ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله! فأنا مولى لله ولرسوله، وعليّ مولاي من بعده، وأنت فلا مولى لك[3].

**٢٥٠٩ ـ تاريخ الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي**: رأيت عمّاراً لا يأخذ وادياً من أودية صفّين إلّا تبعه من كان هناك من أصحاب محمّد ﷺ، ورأيته جاء إلى المرقال هاشم بن عتبة ـ وهو صاحب راية عليّ ـ فقال: يا هاشم، أعَوراً وجُبناً! لا خير في أعور لا يغشى البأس، فإذا رجلٌ بين الصفّين قال: هذا والله ليخلفنّ

---

(١) الوِشاح: حلي النساء كِرسانِ من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر تتوشّح المرأة به (لسان العرب: ٢ / ٦٣٢).

(٢) تاريخ بغداد: ١٣ / ١٨٧ / ٧١٦٥، تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٧٢، البداية والنهاية: ٧ / ٣٠٧.

(٣) الفتوح: ٣ / ٧٧، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٢١؛ وقعة صفّين: ٣٣٨، بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٠ / ٣٨٠.

إمامه، وليخذلنّ جنده، وليصبرنّ جهده، اركب يا هاشم، فركب ومضى هاشم يقول:

أعورُ يَبغي أهلَه محلّا قد عالجَ الحياةَ حتى مَلّا

لابدّ أن يَفلّ أو يُفلّا

وعمّار يقول: تقدّم يا هاشم؛ الجنّة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب السماء، وتزيّنت الحور العين

اليوم ألقى الأحِبّه محمّداً وحِزبَه

فلم يرجعا وقُتلا[1].

**٢٥١٠ ـ تاريخ الطبري عن حبّة بن جوين العرني:** انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفة ـ بالمدائن[2] ـ فدخلنا عليه، فقال: مرحباً بكما، ما خلّفتما من قبائل العرب أحداً أحبّ إليّ منكما. فأسندته إلى أبي مسعود، فقلنا: يا أبا عبد الله، حدّثنا؛ فإنّا نخاف الفتن.

فقال: عليكما بالفئة التي فيها ابن سميّة؛ إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، الناكبة عن الطريق، وإنّ آخر رزقه ضياح من لبن.

قال حبّة: فشهدتُه يوم صفّين وهو يقول: ائتوني بآخر رزق لي من الدنيا. فأُتي بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة مقياس

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٠، البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٠ وراجع شرح الأخبار: ١ / ٤٠٨ / ٣٦٠.

(٢) المَدائِن: أصل تسميتها هي: المدائن السبعة، وكانت مقرّ ملوك الفرس. وهي تقع على نهر دجلة من شرقيّها تحت بغداد على مرحلة منها. وفيها إيوان كسرى. فُتحت هذه المدينة في (١٤ هـ.ق) على يد المسلمين (راجع تقويم البلدان: ٣٠٢).

شعرة، فقال:

اليوم ألقى الأحبّه محمّداً وحزبه

والله، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل، وجعل يقول: الموت تحت الأسل، والجنّة تحت البارقة[1].

## ٨/٩

## اضطراب جيش معاوية بعد استشهاد عمّار

٢٥١١ ـ شرح نهج البلاغة: قال معاوية لمّا قُتل عمّار ـ واضطرب أهل الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم: «تقتله الفئة الباغية» ـ: إنّما قتله من أخرجه إلى الحرب وعرّضه للقتل!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فرسول الله صلى الله عليه وآله إذَن قاتل حمزة!![2]

٢٥١٢ ـ الكامل في التاريخ عن أبي عبد الرحمن السلمي: قال عبد الله لأبيه [عمرو بن العاص]: يا أبه، قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال!

قال: وما قال؟

قال: ألم يكن المسلمون والناس ينقلون في بناء مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله لبنة لبنة،

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٨، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨١؛ كشف الغمّة: ١ / ٢٥٩ كلاهما نحوه وراجع المناقب للخوارزمي: ٢٣٣ / ٢٤٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ٣٣٤ / ٨٣٥، العقد الفريد: ٣ / ٣٣٧ وفيه «فلمّا بلغ عليّاً عليه السلام قال: ونحن قتلنا أيضاً حمزة لأنّا أخرجناه»، الفتوح: ٣ / ١٥٩ كلاهما نحوه وفيه «فقال عبد الله بن عمرو: وكذلك حمزة بن عبد المطّلب يوم أحد إنّما قتله النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يقتله وحشي؟!» بدل «فقال أمير المؤمنين عليه السلام ...».

وعمّار لبنتين لبنتين، فغُشي عليه، فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: ويحك يابن سميّة! الناس ينقلون لبنة لبنة، وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة في الأجر! وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية.

فقال عمرو لمعاوية: أما تسمع ما يقول عبد الله!

قال: وما يقول؟ فأخبره.

فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنّما قتله من جاء به.

فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنّما قتل عمّاراً من جاء به. فلا أدري من كان أعجب أهو أم هم[١].

**٢٥١٣ ـ الكامل في التاريخ**: قد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضياح من لبن»، فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك يا عمرو؟

فيقول عمرو: إنّه سيرجع إلينا.

فقُتل ذو الكلاع قبل عمّار مع معاوية، وأُصيب عمّار بعده مع عليّ. فقال عمرو لمعاوية: ما أدري بقتل أيّهما أنا أشدّ فرحاً؛ بقتل عمّار، أو بقتل ذي الكلاع! والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمّار لمال بعامّة أهل الشام إلى عليّ[٢].

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٢، تاريخ الطبري: ٥ / ٤١، البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٠ كلاهما نحوه وزاد فيهما «فقال معاوية: إنّك شيخ أخرق، ولا تزال تحدّث بالحديث وأنت تدحض في بولك؟» قبل «أنحن قتلناه؟»، وقد وردت قضيّة عمّار وبناء المسجد في صحيح البخاري: ١ / ١٧٢ / ٤٣٦ ومسند ابن حنبل: ٤ / ١١ / ١١٠١١ والمستدرك على الصحيحين: ٢ / ١٦٢ / ٢٦٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨١، البداية والنهاية: ٧ / ٢٦٨ عن الأحنف بن قيس؛ وقعة صفّين: ٣٤١ عن عمر بن سعد وراجع المناقب للخوارزمي: ٢٣٣ / ٢٤٠.

## ٩/٩

# استشهاد خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين

٢٥١٤ ـ الطبقات الكبرى عن عمارة بن خزيمة بن ثابت: شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسلّ سيفاً، وشهد صفّين وقال: أنا لا أصلُ أبداً حتى يقتل عمّار، فأنظر من يقتله؛ فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. فلمّا قُتل عمّار بن ياسر قال خزيمة: قد بانت لي الضلالة، واقترب فقاتل حتى قُتل[1].

## ١٠/٩

# قتال الأشتر ودوره الأساسي في الحرب

تؤدّي الحوادث العصيبة ومشقّات الحياة وصروف الدهر دوراً مهمّاً في صقل الناس، وتبلور رفعتهم وعزّتهم.

إنّ هذا النوع من الحوادث كما يُجلّي عظمة الروح الإنسانيّة بنحو بيّن، فإنّه يترك أثره العميق في إيجاد الأرضيّة التي تتبلور فيها شخصيّة الإنسان في بعض الأحيان، وبها تتجلّى بواطن الناس؛ فإنّه في صروف الدهر وحدثانه تُعرف حقيقة الإنسان، وقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «في تقلّب الأحوال تعرف جواهر الرجال» خير آية على هذه الحقيقة العميقة.

وهكذا كانت معركة صفّين مرآةً تجلّت فيها شخصيّة مالك المتألّقة في تاريخ التشيّع؛ فقد كان الوجه البارز، والبطل الشجاع الباسل في هذه الحرب.

١ ـ كان دور مالك واضحاً في تحفيز الكوفيّين الذين كانوا يسمعون كلامه،

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ٢٥٩، أُسد الغابة: ٤/ ١٢٧/ ٣٨٠٤، العقد الفريد: ٣/ ٣٣٦، المناقب للخوارزمي: ١٩١/ ٢٢٩؛ رجال الكشّي: ١/ ٢٦٨/ ١٠١ كلّها نحوه.

وفي إرسالهم إلى المعركة .

٢ ـ كان له دور أساسي في تنظيم الجيش .

٣ ـ كان مالك على مقدّمة الجيش ، وكانت هيمنته العظيمة ومواجهته البطوليّة لمقدّمة جيش معاوية ـ التي كان عليها أبو الأعور السلمي ـ قد أرغمتا هؤلاء على الفرار من الميدان .

٤ ـ كان أهل الرقّة[١] من أنصار عثمان ، فدمّروا الجسور المنصوبة على نهر الفرات لخلق العقبات أمام الجيش العلوي الذي كان قوامه مائة ألف مقاتل . فعزم الإمام عليه السلام على الرجوع والبحث عن معبر آخر ؛ لأنّه لم يُرد أن يستخدم القوّة العسكريّة ويقسر الناس على القيام بعمل شاقّ ، وهنا عرّف مالك نفسه لأهل الرقّة وهدّدهم ، فاضطرّوا إلى نصب جسر للعبور ، وعبر الجيش بالفعل .

٥ ـ حال جيش معاوية دون وصول جيش الإمام عليه السلام إلى الماء ، فاستبسل ومعه الأشعث بن قيس حتى تمكّن الجيش من الحصول على الماء .

٦ ـ تولّى مالك قيادة الخيّالة عند نشوب الحرب .

٧ ـ كان له الدور الأكبر في صولات ذي الحجّة . وحين بدأت الحرب في شهر صفر ودامت ثمانية أيّام ، كان مالك في يومين منها قائداً عامّاً لها على الإطلاق .

٨ ـ كان مقاتلاً لا نظير له في المواجهات الفرديّة ، ولم ينكص قطّ عند مواجهة أحد .

٩ ـ في الأيّام الأخيرة من المعركة ، كان حلّالاً للمشاكل العويصة فيها ، وكان

---

(١) الرَّقّة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام (معجم البلدان : ٣ / ٥٩).

يحضر بأمر مولاه حيثما ظهرت مشكلة فيبادر إلى حلّها.

١٠ ـ تألّق مالك تألّقاً عظيماً في وقعة الخميس وليلة الهرير.

١١ ـ قاد مع أصحابه جولة مرعبة مهيبة من جولات صفّين، فتقدّم حتى وصل خيمة معاوية فجرَ يومِ جمعةٍ، ولم يكن بينه وبين الانتصار الأخير وإخماد نار الفتنة الأُمويّة إلّا خطوة واحدة، فتآمر الأشعث والخوارج وأجبروا الإمامعليه السلام على إرجاعه، فابتعد عن خيمة معاوية بقلب ملؤه الأسى؛ كي لا يصل إلى مولاه أذى. فيا عجباً لكلّ هذا الإيثار مع ذلك التحجّر، واسوداد ضمائر المناوئين للإمامعليه السلام، وقبح سرائرهم!!

إنّ أعظم ما تميّز به مالك هو معرفته العميقة للإمامعليه السلام وتواضعه أمام مولاه، ذلك التواضع النابع من وعيه الفذّ، ومعرفته العظيمة.

٢٥١٥ ـ الفتوح: خرج رجل من أهل العراق على فرس له كميت ـ لا يرى منه إلّا حماليق الحدق، وفي يده رمح له ـ فجعل يضرب بالرمح على رؤوس أصحاب عليٍّ ويقول: سوّوا صفوفكم! والناس لا يعرفونه.

حتى إذا اعتدلت الصفوف والرايات، استقبلهم بوجهه وولّى ظهره إلى أهل الشام، ثمّ حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: احمدوا الله عباد الله، واشكروه؛ إذ جعل فيكم ابن عمّ نبيّه محمّدصلى الله عليه و آله، ووصيّه، وأحبّ الخلق إليه، أقدمهم هجرة، وأوّلهم إيماناً، سيف من سيوف الله صبّه على أعدائه. فانظروا إذا حمي الوطيس، وثار القتام، وتكسّرت الرماح، وتثلّمت الصفاح، وجالت الخيل بالأبطال، ولا أسمع منكم إلّا غمغمة أو همهمة.

قال: ثمّ حمل على أهل الشام، فقاتل حتى كُسر رمحه، ثمّ رجع فإذا هو

الأشتر[١].

**٢٥١٦ ـ تاريخ الطبري عن الحرّ بن الصيّاح النخعي** : إنّ الأشتر يومئذٍ كان يقاتل على فرس له في يده صفيحة يمانية ؛ إذا طأطأها خِلتَ فيها ماءً منصبّاً ، وإذا رفعها كاد يعشي البصر شعاعها ، وجعل يضرب بسيفه ويقول : الغمرات ثمّ ينجلينا[٢].

**٢٥١٧ ـ تاريخ الطبري عن عبد الله بن عاصم الفائشي** : حدّثني رجل من قومي أنّ الأشتر خرج يوماً يقاتل بصفّين في رجال من القرّاء ، ورجال من فرسان العرب ، فاشتدّ قتالهم ، فخرج علينا رجل ـ والله لقلّما رأيت رجلاً قطّ هو أطول ولا أعظم منه ـ فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد إلّا الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فضربه الأشتر ، فقتله . وأيم الله ، لقد كنّا أشفقنا عليه ، وسألناه أن لا يخرج إليه ، فلمّا قتله الأشتر نادى منادٍ من أصحابه :

يا سهم سهمَ ابنَ أبي العَيزارِ ... يا خيرَ مَن نَعلَمُه مِن زارِ

ـ و«زارة» حيّ من الأزد ـ وقال : أُقسم بالله ، لأقتلنّ قاتلك أو ليقتلني ، فخرج فحمل على الأشتر ، وعطف عليه الأشتر فضربه ، فإذا هو بين يدي فرسه ، وحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحاً .

فقال أبو رفيقة الفهمي : هذا كان ناراً ، فصادف إعصاراً[٣].

**٢٥١٨ ـ تاريخ الطبري عن الحرّ بن الصيّاح النخعي ـ في الأشتر ـ** : رآه منقذُ

---

(١) الفتوح : ٣ / ١٥٧.

(٢) تاريخ الطبري : ٥ / ٢٢ ؛ وقعة صفّين : ٢٥٤.

(٣) تاريخ الطبري : ٤ / ٥٧٥ ؛ وقعة صفّين : ١٩٦ وفيه «أبو رقيقة السهمي» بدل «أبو رفيقة الفهمي».

وحميرُ ابنا قيس الناعطيّان، فقال منقذ لحمير: ما في العرب مثل هذا إن كان ما أرى من قتاله على نيّته.

فقال له حمير: وهل النيّة إلّا ما تراه يصنع!

قال: إنّي أخاف أن يكون يحاول ملكاً[1].

**٢٥١٩ ـ وقعة صفّين عن عمر بن سعد عن رجاله:** إنّ معاوية دعا مروان بن الحكم فقال: يا مروان، إنّ الأشتر قد غمّني وأقلقني، فاخرج بهذه الخيل في كلاع ويحصب، فالقَه فقاتل بها.

فقال له مروان: ادعُ لها عمراً فإنّه شعارك دون دثارك.

... ودعا معاوية عمراً، وأمره بالخروج إلى الأشتر... فخرج عمرو في تلك الخيل فلقيه الأشتر أمام الخيل... فعرف عمرو أنّه الأشتر، وفشل حَيْلُه وجبن، واستحيا أن يرجع... فلمّا غشيه الأشتر بالرمح زاغ عنه عمرو، فطعنه الأشتر في وجهه فلم يصنع الرمح شيئاً، وثقل عمرو فأمسك عنان فرسه، وجعل يده على وجهه، ورجع راكضاً إلى العسكر[2].

راجع: القسم السادس عشر / مالك الأشتر.
القسم السابع / استشهاد مالك الأشتر.

## ٩ / ١١
## قتال الإمام بنفسه

**٢٥٢٠ ـ وقعة صفّين عن جابر بن عمير الأنصاري ـ في بيان شجاعة عليّ ﷺ في**

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٢٢؛ وقعة صفّين: ٢٥٥.

(٢) وقعة صفّين: ٤٣٩؛ شرح نهج البلاغة: ٨ / ٧٩ و ٨٠ وراجع الإمامة والسياسة: ١ / ١٣٢.

حرب صفّين ـ: لا والله الذي بعث محمّداً ﷺ بالحقّ نبيّاً، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب؛ إنّه قتل فيما ذكر العادّون زيادةً على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنياً فيقول: معذرةً إلى الله عزّ وجلّ وإليكم من هذا، لقد هممت أن أصقله ولكن حجزني عنه أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول كثيراً: «لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا عليّ» وأنا أُقاتل به دونه.

قال: فكنّا نأخذه فنقوّمه، ثمّ يتناوله من أيدينا فيتقحّم به في عرض الصفّ، فلا والله ما ليث بأشدّ نكاية في عدوّه منه، رحمة الله عليه رحمة واسعة[1].

**٢٥٢١ـ ذخائر العقبى عن ابن عبّاس ـ وقد سأله رجل: أكان عليّ ؑ يباشر القتال بنفسه يوم صفّين؟ ـ:** والله ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلف من عليّ، ولقد رأيته يخرج حاسرَ الرأس، بيده السيف إلى الرجل الدارع فيقتله[2].

**٢٥٢٢ـ تاريخ الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي:** كنّا مع عليّ بصفّين، فكنّا قد وكّلنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل، فكان إذا حانت منهما غفلة يحمل، فلا يرجع حتى يخضب سيفه.

وإنّه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه، فألقاه إليهم، وقال: لولا أنّه انثنى ما رجعت[3].

**٢٥٢٣ـ تاريخ الطبري عن أبي روق الهمداني ـ في شدّة حرب صفّين ـ:...**

---

(١) وقعة صفّين: ٤٧٧؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢١١ وراجع البداية والنهاية: ٧ / ٢٦٤.

(٢) ذخائر العقبى: ١٧٦، حياة الحيوان الكبرى: ١ / ٥٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٣، الإصابة: ٦ / ٤٠٥ / ٨٩٣٤ وفيه إلى «يخضب سيفه»، البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٠؛ شرح الأخبار: ٢ / ٣ / ٣٧٩.

انتهت الهزيمة إلى عليّ، فانصرف يتمشّى نحو الميسرة، فانكشفت عنه مضر من الميسرة، وثبتت ربيعة.

قال أبو مخنف: حدّثني مالك بن أعين الجهني، عن زيد بن وهب الجهني قال: مرّ عليّ معه بنوه نحو الميسرة ومعه ربيعة وحدها، وإنّي لأرى النبل يمرّ بين عاتقه ومنكبه، وما من بنيه أحد إلّا يقيه بنفسه، فيكره عليّ ذلك، فيتقدّم عليه فيحول بين أهل الشام وبينه، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه أو من ورائه.

فبصر به أحمر ـ مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أُميّة ـ فقال عليّ وربّ الكعبة! قتلني الله إن لم أقتلك أو تقتلني، فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى عليّ، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أُميّة، وينتهزه عليّ، فيقع بيده في جيب درعه، فيجبذه[1]، ثمّ حمله على عاتقه، فكأنّي أنظر إلى رجيلتيه، تختلفان على عنق عليّ، ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه، وشدّ ابنا عليّ عليه حسين ومحمّد، فضرباه بأسيافهما حتى برد، فكأنّي أنظر إلى عليّ قائماً، وإلى شبليه يضربان الرجل....

ثمّ إنّ أهل الشام دنوا منه، ووالله ما يزيده قربهم منه سرعة في مشيه، فقال له الحسن: ما ضرّك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوّك من أصحابك؟

فقال: يا بنيّ، إنّ لأبيك يوماً لن يعدوه، ولا يبطّئ به عنه[2] السعي، ولا يعجّل

---

(١) جَبَذ يَجبذ: لغة في جَذَبَ (لسان العرب: ٣/٤٧٨).

(٢) في المصدر: «عند»، والتصحيح من وقعة صفّين.

به إليه المشي ، إنّ أباك والله ما يبالي أوَقع على الموت ، أو وقع الموت عليه ![1]

**٢٥٢٤ـ الأخبار الطوال** :كان فارس معاوية الذي يبتهي[2] به حريث مولاه ،وكان يلبس بزّة معاوية ، ويستلئم سلاحه ، ويركب فرسه ، ويحمل متشبّهاً بـمعاوية ، فإذا حمل قال الناس : هذا معاوية . وقد كان معاوية نهاه عن عليّ ، وقال : اجتنبه ، وضع رمحك حيث شئت .

فخلا به عمرو ، وقال : ما يمنعك من مبارزة عليّ ، وأنت له كفء ؟

قال : نهاني مولاي عنه .

قال : وإنّي والله لأرجو إن بارزته أن تقتله ، فتذهب بشرف ذلك .

فلم يَزل يزيّن له ذلك حتى وقع في قلب حريث . فلمّا أصبحوا خرج حريث حتى قام بين الصفّين ، وقال : يا أبا الحسن ، ابرز إليَّ ! أنا حـريث . فـخرج إليـه عليّ عليه السلام ، فضربه ، فقتله[3] .

**٢٥٢٥ـ وقعة صفّين عن صعصعة بن صوحان** : إنّ عليّ بن أبي طالب صافّ أهل الشام ، حتى برز رجل من حمير من آل ذي يزن ، اسمه : كريب بن الصباح ، ليس في أهل الشام يومئذٍ رجل أشهر شدّة بالبأس منه ، ثمّ نادى : من يبارز ؟ فبرز إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدي ، فقتل المرتفع .

ثمّ نادى : من يبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن الجلاح ، فقتل .

---

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ١٨ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٧٣ ، شرح نهج البلاغة : ٥ / ١٩٨ كلاهما نـحوه ؛ وقعة صفّين : ٢٤٨ وراجع البداية والنهاية : ٧ / ٢٦٥ وكشف الغمّة : ١ / ٢٥١ .

(٢) ابتهأت بالشيء : أنستَ به وأحببتَ قربه (تاج العروس : ١٩ / ٢٣٢) .

(٣) الأخبار الطوال : ١٧٦ ، تاريخ دمشق : ١٢ / ٣٣٥ ، الفتوح : ٣ / ٢٩ ، الفصول المهمّة : ٩١ ، المـناقب للخوارزمي : ٢٢٣ / ٢٤٠ ؛ وقعة صفّين : ٢٧٢ كلّها نحوه .

ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمداني، فقتل عائذاً.

ثمّ رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، ثمّ قام عليها بغياً واعتداءً. ثمّ نادى: هل بقي من مبارز؟

فبرز إليه عليّ ثمّ ناداه: ويحك يا كريب! إنّي أحذّرك الله وبأسه ونقمته، وأدعوك إلى سنّة الله وسنّة رسوله، ويحك! لا يدخلنّك ابن آكلة الأكباد النار.

فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك، فلا حاجة لنا فيها. أقدم إذا شئت، من يشتري سيفي وهذا أثره؟

فقال عليّ عليه السلام: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، ثمّ مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خرّ منها قتيلاً يتشحّط في دمه.

ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري، فقتل الحارث.

ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المطاع بن المطّلب القيني، فقتل مطاعاً.

ثمّ نادى: من يبرز؟ فلم يبرز إليه أحد.

ثمّ إنّ عليّاً نادى: يا معشر المسلمين! ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ويحك يا معاوية هلمّ إليّ فبارزني، ولا يُقتلنّ الناس فيما بيننا!

فقال عمرو: اغتنمه منتهزاً، قد قتل ثلاثة من أبطال العرب، وإنّي أطمع أن يظفرك الله به.

---

(١) البقرة: ١٩٤.

فقال معاوية : ويحك يا عمرو ! والله ، إن تريد إلّا أن أُقتل فتصيب الخلافة بعدي ، اذهب إليك ، فليس مثلي يُخدع[١].

**٢٥٢٦ ـ وقعة صفّين عن صعصعة بن صوحان والحارث بن أدهم** : برز يومئذٍ عروة بن داود الدمشقي فقال : إن كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلمّ إليَّ . فتقدّم إليه عليّ ، فقال له أصحابه : ذر هذا الكلب فإنّه ليس لك بخطر . فقال : والله ، ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه ، دعوني وإيّاه ، ثمّ حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين ، سقطت إحداهما يمنة ، والأُخرى يسرة ، فارتجّ العسكران لهول الضربة .

ثمّ قال : اذهب يا عروة فأخبر قومك ، أما والذي بعث محمّداً بالحقّ لقد عاينت النار وأصبحت من النادمين .

وقال ابن عمّ لعروة : وا سوء صباحاه ، قبّح الله البقاء بعد أبي داود . . . .

وحمل ابن عمّ أبي داود على عليّ فطعنه فضرب الرمح فبراه ، ثمّ قنّعه ضربة فألحقه بأبي داود ، ومعاوية واقف على التلّ يبصر ويشاهد ، فقال : تبّاً لهذه الرجال وقبحاً ؛ أما فيهم من يقتل هذا مبارزة أو غيلة ، أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع ! فقال الوليد بن عقبة : ابرز إليه أنت فإنّك أولى الناس بمبارزته .

فقال : والله ، لقد دعاني إلى البراز حتى استحييت من قريش ، وإنّي والله لا أبرز إليه ، ما جُعل العسكر بين يدي الرئيس إلّا وقاية له .

فقال عتبة بن أبي سفيان : الهوا عن هذا ؛ كأنّكم لم تسمعوا نداءه ، فقد علمتم أنّه قتل حريثاً ، وفضح عمراً ، ولا أرى أحداً يتحكّك[٢] به إلّا قتله .

---

(١) وقعة صفّين : ٣١٥ ؛ الفتوح : ٣ / ١١٢ ، الفصول المهمّة : ٨٨ ، البداية والنهاية : ٧ / ٢٦٤ كلّها نحوه وراجع جواهر المطالب : ١ / ٢٦٥ .

(٢) التحكّك : التحرّش والتعرّض (لسان العرب : ١٠ / ٤١٤) .

فقال معاوية لبسر بن أرطاة :أ تقوم لمبارزته ؟

فقال : ما أحد أحقّ بها منك ، وإذ أبيتموه فأنا له ... فاستقبله بسر قريباً من التلّ وهو مقنّع في الحديد لا يعرف ، فناداه : ابرز إليَّ أبا حسن ! فانحدر إليه على تؤدَة غير مكترث ، حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع ، فألقاه على الأرض ، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه ، فاتّقاه بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه ، فانصرف عنه عليّ عليه السلام مستدبراً له ، فعرفه الأشتر حين سقط ، فقال : يا أمير المؤمنين هذا بسر بن أرطاة ، عدوّ الله وعدوّك .

فقال : دعه عليه لعنة الله ، أبعد أن فعلها ....

وقام بسر من طعنة عليّ مولّياً ، وولّت خيله ، وناداه عليّ : يا بسر ، معاوية كان أحقّ بهذا منك .

فرجع بسر إلى معاوية ، فقال له معاوية : ارفع طرفك قد أدال الله عمراً منك .... فكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها عليّ تنحّى ناحية . وتحامى فرسان أهل الشام عليّاً[١] .

**٢٥٢٧ ـ الفتوح** : خرج رجل من أصحاب معاوية يقال له : المخارق بن عبد الرحمن ـ وكان فارساً بطلاً ـ حتى وقف بين الجمعين ، ثمّ سأل النزال ، فخرج إليه المؤمّل بن عبيد المرادي ، فقتله الشامي ... فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة نفر ، واحتزَّ رؤوسهم ، وكشف عوراتهم . قال : فتحاماه الناس خوفاً منه .

قال : ونظر إليه عليّ عليه السلام وقد فعل ما فعل فخرج إليه متنكّراً ، وحمل عليه

---

(١) وقعة صفّين : ٤٥٨ ؛ شرح نهج البلاغة : ٨ / ٩٥ وراجع الفتوح : ٣ / ١٠٥ والمناقب للخوارزمي : ٢٤٠ / ٢٤٠ .

الشامي وهو لم يعرفه، فبدره عليّ بضربة على حبل عاتقه فرمى بشقّه، ثمّ نزل إليه فاحتزّ رأسه، وقلب وجهه إلى السماء، ولم يكشف عورته. ثمّ نادى: هل من مبارز؟

فخرج إليه آخر، فقتله عليّ عليه السلام، وفعل به كما فعل بالأوّل. فلم يزَل كذلك حتى قتل منهم سبعة أم ثمانية وهو يفعل بهم كما يفعل بالأوّل، ولا يكشف عوراتهم.

فأحجم الناس عنه وتحامته الأبطال من أصحاب معاوية، وردها عن معاوية عبد له يقال له: حرب، فكان فارساً لا يُصطلى بناره. فقال له معاوية: ويحك يا حرب، اخرج إلى هذا الفارس فاكفني أمره، فإنّه قد قتل من أصحابي من قد علمت!

قال: فقال حرب: جعلت فداك إنّي والله أرى مقام فارس بطل لو برز إليه أهل عسكرك لأفنا هم عن آخرهم، فإن شئت برزت إليه وأنا أعلم أنّه قاتلي، وإن شئت فأبقني لغيره.

فقال معاوية: لا والله، ما أحبّ أن تقتل، فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك.

قال: وجعل يناديهم ولا يخرج إليه واحد منهم، فرفع المغفر عن رأسه ثمّ قال: أنا أبو الحسن ثمّ رجع إلى عسكره.

فقال حرب لمعاوية: جعلت فداك ألم أقُل لك إنّي أعرف مقام الفارس البطل[1].

**راجع:** أشدّ الأيّام / وقعة الخميس.

القسم العاشر / الخصائص الحربيّة.

---

(١) الفتوح: ٣/١١١؛ كشف الغمّة: ١/٢٤٦ نحوه وفيه «المخراق» بدل «المخارق»، بحار الأنوار: ٣٢/٥٩٦/٤٧٥.

## ٩ / ١٢

# طمأنينة الإمام في ساحة القتال

**٢٥٢٨ ـ وقعة صفّين عن أبي إسحاق** : خرج عليّ يوم صفّين وفي يده عنزة ، فمرّ على سعيد بن قيس الهمداني ، فقال له سعيد : أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوّك ؟ فقال له عليّ : إنّه ليس من أحد إلّا عليه من الله حَفَظَة يحفظونه من أن يتردّى في قليب[1] ، أو يخرّ عليه حائط ، أو تصيبه آفة ، فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه[2] .

**٢٥٢٩ ـ الكافي عن سعيد بن قيس الهمداني** : نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحرّكت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، في مثل هذا الموضع ؟!

فقال : نعم ، يا سعيد بن قيس ، إنّه ليس من عبد إلّا وله من الله حافظ وواقية ، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل ، أو يقع في بئر ، فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كلّ شيء[3] .

**٢٥٣٠ ـ الإمام عليّ عليه السلام** ـ وهو يطوف بين الصفّين بصفّين في غلالة[4] لمّا قال له الحسن ابنه : ما هذا زيّ الحرب ـ : يا بنيَّ إنّ أباك لا يُبالي وقع على الموت ، أو

---

(١) القَليب : البئر التي لم تطو (النهاية : ٤ / ٩٨).

(٢) وقعة صفّين : ٢٥٠ ، بحار الأنوار : ٣٢ / ٤٧٠ / ٤٠٨ ؛ شرح نهج البلاغة : ٥ / ١٩٩.

(٣) الكافي : ٢ / ٥٩ / ٨ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٢٩٧ وفيه «قيس بن سعيد» بدل «سعيد بن قيس» في كلا الموضعين ، بحار الأنوار : ٥ / ١٠٥ / ٣١ وراجع التوحيد : ٣٦٨ / ٥ ونهج البلاغة : الحكمة ٢٠١.

(٤) الغِلالة : شعار يلبس تحت الثوب (لسان العرب : ١١ / ٥٠٢).

وقع الموت عليه(١).

**٢٥٣١ ـ العقد الفريد** : كان عليّ بن أبي طالب ﷺ يخرج كلّ يوم بصفّين حتى يقف بين الصفّين ويقول :

أيّ يَومَيّ مِن الموتِ أفِرّ      يَوم لا يُقدرُ أو يومُ قُدِر

يَوم لا يُقدرُ لا أرهَبُهُ      ومِن المَقدورِ لا يُنجِي الحَذَر(٢)

راجع: وقعة الجمل / القتال / السكينة العلوية في الحرب.

## ١٣/٩

## فضيحة عمرو بن العاص

**٢٥٣٢ ـ الإمامة والسياسة** : ذكروا أنّ عمراً قال لمعاوية : أتجبن عن عليّ، وتتّهمني في نصيحتي إليك؟! والله لأُبارزنّ عليّاً ولو متّ ألف موتة في أوّل لقائه. فبارزه عمرو، فطعنه عليّ فصرعه، فاتّقاه بعورته، فانصرف عنه عليّ، وولّى بوجهه دونه.

وكان عليّ ﷺ لم ينظر قطّ إلى عورة أحد؛ حياءً وتكرّماً، وتنزّهاً عمّا لا يحلّ ولا يجمل بمثله(٣).

**٢٥٣٣ ـ البداية والنهاية** : ذكروا أنّ عليّاً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه

---

(١) مجمع البيان : ١ / ٣٢٠، المناقب لابن شهر آشوب : ٢ / ١١٩ وراجع وقعة صفّين : ٢٥٠ وتاريخ الطبري : ٥ / ١٩ والكامل في التاريخ : ٢ / ٣٧٤ والبداية والنهاية : ٧ / ٢٦٥.

(٢) العقد الفريد : ١ / ١٠٠ وراجع شرح نهج البلاغة : ٥ / ١٣٢ ووقعة صفّين : ٣٩٥ والمناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٢٩٨.

(٣) الإمامة والسياسة : ١ / ١٢٧.

بالرمح ، فألقاه إلى الأرض ، فبدت سَوءته ، فرجع عنه . فقال له أصحابه : ما لك يا أمير المؤمنين رجعت عنه ؟

فقال :أ تدرون ما هو ؟

قالوا : لا !

قال : هذا عمرو بن العاص تلقّاني بسَوءته ، فذكّرني بالرحم ، فرجعت عنه .

فلمّا رجع عمرو إلى معاوية قال له : احمد الله واحمد إستك[1] .

**٢٥٣٤ ـ وقعة صفّين :** حمل عمرو بن العاص معلّماً وهو يقول :

شـدّوا عَـلَيَّ شكّـتي لا تَـنكشِف ... بَـعدَ طُـليح والزبـير فـأتلف

يَـومٌ لهَـمدان ويَـومٌ للـصدف ... وفـي تَـميم نَـخوةٌ لا تَـنحرف

أضـرِبُها بـالسيف حتى تَـنصرِف ... إذا مَشـيتُ مشـيةَ العـودِ الصَّـلف

ومـثلها لحِـمير، أو تَـنحرف ... والربـعيّون لهـم يـومٌ عَـصف

فاعترضه عليّ وهو يقول :

قـد عَـلِمت ذاتُ القرونِ المِـيل ... والخُـصر والأنـامل الطفولِ

أنّـي بـنَصلِ السيفِ خـنشَليل ... أحـمي وأرمـي أوّلَ الرعـيلِ

بِصارمٍ ليسَ بذي فلولِ

ثمّ طعنه فصرعه ، واتّقاه عمرو برجله ، فبدت عورته ، فصرف عليّ وجهه عنه وارتثّ ، فقال القوم : أفلت الرجل يا أمير المؤمنين .

قال : وهل تدرون من هو ؟

---

(١) البداية والنهاية : ٧ / ٢٦٤ ، الأخبار الطوال : ١٧٧ ، المناقب للخوارزمي : ٢٣٦ / ٢٤٠ ، الفصول المهمّة : ٨٩ ، كلّها نحوه وراجع مروج الذهب : ٢ / ٣٩٧ .

قالوا: لا.

قال: فإنّه عمرو بن العاص تلقّاني بعورته فصرفت وجهي عنه.

ورجع عمرو إلى معاوية فقال له: ما صنعت يا عمرو؟

قال: لقيني عليّ فصرعني.

قال: احمد الله وعورتك، أما والله أن لو عرفته ما أقحمت عليه[١].

**٢٥٣٥ ـ عيون الأخبار عن المدائني**: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك، فقال له: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين، أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سَوءتك يوم ابن أبي طالب! أما والله لقد وافقته منّاناً كريماً، ولو شاء أن يقتلك لقتلك.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين، أما والله إنّي لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحوَلَّت عيناك، وربا سحرك، وبدا منك ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك أو دَع!![٢].

## ١٤/٩

# كتاب معاوية إلى الإمام يهدّده بالقتال

**٢٥٣٦ ـ كنز الفوائد**: نسخة كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى أمير المؤمنين عليّ بن

---

(١) وقعة صفّين: ٤٠٦ و ٤٠٧، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٦٠ عن ابن عبّاس وليس فيه الشعر.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة: ١ / ١٦٩، العقد الفريد: ٣ / ٣٣٤ عن أبي الحسن وفيه «ولولا ذلك لخرم رفغيك بالرمح» بدل «ولو شاء أن يقتلك لقتلك»، شرح نهج البلاغة: ٦ / ١٠٧، المحاسن والمساوئ: ٥٣ عن الشعبي نحوه وراجع الأمالي للطوسي: ١٣٤ / ٢١٧.

أبي طالب عليه السلام : أمّا بعد ، فإنّ الهوى يُضلّ من اتّبعه ، والحرص يُتعب الطالب المحروم ، وأحمد العاقبتين ما هدى إلى سبيل الرشاد . ومن العجب العجيب ذامّ ومادح ، وزاهد وراغب ، ومتوكّل وحريص ، كلاماً ضربته لك مثلاً لتدبّر حكمته بجميع الفهم ، ومباينة الهوى ، ومناصحة النفس .

فلعمري يابن أبي طالب ، لولا الرحم التي عطفتني عليك ، والسابقة التي سلفت لك ، لقد كان اختطفتك بعض عقبان أهل الشام ، فصعد بك في الهواء ثمّ قذفك على دكادك شوامخ الأبصار ، فأُلفيتَ كسحيق الفِهر[١] على صن[٢] الصلابة لايجد الذرّ[٣] فيك مرتعاً .

ولقد عزمت عزمة من لايعطفه رقّة الإنذار ، إن لم تباين ما قربتَ به أملك وطال له طلبُك ، لأُوردنّك[٤] مورداً تستمرّ الندامة إن فُسح لك في الحياة ، بل أظنّك قبل ذلك من الهالكين ، وبئس الرأي رأي يورد أهله إلى المهالك ، ويُمنّيهم العطب إلى حين لات مناص . وقد قذف بالحقّ على الباطل ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولله الحجّة البالغة والمنّة الظاهرة . والسلام[٥] .

## ٩ / ١٥

## جواب الإمام لكتاب معاوية

٢٥٣٧ ـ كنز الفوائد : من عبد الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إلى معاوية بن

---

(١) الفِهر : الحجر قدر ما يدقّ به الجوز ونحوه (لسان العرب : ٥ / ٦٦).

(٢) كذا في المصدر ، وفي بحار الأنوار نقلاً عن المصدر : «مسنّ» .

(٣) الذرّ : صغار النمل (لسان العرب : ٤ / ٣٠٤).

(٤) في المصدر : «ولأُوردنّك» ، والتصحيح من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر .

(٥) كنز الفوائد : ٢ / ٤٢ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ١٢٧ / ٤١٥ .

أبي سفيان.

أمّا بعد، فقد أتانا كتابك بتنويق المقال، وضرب الأمثال، وانتحال الأعمال، تصف الحكمةَ ولستَ من أهلها، وتذكر التقوى وأنتَ على ضدّها، قد اتّبعتَ هواكَ فحادَ بك عن الحجّة[١]، وألحج[٢] بك عن سواء السبيل.

فأنت تسحب أذيال لذّات الفتن، وتحيط[٣] في زهرة الدنيا، كأنّك لستَ توقن بأوبة البعث، ولا برجعة المنقلب، قد عقدتَ التاج، ولبستَ الخزّ، وافترشتَ الديباج، سُنّة هرقليّة، وملكاً فارسيّاً، ثمّ لم يقنعك ذلك حتى يبلغني أنّك تعقد الأمر من بعدك لغيرك، فيملك[٤] دونك فتحاسب دونه. ولعمري لئن فعلتَ ذلك فما ورثتَ الضلالة عن كلالة، وإنّك لابن من كان يبغي على أهل الدين، ويحسد المسلمين.

وذكرتَ رحماً عطفتكَ عَلَيّ، فأُقسم بالله الأعزّ الأجلّ أن لو نازعك هذا الأمر في حياتك من أنتَ تمهد له بعد وفاتك لقطعتَ حبلَه، وأبنتَ أسبابه.

وأمّا تهديدك لي بالمشارب الوبيئة[٥] والموارد المهلكة، فأنا عبد الله عليّ بن أبي طالب، أبرز إليّ صفحتك، كلّا وربّ البيت ما أنت بأبي عذر عند القتال، ولا عند مناطحة الأبطال، وكأنّي بك لو شهدتَ الحرب وقد قامت على ساق،

---

(١) في بحار الأنوار: «المحجّة»، ولعلّه أنسب.

(٢) اللَّحج: المَيل، وألحَجَهم إليه: أمالهم (لسان العرب: ٢ / ٣٥٦).

(٣) كذا في المصدر وفي بحار الأنوار: «تخبط».

(٤) في المصدر: «فيهلك» والتصحيح من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر.

(٥) في المصدر: «العربيّة» والتصحيح من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر.

وكشرت عن منظر كريه، والأرواح تُختطف اختطاف البازي زُغْب[١] القطا، لصِرتَ كالمُولَهة الحيرانة تصربها[٢] العبرة بالصدمة، لاتعرف أعلا الوادي عن أسفله. فدَع عنك ما لستَ أهله؛ فإنّ وقع الحسام غير تشقيق الكلام، فكم عسكر قد شهدته، وقَرن نازلته، [ورأيت] اصطكاك قريش بين يدي رسول الله ﷺ، إذ أنت وأبوك و[من] هو [أعلا منكما لي][٣] تبع، وأنت اليوم تهدّدني!

فأُقسم بالله أن لو تُبدي الأيّام عن صفحتك لنشب فيك مخلب ليث هصور[٤]، لايفوته فريسة بالمراوغة، كيف وأنّي لك بذلك وأنت قعيدة بنت البكر المخدرة؛ يُفزعها صوت الرعد، وأنا عليّ بن أبي طالب الذي لا أُهدّد بالقتال، ولا أُخوّف بالنزال، فإن شئت يا معاوية فابرز. والسلام.

فلما وصل هذا الجواب إلى معاوية بن أبي سفيان جمع جماعة من أصحابه وفيهم عمرو بن العاص فقرأه عليهم. فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل، كم رجل أحسن في الله قد قتل بينكما، ابرز إليه.

فقال له: أبا عبد الله أخطأت استك الحفرة، أنا أبرز إليه مع علمي أنّه ما برز إليه أحد قط إلّا وقتله! لا والله، ولكنّي سأُبرزك إليه[٥].

---

(١) الزغب: الفِراخ (لسان العرب: ١ / ٤٥٠).

(٢) صَرَب بوله: إذا حقنه (الصحاح: ١ / ١٦٢). والمراد أنّه يصير ملازماً للعبرة ومحبوساً بها بسبب الصدمة التي يواجهها من مشاهدة الحرب.

(٣) ما بين المعاقيف سقط من المصدر، وأثبتناه من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر.

(٤) أسدٌ هَصور: يكسر ويميل (لسان العرب: ٥ / ٢٦٤).

(٥) كنز الفوائد: ٢ / ٤٣، بحار الأنوار: ٣٣ / ١٢٨ / ٤١٥.

## ٩ / ١٦

# التأكيد على الدعوة إلى البراز

**٢٥٣٨ ـ شرح نهج البلاغة عن المدائني** :كتب إليه [معاوية] عليٌّ عليه السلام : أمّا بعد ، فإنّ مساوئك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك وبين أن يصلح لك أمرك ، وأن يرعوي قلبك ، يابن الصخر اللعين ! زعمت أن يَزِن الجبالَ حلمُك ، ويفصلَ بين أهل الشكّ علمُك ، وأنت الجلف المنافق ، الأغلف القلب ، القليل العقل ، الجبان الرذل ، فان كنتَ صادقاً فيما تسطر ويعينك عليه أخو بني سهم ، فدَع الناس جانباً وتيسّر لما دعوتني إليه من الحرب والصبر على الضرب ، واعفُ الفريقين من القتال ؛ ليُعلم أيّنا المرين على قلبه ، المغطّى على بصره ، فأنا أبو الحسن قاتل جدّك وأخيك وخالك ، وما أنت منهم ببعيد . والسلام[1] .

**٢٥٣٩ ـ الإمام عليّ عليه السلام** ـ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ـ : وكيف أنت صانع إذا تكشّفت عنك جلابيبَ ما أنت فيه من دنيا قد تبهجتَ بزينتها ، وخُدعتَ ، بلذّتها ، دعتكَ فأجبتَها ، وقادتكَ فاتّبعتَها ، وأمرتكَ فأطعتَها . وإنّه يوشك أن يقِفك واقف على ما لا يُنجيك منه مجن ، فاقعس عن هذا الأمر ، وخذ اُهبة الحساب ، وشمّر لما قد نزل بك ، ولا تُمكن الغواة من سمعك ، وإلّا تفعل اُعلمك ما أغفلتَ من نفسك ؛ فإنّك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه ، وبلغ فيك أمله ، وجرى منك مجرى الروح والدم .

ومتى كنتم ـ يا معاوية ـ ساسة الرعيّة ، وولاة أمر الاُمة ، بغير قدم سابق ، ولا شرف باسق ؟! ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء ، واُحذّرك أن تكون متمادياً في

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٦ / ١٣٥ ؛ بحار الأنوار : ٣٣ / ٨٧ / ٤٠١ وراجع شرح نهج البلاغة : ١٥ / ٨٢ .

غرّة الأُمنية، مختلف العلانية والسريرة.

وقد دعوتَ إلى الحرب، فدَع الناسَ جانباً، واخرج إليّ واعفُ الفريقين من القتال؛ ليُعلم أيّنا المرين على قلبه، والمغطّى على بصره، فأنا أبو حسن قاتل جدّك وأخيك وخالك شدخاً[1] يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوّي، ما استبدلت ديناً، ولا استحدثت نبيّاً. وإنّي لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتُم فيه مكرَهين.

وزعمتَ أنّك جئتَ ثائراً بدم عثمان، ولقد علمتَ حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالباً، فكأنّي قد رأيتُك تضجّ من الحرب إذا عضّتك ضجيج الجمال بالأثقال، وكأنّي بجماعتك تدعوني ـ؛ جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع ـ إلى كتاب الله، وهي كافرة جاحدة، أو مبايعة حائدة[2].

٢٥٤٠ ـ وقعة صفّين عن الشعبي: أرسل عليّ إلى معاوية: أن ابرز لي واعفُ الفريقين من القتال، فأيّنا قتل صاحبه كان الأمر له.

قال عمرو: لقد أنصفك الرجل.

فقال معاوية: إنّي لأكره أن أُبارز الأهوج الشجاع، لعلّك طمعت فيها يا عمرو.

فلمّا لم يجُب قال عليّ: وا نفساه، أيُطاع معاوية وأُعصى؟! ما قاتلت أُمّة قطّ أهل بيت نبيّها وهي مقرّة بنبيّها إلّا هذه الأُمّة[3].

---

(١) الشدخ: كسرك الشيء الأجوف كالرأس ونحوه (لسان العرب: ٣ / ٢٨).

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ١٠، بحار الأنوار: ٣٣ / ١٠١ / ٤٠٦.

(٣) وقعة صفّين: ٣٨٧ وراجع تاريخ الطبري: ٥ / ٤٢ والكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٣ ومروج الذهب: ٢ / ٣٩٦ والأخبار الطوال: ١٧٦ والمناقب للخوارزمي: ٢٣٧ / ٢٤٠ والبداية والنهاية: ٧ / ٢٧٢.

**٢٥٤١ ـ وقعة صفّين عن عمرو بن شمر:** قام عليّ بين الصفّين ثمّ نادى: يا معاوية، يكرّرها. فقال معاوية: اسألوه، ما شأنه؟ قال: أُحبّ أن يظهر لي فأُكلّمه كلمة واحدة.

فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص، فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو، وقال لمعاوية: ويحك، علامَ يقتتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضاً؟! ابرز إليَّ؛ فأيّنا قتل صاحبه فالأمر له.

فالتفتَ معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله فيما ها هنا، أُبارزه؟

فقال عمرو: لقد أنصفك الرجل، واعلم أنّه إن نكلتَ عنه لم تزَل سَبّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربيّ.

فقال معاوية: يا عمرو بن العاص، ليس مثلي يخدع عن نفسه، والله ما بارز ابنُ أبي طالب رجلاً قطّ إلّا سقى الأرض من دمه! ثمّ انصرف راجعاً حتى انتهى إلى آخر الصفوف، وعمرو معه. فلمّا رأى عليّ عليه السلام ذلك ضحك، وعاد إلى موقفه[1].

**٢٥٤٢ ـ تاريخ الطبري عن أبي جعفر:** قال عليّ لربيعة وهمدان: أنتم درعي ورمحي، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدّمهم عليّ على بغلته، فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبقَ لأهل الشام صفّ إلّا انتقض، وقتلوا كلّ من انتهوا إليه، حتى بلغوا معاوية، وعليّ يقول:

أضــرِبُهم ولا أرىٰ مــعاوِيَه ... الجاحِظ العَينِ العَظيم الحاوِيَه

---

(١) وقعة صفّين: ٢٧٤؛ شرح نهج البلاغة: ٥ / ٢١٧، الإمامة والسياسة: ١ / ١٢٦ نحوه وراجع أنساب الأشراف: ٣ / ٨٥ والعقد الفريد: ٣ / ٣٣٤ وجواهر المطالب: ٢ / ٣٨.

ثمّ نادى معاوية، فقال عليّ: علامَ يُقتل الناس بيننا! هلمّ أُحاكمك إلى الله، فأيّنا قتل صاحبه استقامت له الأُمور. فقال له عمرو: أنصفك الرجل.

فقال معاوية: ما أنصف، وإنّك لتعلم أنّه لم يبارزه رجل قطّ إلّا قتله.

قال له عمرو: وما يجمل بك إلّا مبارزتَه.

فقال معاوية: طمعتَ فيها بعدي[1].

## ١٧/٩

## ذكرى دعوة الإمام إلى المبارزة

**٢٥٤٣ـ الأمالي للصدوق عن عدي بن أرطاة:** قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، أيّنا أدهى؟ قال عمرو أنا للبديهة، وأنت للرويّة. قال معاوية: قضيت لي على نفسك، وأنا أدهى منك في البديهة. قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف؟ قال: بها غلبتني يا أبا عبد الله، فلا أسألك عن شيء تصدّقني فيه. قال: والله إنّ الكذب لقبيح، فسَل عمّا بدا لك أصدقك.

فقال: هل غششتَني منذ نصحتَني؟

قال: لا.

قال: بلى والله، لقد غششتني، أما إنّي لا أقول في كلّ المواطن ولكن في موطن واحد. قال: وأيّ موطن هذا؟ قال: يوم دعاني عليّ بن أبي طالب للمبارزة، فاستشرتُك، فقلتُ: ما ترى يا أبا عبد الله، فقلتَ: كفؤ كريم، فأشرت عليّ بمبارزته، وأنتَ تعلم من هو، فعلمتُ أنّك غششتَني.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٤١، مروج الذهب: ٢ / ٣٩٦ نحوه، البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٢.

قال : يا أمير المؤمنين ، دعاك رجل إلى مبارزته ، عظيم الشرف ، جليل الخطر ، فكنتَ من مبارزته على إحدى الحسنيين ؛ إمّا أن تقتلَه فتكون قد قتلت قتّال الأقران ، وتزداد به شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك ، وإمّا أن تعجّل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً .

قال معاوية : هذه شرّ من الأول ، والله إنّي لأعلم أنّي لو قتلته دخلت النار ، ولو قتلني دخلت النار .

قال عمرو : فما حملك على قتاله ؟

قال : الملك عقيم ، ولن يسمعها منّي أحد بعدك[1] .

## ٩ / ١٨

## هجوم الإمام على المجموعة التي فيها معاوية

**٢٥٤٤ ـ الأخبار الطوال :** حمل عليّ ﷺ على الجمع الذي كان فيه معاوية في أهل الحجاز من قريش والأنصار وغيرهم ، وكانوا زهاء اثني عشر ألف فارس ، وعليّ أمامهم ، وكبّروا وكبّر الناس تكبيرة ارتجّت لها الأرض ، فانتقضت صفوف أهل الشام ، واختلفت راياتهم ، وانتهوا إلى معاوية وهو جالس على منبره معه عمرو ابن العاص ينظران إلى الناس ، فدعا بفرس ليركبه .

ثمّ إنّ أهل الشام تداعوا بعد جولتهم ، وثابوا[2] ، ورجعوا على أهل العراق ، وصبر القوم بعضهم لبعض إلى أن حجز بينهم الليل[3] .

---

(١) الأمالي للصدوق : ١٣٢ / ١٢٥ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٤٩ / ٣٩٣ .

(٢) ثاب الناس : اجتمعوا وجاؤوا (لسان العرب : ١ / ٢٤٣) .

(٣) الأخبار الطوال : ١٨١ .

**٢٥٤٥ ـ وقعة صفّين :** ركب عليّ عليه السلام فرسه الذي كان لرسول الله ، وكان يقال له : المرتجز ، فركبه ثمّ تقدّم أمام الصفوف ، ثمّ قال : بل البغلة ، بل البغلة . فقُدّمت له بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء ، فركبها ، ثمّ تعصّب بعمامة رسول الله السوداء ، ثمّ نادى : أيّها الناس ! من يشرِ نفسه للهِ يربح ؛ هذا يوم له ما بعده ، إنّ عدوّكم قد مسّه القرح كما مسّكم .

فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، وتقدّمهم عليّ منقطعاً على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ... وتبعه ابن عديّ بن حاتم بلوائه ... وتقدّم الأشتر ... وحمل الناس حملة واحدة ، فلم يبقَ لأهل الشام صفّ إلّا انتقض ، وأهمدوا ما أتوا عليه ، حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية ، وعليّ يضربهم بسيفه ويقول :

أضرِبُهم ولا أرى معاويَه ... الأخزَر العينِ العظيم الحاوِيَه

هَوَت بهِ في النارِ اُمٌّ هاوِيَه

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه ، فلمّا وضع رجله في الركاب تمثّل بأبيات عمرو بن الإطنابة :

أبَت لي عِفّتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمدَ بالثمنِ الربيحِ

وإجشامِي علَى المكروهِ نَفسي ... وضَربِي هامَةَ البطلِ المشيحِ

وقَولي كُلّما جَشأت وجاشَت ... مكانَك تحمَدي أو تَستريحي

لأدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ ... وأحمي بعدُ عَن عرضٍ صَحيحِ

بذي شَطب كلَونِ المِلح صافٍ ... ونفسٍ ما تَقرّ على القبيحِ

وقال : يابن العاص ، اليومَ صبرٌ ، وغداً فخر ، صدقتَ ، إنّا وما نحن فيه كما قال

ابن أبي الأقلح :

مـا عِـلّتي وأنـا رام نـابِل     والقوسُ فـيها وتَـرٌ عَـنابِل

تَزِلّ عن صَـفحتِها المَـعابِل     الموتُ حقٌّ والحـياةَ بـاطِل

فثنى معاوية رجله من الركاب ونزل، واستصرخ بعَكٍّ والأشعريّين، فـوقفوا دونه، وجالدوا عنه، حتى كره كلّ من الفريقين صاحبه، وتحاجز الناس(١).

٢٥٤٦ـ الأخبار الطوال : إنّ عليّاً عليه السلام لينغمس في القوم فيضرب بسيفه حتى ينثني، ثمّ يخرج متخضّباً بالدم حتى يسوّى له سيفه، ثمّ يرجع، فينغمس فيهم، وربيعة لا تترك جهداً في القتال معه والصبر، وغابت الشمس، وقربوا من معاوية، فقال لعمرو: ما ترى؟ قال: أن تُخلي سرادقك.

فنزل معاوية عن المنبر الذي كان يكون عليه، وأخـلى السـرادق، وأقـبلت ربيعة، وأمامها عليّ عليه السلام حتى غشوا السرادق، فقطعوه، ثمّ انصرفوا. وبات عليّ تلك الليلة في ربيعة(٢).

## ١٩/٩

## كتاب معاوية إلى الإمام في أثناء الحرب

٢٥٤٧ ـ شرح نهج البلاغة : كتب معاوية إليه [الإمام عليّ عليه السلام] في أثناء حرب

---

(١) وقعة صفّين : ٤٠٣، بحار الأنوار : ٣٢ / ٥١٠ / ٤٣٦؛ شرح نـهج البـلاغة : ٨ / ٥٨ وراجـع مـروج الذهب : ٢ / ٣٩٦ والأخبار الطوال : ١٨٦ والإمامة والسـياسة ١ / ١٤٧ والفـتوح : ٣ / ١٧٥ و ١٧٦ والمناقب للخوارزمي : ٢٤٣ و ٢٤٤ / ٢٤٠.

(٢) الأخبار الطوال : ١٨٣.

صفّين ، بل في أواخرها : من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب :

أمّا بعدُ ؛ فإنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[١] وإنّي اُحذّرك الله أن تُحبِط عملك وسابقتك بشقّ عصا هذه الاُمّة ، وتفريق جماعتها ، فاتّقِ الله ، واذكر موقف القيامة ، واقلع عمّا أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين ، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النار» فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين ، بَلْهَ[٢] ما طحنت رحا حربه من أهل القرآن وذي العبادة والإيمان ؛ من شيخ كبير ، وشابّ غرير[٣] ، كلّهم بالله تعالى مؤمن ، وله مخلص ، وبرسوله مقرّ عارف ، فإن كنتَ أبا حسنٍ إنّما تحارب على الإمرة والخلافة ، فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تُعذر في حرب المسلمين ، ولكنّها ما صحّت لك ، أنّي بصحّتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها ، ولم يرتضوا بها ؟ وخَفِ الله وسطواته ، واتّقِ بأسه ونكاله ، واغمد سيفك عن الناس ، فقد والله أكلتهم الحرب ، فلم يبق منهم إلّا كالثَّمَد[٤] في قرارة الغدير ، والله المستعان[٥] .

---

(١) الزمر : ٦٥.

(٢) بَلْهَ : مِن أسماء الأفعال بمعنى دَعْ واترُكْ (النهاية : ٢ / ١٥٥).

(٣) وَجْهٌ غَرِير : حَسَن . والغَرير : الشابّ الذي لا تجربة له (لسان العرب : ٥ / ١٦).

(٤) الثَّمَد : الماء القليل (النهاية : ١ / ٢٢١).

(٥) شرح نهج البلاغة : ١٤ / ٤٢ ؛ بحار الأنوار : ٣٣ / ٨٠.

## ٩ / ٢٠

## جواب الإمام عنه

**٢٥٤٨ ـ شرح نهج البلاغة** ـ في ذكر كتاب الإمام عليه السلام إلى معاوية ـ: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان: أمّا بعدُ؛ فقد أتتني منك موعظة موصلة ورسالة محبّرة، نمّقتها بضلالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتّبعه؛ فهجر لاغطاً، وضلّ خابطاً. فأمّا أمرك لي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها، وأستعيذ بالله من أن أكون من الذين إذا اُمروا بها أخذتهم العزّة بالإثم، وأمّا تحذيرك إيّاي أن يُحبط عملي وسابقتي في الإسلام، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذّرني ذلك، ولكنّي وجدت الله تعالى يقول: ﴿فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّـهِ﴾[1] فنظرنا إلى الفئتين؛ أمّا الفئة الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها؛ لأنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام، وكما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر وهو أمير لأبي بكر على الشام. وأمّا شقّ عصا هذه الاُمّة فأنا أحقّ أن أنهاك عنه، فأمّا تخويفك لي من قتل أهل البغي فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بقتالهم وقتلهم، وقال لأصحابه: «إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» وأشار إليّ، وأنا أولى من اتّبع أمرَه. وأمّا قولك: إنّ بيعتي لم تصحّ لأنّ أهل الشام لم يدخلوا فيها، كيف وإنّما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب، لا يُثنّى فيها

---

(١) الحجرات: ٩.

النظر، ولا يُستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، والمُرَوِّي فيها مُداهِن[١]، فاربَعْ على ظَلْعك، وانزع سِربال[٢] غيّك، واترك ما لا جدوى له عليك، فليس لك عندي إلّا السيف، حتى تفيء إلى أمر الله صاغراً، وتدخل في البيعة راغماً. والسلام[٣].

## ٩ / ٢١

## حيلة معاوية للنجاة من الحرب

**٢٥٤٩ ـ** وقعة صفّين ـ في بيان ما قاله معاوية لعمرو بن العاص حين بلغه شعر الأشتر ـ: قد رأيت أن أكتب إلى عليّ كتاباً أسأله الشام ـ وهو الشيء الأوّل الذي ردّني عنه ـ وأُلقي في نفسه الشكّ والريبة. فضحك عمرو بن العاص، ثمّ قال: أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ؟! فقال: ألسنا بني عبد مناف؟ قال: بلى، ولكن لهم النبوّة دونك، وإن شئت أن تكتب فاكتب. فكتب معاوية إلى عليّ مع رجل من السكاسك، يقال له عبد الله بن عقبة، وكان من ناقلة[٤] أهل العراق، فكتب:

أمّا بعدُ، فإنّي أظنُّك أن لو علمتَ أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا، لم يجنِها بعضنا على بعض، وإنّا وإن كنّا قد غُلِبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى، ونُصلح به ما بقي. وقد كنت سألتك الشام على ألّا يلزمني لك

---

(١) المُرَوِّي: الذي يرتئي ويُبطئ عن الطاعة ويُفكّر، وأصله من الرويّة. والمداهن: المنافق (شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٤٤).

(٢) السِّربال: القميص (النهاية: ٢ / ٣٥٧).

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٤٣؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٨١ وراجع العقد الفريد: ٣ / ٣٢٩ والإمامة والسياسة: ١ / ١١٣ ونهج البلاغة: الكتاب ٧ ووقعة صفّين: ٢٩.

(٤) الناقِلة: ضدُّ القاطنين (تاج العروس: ١٥ / ٧٥٣).

طاعة ولا بيعة، فأبيتَ ذلك عليّ، فأعطاني الله ما منعت، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنّي لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلّا ما تخاف. وقد والله رقّت الأجناد، وذهبت الرجال، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يستذلّ به عزيز، ولا يسترقّ حرٌّ به. والسلام[1].

## ٩ / ٢٢

# جواب الإمام

**٢٥٥٠ ـ** وقعة صفّين: فلمّا انتهى كتاب معاوية إلى عليّ قرأه، ثمّ قال: العجب لمعاوية وكتابه! ثمّ دعا عليٌّ عبيدَ الله بن أبي رافع كاتبه، فقال: اكتب إلى معاوية:

أمّا بعد؛ فقد جاءني كتابك، تذكر أنّك لو علمتَ وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنِها بعضنا على بعض، فإنّا وإيّاك منها في غاية لم تبلغها، وإنّي لو قُتلت في ذات الله وحَييت، ثمّ قُتلت ثمّ حَييت سبعين مرّة، لم أرجع عن الشدّة في ذات الله، والجهاد لأعداء الله. وأمّا قولك: إنّه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى، فإنّي ما نقصت عقلي، ولا ندمت على فعلي. فأمّا طلبك الشام، فإنّي لم أكن لأُعطيَك اليوم ما منعتك منها أمسِ. وأمّا استواؤنا في الخوف والرجاء؛ فإنّك لست أمضى على الشكّ منّي على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف

---

(١) وقعة صفّين: ٤٧٠، كنز الفوائد: ٢ / ٤٤، بحار الأنوار: ٣٣ / ١٢٩ / ٤١٦؛ مروج الذهب: ٣ / ٢٢، الأخبار الطوال: ١٨٧، الإمامة والسياسة: ١ / ١٣٧، المناقب للخوارزمي: ٢٥٥ / ٢٤٠ كلّها نحوه وفيها من «أمّا بعد...».

ليس لبعضنا على بعض فضل ؛ فلعمري إنّا بنو أب واحد ، ولكن ليس اُميّة كهاشم ، ولا حرب كعبد المطّلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالطليق ، ولا المحقّ كالمبطل . وفي أيدينا بعدُ فضل النبوّة التي أذللنا بها العزيز ، وأعززنا بها الذليل . والسلام[١] .

**٢٥٥١ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من كتاب له إلى معاوية جواباً على كتاب منه إليه ـ : أمّا طلبك إليّ الشام ؛ فإنّي لم أكُن لاُعطيَك اليوم ما منعتك أمس . وأمّا قولك : إنّ الحرب قد أكلت العرب إلّا حشاشات أنفس بقيت ؛ ألا ومَن أكَلَه الحقّ فإلى الجنّة ، ومَن أكَلَه الباطل فإلى النار . وأمّا استواؤنا في الحرب والرجال ؛ فلستَ بأمضى على الشكّ منّي على اليقين ، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة . وأمّا قولك : إنّا بنو عبد مناف ؛ فكذلك نحن . ولكن ليس اُمّية كهاشم ، ولا حرب كعبد المطّلب . ولا أبو سفيان كأبي طالب . ولا المهاجر كالطليق ، ولا الصريح كاللصيق . ولا المحقّ كالمُبطل ، ولا المؤمن كالمُدغِل[٢] . ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنّم .

وفي أيدينا بعدُ فضل النبوّة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل . ولمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً ، وأسلمت له هذه الاُمّة طوعاً وكرهاً ، كنتم ممّن دخل في الدين إمّا رغبة وإمّا رهبة ، على حين فاز أهل السبق بسبقهم ، وذهب

---

(١) وقعة صفّين : ٤٧١ ، كنز الفوائد : ٢ / ٤٥ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ١٣٠ / ٤١٦ ؛ مروج الذهب : ٣ / ٢٢ ، الأخبار الطوال : ١٨٧ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٣٨ ، المناقب للخوارزمي : ٢٥٦ / ٢٤٠ كلّها نحوه .

(٢) رجل مُدْغِل : مخابٌّ مُفسِد . وأدغل في الأمر : أدخلَ فيه ما يفسده ويخالفه (لسان العرب : ١١ / ٢٤٤) .

المهاجرون الأوّلون بفضلهم ؛ فلا تجعلنّ للشيطان فيك نصيباً ، ولا على نفسك سبيلاً[١] .

## ٩ / ٢٣

## معاوية يتوسّل بابن عبّاس !

**٢٥٥٢ـ أنساب الأشراف عن عيسى بن يزيد** : لمّا قامت الحرب بين عليّ ومعاوية بصفّين ، فتحاربوا أيّاماً قال معاوية لعمرو بن العاص في بعض أيّامهم : إنّ رأس الناس مع عليٍّ عبدُ الله بن عبّاس ، فلو ألقيتَ إليه كتاباً تعطفه به ؛ فإنّه إن قال قولاً لم يخرج منه عليٌّ ، وقد أكلتنا هذه الحرب . فقال عمرو : إنّ ابن عبّاس أرِيبٌ[٢] يُخدَع ولو طمعت فيه لطمعت في عليّ . قال : صدقت إنّه لأريب ، ولكن اكتب إليه على ذلك ، فكتب إليه :

من عمرو بن العاص إلى عبد الله بن العبّاس .

أمّا بعد ؛ فإنّ الذي نحن وأنتم فيه ، ليس بأوّل أمر قاده البلاء ، وساقه سفه العاقبة ، وأنت رأس هذا الأمر بعد عليّ ، فانظر فيما بقي بغير ما مضى ، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حيلة ، واعلم أنّ الشام لا يُملك إلّا بهلاك العراق ، وأنّ العراق لا يُملك إلّا بهلاك الشام ، فما خيرنا بعد إسراعنا فيكم ، وما خيركم بعد إسراعكم فينا ، ولست أقول : ليت الحرب عادت ، ولكن أقول : ليتها لم تكن ، وإنّ فينا من يكره اللقاء كما أنّ فيكم من يكرهه ، وإنّما هو أمير مطاع ، أو مأمور

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ١٧ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ١٠٤ / ٤٠٧ وراجع جواهر المطالب : ١ / ٣٦٢ .

(٢) من الإرب ؛ وهو الدهاء والبصر بالاُمور ، وهو من العقل (لسان العرب : ١ / ٢٠٩) .

مطيع، أو مشاور مأمون وهو أنت، فأمّا السفيه فليس بأهل أن يعدّ من ثقات أهل الشورى ولا خواصّ أهل النجوى. وكتب في آخر كتابه:

طال البلاء فما يُرجى له آسِ ... بعد الإلهِ سوى رفق ابن عبّاسِ

قولا له قول مسرور بحظوتهِ ... لا تنسَ حظّك إنّ التارك الناسي

كلٌّ لصاحبه قرن يعادلهُ ... أُسدُ تلاقي أُسوداً بين أخياسِ[1]

انظر فدىً لك نفسي قبلَ قاصمةٍ ... للظهر ليس لها راقٍ ولا آسي

أهل العراق وأهل الشام لن يجدوا ... طعم الحياة لحرب ذات أنفاسِ

والسلم فيه بقاء ليس يجهلهُ ... إلّا الجهول وما النَّوكى[2] كأكياسِ

فاصدع بأمرك أمر القوم إنّهمُ ... خشاش طيرٍ رأت صقراً بخَشْحاسِ[3]

## ٩ / ٢٤

## جواب ابن عبّاس عنه

**٢٥٥٣ ـ** أنساب الأشراف عن عيسى بن يزيد: فلمّا قرأ ابن عبّاس الكتاب والشعر أقرأهما عليّاً، فقال عليّ: قاتل الله ابن العاص! ما أغرّه بك؟ يابن عبّاس أجِبه، وليردّ عليه شعره فضل بن عبّاس بن أبي لهب. فكتب إليه عبد الله بن عبّاس:

أمّا بعد: فإنّي لا أعلم رجلاً من العرب أقلّ حياء منك! إنّه مالَ بك إلى معاوية الهوى، وبعته دينك بالثمن اليسير، ثمّ خبطت للناس في عشواء طخياء طمعاً في هذا الملك، فلمّا لم ترَ شيئاً أعظمت الدماء إعظامَ أهل الدين، وأظهرت فيها

---

(١) أخياس: جمع خِيْسة؛ وهي الشجر الكثير الملتفّ (لسان العرب: ٦ / ٧٥).

(٢) النَّوكى: الحَمْقى (النهاية: ٥ / ١٢٩).

(٣) أنساب الأشراف: ٣ / ٨٧، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٦٣، الإمامة والسياسة: ١ / ١٣١؛ وقعة صفّين: ٤١٠، الدرجات الرفيعة: ١١٠ كلّها نحوه وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٧٨.

زهادة أهل الورع ، ولا تريد بذلك إلّا تهييب الحرب وكسر أهل العراق ؛ فإن كنت أردت الله بذلك ، فدع مصر وارجع إلى بيتك ؛ فإنّ هذه حرب ليس معاوية فيها كعليّ ؛ بدأها عليّ بالحقّ وانتهى فيها إلى العذر ، وابتدأها معاوية بالبغي فانتهى منها إلى السرف ، وليس أهل الشام فيها كأهل العراق ؛ بايع عليّاً أهل العراق وهو خير منهم ، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ، ولستَ وأنا فيها سواء . أردتُ الله ، وأردتَ مصر ، فإن تُرِد شرّاً لا يَفُتْنا ، وإن تُرِد خيراً لا تسبقنا .

ثمّ دعا الفضل بن العبّاس بن عتبة فقال : يابن عمّ أجب عمرو بن العاص ، قال :

يا عمرو حسبك من خدع ووسواسِ ... فاذهب فما لك في ترك الهدى آسِ

إلّا بوادر طعنٍ[1] في نحوركمُ ... ووشك ضرب يُفرّي[2] جلدة الراسِ

هذا لكم عندنا في كلّ معركةٍ ... حتى تُطيعوا عليّاً وابن عبّاسِ

أمّا عليٌّ فإنّ الله فضّلهُ ... فضلاً له شرف عالٍ على الناسِ

لا بارك الله في مصر فقد جلبت ... شرّاً وحظّك منها حسوة الحاسي[3]

## ٩ / ٢٥

# كتاب معاوية إلى ابن عبّاس

**٢٥٥٤ ـ وقعة صفّين** : كتب معاوية إلى ابن عبّاس :

أمّا بعدُ ؛ فإنّكم يا معشر بني هاشم لستم إلى أحد أسرع بالمساءة منكم إلى

---

(١) في المصدر : «يطعن» ، والصحيح ما أثبتناه كما في شرح نهج البلاغة .

(٢) كذا في المصدر ، ولعلّه مصحّف عن «يفري» .

(٣) أنساب الأشراف : ٣ / ٨٨ ، شرح نهج البلاغة : ٨ / ٦٤ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٣٢ ؛ وقعة صفّين : ٤١٢ ، الدرجات الرفيعة : ١١١ كلّها نحوه .

أنصار عثمان بن عفّان، حتى إنّكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمه، واستعظامهما ما نيل منه، فإن يكن ذلك لسلطان بني أُميّة فقد وليها عديّ وتَيْم، فلم تنافسوهم، وأظهرتم لهم الطاعة. وقد وقع من الأمر ما قد ترى، وأكلت هذه الحروب بعضها من بعض حتى استوينا فيها، فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم، وما آيسكم منّا آيسنا منكم. وقد رجونا غير الذي كان، وخشينا دون ما وقع، ولستم بملاقينا اليوم بأحدَّ من حدِّ أمسِ، ولا غداً بأحدَّ من حدِّ اليوم، وقد قنعنا بما كان في أيدينا من ملك الشام فاقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق، وأبقوا على قريش؛ فإنّما بقي من رجالها ستّة؛ رجلان بالشام، ورجلان بالعراق، ورجلان بالحجاز؛ فأمّا اللذان بالشام فأنا وعمرو، وأمّا اللذان بالعراق فأنت وعليّ، وأمّا اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر، واثنان من الستّة ناصبان لك، واثنان واقفان فيك، وأنت رأس هذا الجمع اليوم. ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنّا إليك أسرع منّا إلى عليّ[1].

## ٢٦/٩

## جواب ابن عبّاس عنه

**٢٥٥٥ ـ** وقعة صفّين: لمّا انتهى الكتاب إلى ابن عبّاس أسخطه ثمّ قال: حتى متى يخطب ابن هند إليّ عقلي، وحتى متى أُجمجَم على ما في نفسي؟! فكتب إليه:

أمّا بعد؛ فقد أتاني كتابك وقرأته، فأمّا ما ذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة في أنصار ابن عفّان، وكراهيتنا لسلطان بني أُميّة، فلعمري لقد أدركت في عثمان

---

(١) وقعة صفّين: ٤١٤، الدرجات الرفيعة: ١١٢؛ الفتوح: ٣ / ١٥٢، شرح نهج البلاغة: ٨ / ٦٥، الإمامة والسياسة: ١ / ١٣٣، المناقب للخوارزمي: ٢٥٦ / ٢٤٠.

حاجتك حين استنصرك فلم تنصره، حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبيني وبينك في ذلك ابن عمّك وأخو عثمان الوليدُ بن عقبة. وأمّا طلحة والزبير؛ فإنّهما أجلبا عليه، وضيّقا خناقه، ثمّ خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك، فقاتلناهما على النكث، وقاتلناك على البغي. وأمّا قولك: إنّه لم يبقَ من قريش غير ستّة؛ فما أكثر رجالها وأحسن بقيّتها، وقد قاتلك من خيارها من قاتلك، لم يخذلنا إلّا من خذلك. وأمّا إغراؤك إيّانا بعديّ وتَيم؛ فأبو بكر وعمر خير من عثمان، كما أنّ عثمان خير منك، وقد بقي لك منّا يومٌ يُنسيك ما قبله، ويُخاف ما بعده. وأمّا قولك: إنّه لو بايع الناس لي لاستقامت لي، فقد بايع الناس عليّاً وهو خير منّي فلم يستقيموا له، وإنّما الخلافة لمن كانت له في المشورة. وما أنت يا معاوية والخلافة، وأنت طليق؟! وابن طليق، والخلافة للمهاجرين الأوّلين، وليس الطلقاء منها في شيء. والسلام[1].

---

(١) وقعة صفّين: ٤١٥، الدرجات الرفيعة: ١١٣؛ الفتوح: ٣/ ١٥٣، شرح نهج البلاغة: ٨/ ٦٦، المناقب للخوارزمي: ٢٥٧/ ٢٤٠، الإمامة والسياسة: ١/ ١٣٣ نحوه.

# الفَصْلُ العَاشِرُ

# أشَدُّ الأيَّامِ

## ١٠ / ١

## وقعة الخميس

كان يوم الخميس أشدّ أيّام الحرب في صفّين وأكثرها فزعاً؛ فقد كان الإمام عليه السلام يقاتل قتالاً شديداً في خضمّ تلك المعركة مضافاً إلى قيادته للجيش.

وكان يُهيج الجيش للقتال بما صنعه من ملاحم عظيمة ومثيرة تشجّع على خوض الحرب. ولم يهدأ القتال يومئذٍ لحظةً واحدةً، حتى صلّى الجند وهم يقاتلون.

وكثر القتلى حتى صاروا كالتلّ، وجُرح ما لا يُحصى من الجيش، وقتل الإمام عليه السلام آنذاك في يوم واحد (٥٢٣) من مُنازِلي الأقران، ومن شجعان العرب. وكان كلّما قتل يكبّر، ومن تكبيرات الإمام عليه السلام كانوا يعرفون عدد من يُصرع من العدوّ.

وقد سُمّي ذلك اليوم «وقعة الخميس» أو «يوم الهَرِيْر[١]».

**٢٥٥٦ ـ تاريخ الطبري عن زيد بن وهب:** ازدلف الناس يوم الأربعاء، فاقتتلوا كأشدّ القتال يومهم حتى الليل، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلّا للصلاة.

وكثرت القتلى بينهم، وتحاجزوا عند الليل، وكلٌّ غير غالب، فأصبحوا من الغد، فصلّى بهم عليّ غداة الخميس، فغلّس[٢] بالصلاة أشدّ التغليس[٣].

**٢٥٥٧ ـ وقعة صفّين عن جندب الأزدي:** لمّا كان غداة الخميس لسبع خلونَ من صفر من سنة سبع وثلاثين، صلّى عليٌّ، فغلّس بالغداة، ما رأيت عليّاً غلّس بالغداة أشدّ من تغليسه يومئذٍ.

ثمّ خرج بالناس إلى أهل الشام فزحف إليهم، وكان هو يبدؤهم فيسير إليهم، فإذا رأوه وقد زحف استقبلوه بزحوفهم[٤].

**٢٥٥٨ ـ الفتوح ـ في ذكر وقعة الخميس ـ:** دعا عليّ ﷺ بدرع رسول الله ﷺ فلبسه، وبسيف رسول الله ﷺ فتقلّده، وبعمامة رسول الله ﷺ فاعتجر بها، ثمّ دعا بفرس رسول الله ﷺ فاستوى عليه وجعل يقول:

---

(١) قال المجلسي ـ في بيان وجه تسمية ليلة الهرير ـ: إنّما سمّيت الليلة بليلة الهرير لكثرة أصوات الناس فيها للقتال، وقيل: لاضطرار معاوية وفزعه عند شدّة الحرب واستيلاء أهل العراق كالكلب؛ فإنّ الهرير أنين الكلب عند شدّة البرد (مرآة العقول: ١٥ / ٤٢٧).

(٢) من الغَلَس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح (النهاية: ٣ / ٣٧٧).

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ١٥.

(٤) وقعة صفّين: ٢٣٢؛ تاريخ الطبري: ٥ / ١٤ وفيه «بوجوههم» بدل «بزحوفهم»، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٧٢ وفيه «فلمّا كان يوم الخميس، صلّى عليّ ﷺ بغلس، وخرج بالناس إلى أهل الشام، فزحف إليهم وزحفوا معه».

أيّها الناس! من يبع نفسه يربح هذا اليوم؛ فإنّه يوم له ما بعده من الأيّام، أما والله! أن لولا أن تعطّل الحدود، وتبطل الحقوق، ويظهر الظالمون، وتفوز كلمة الشيطان، ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه.

ألا إنّ خضاب النساء الحنّاء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير عواقب الأُمور.

ألا إنّها إحَن بدريّة، وضغائن أُحديّة، وأحقاد جاهليّة، وثبَ بها معاوية حين الغفلة ليذكر بها ثارات بني عبد شمس: ﴿فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[١][٢].

**٢٥٥٩ ـ وقعة صفّين عن القعقاع بن الأبرد الطهوي**: والله، إنّي لواقف قريباً من عليّ بصفّين يوم وقعة الخميس، وقد التقت مذحج ـ وكانوا في ميمنة عليّ ـ وعكّ وجذام ولخم والأشعريّون، وكانوا مستبصرين في قتال عليّ.

ولقد ـ والله ـ رأيت ذلك اليوم من قتالهم، وسمعت من وقع السيوف على الرؤوس، وخبط الخيول بحوافرها في الأرض وفي القتلى ـ ما الجبالُ تَهِدّ، ولا الصواعقُ تَصْعَق بأعظم هولاً في الصدور من ذلك الصوت.

نظرت إلى عليّ وهو قائم فدنوت منه، فسمعته يقول: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله، والمستعان الله».

ثمّ نهض حين قام قائم الظهيرة، وهو يقول: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾[٣].

---

(١) التوبة: ١٢.

(٢) الفتوح: ٣ / ١٧٤؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٨٠ وفيه من «ألا إنّ خضاب...».

(٣) الأعراف: ٨٩.

وحمل على الناس بنفسه، وسيفه مجرّد بيده، فلا والله ما حجز بيننا إلّا الله ربّ العالمين، في قريب من ثلث الليل، وقُتلتْ يومئذٍ أعلام العرب، وكان في رأس عليّ ثلاث ضربات، وفي وجهه ضربتان.

نصر: وقد قيل: إنّ عليّاً لم يجرح قطّ.

وقُتل في هذا اليوم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقُتل من أهل الشام عبد الله بن ذي الكلاع الحميري[١].

٢٥٦٠ ـ **الأخبار الطوال**: حمل عليٌّ بنفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم، فانصرف مخضّباً بالدماء، فلم يزالوا كذلك يومهم كلّه والليل حتى مضى ثلثه، وجرح عليّ خمس جراحات، ثلاث في رأسه، واثنتان في وجهه[٢].

## ٢ / ١٠

## ليلة الهرير

٢٥٦١ ـ **مروج الذهب**: كانت ليلة الجمعة ـ وهي ليلة الهرير ـ فكان جملة من قتل عليٌّ بكفّه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً أكثرهم في اليوم، وذلك أنّه كان إذا قتل رجلاً كبّر إذا ضرب، ولم يكن يضرب إلّا قَتل. ذكر ذلك عنه من كان يليه في حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم[٣].

٢٥٦٢ ـ **الفتوح**: قامت الفرسان في الركب، فاصطفقوا بالسيوف، وارتفع الرَّهْج

---

(١) وقعة صفّين: ٣٦٣؛ شرح نهج البلاغة: ٨ / ٤١ وراجع الأخبار الطوال: ١٨٤.

(٢) الأخبار الطوال: ١٨٤ وراجع جواهر المطالب: ٢ / ٦٤.

(٣) مروج الذهب: ٢ / ٣٩٩ وراجع وقعة صفّين: ٤٧٧ والبداية والنهاية: ٧ / ٢٦٤ والمعيار والموازنة: ١٥٠.

وثار القَتام[١]، وتضعضعت الرايات، وحُطّت الألوية، وغابت الشمس، وذهبت مواقيت الصلاة، حتى ما كان في الفريقين أحد يُصلّي ذلك اليوم ولا سجد لله سجدة، ولا كانت الصلاة إلّا بالتكبير والإيماء نحو القبلة.

قال: وهجم عليهم الليل، واشتدّت الحرب، وهذه ليلة الهرير، فجعل بعضهم يهرّ على بعض، ويعتنق بعضهم بعضاً، ويكرم بعضهم بعضاً[٢].

قال: وجعل عليّ عليه السلام يقف ساعة بعد ساعة، ويرفع رأسه إلى السماء وهو يقول: «اللهمّ إليك نُقِلت الأقدام، وإليك أفضت القلوب، ورُفعت الأيدي، ومُدّت الأعناق، وطُلبت الحوائج، وشخصت الأبصار. اللهمّ ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾» ثمّ إنّه حمل في سواد الليل، وحملت الناس معه، فكلّما قتل بيده رجلاً من أهل الشام كبّر تكبيرة حتى اُحصي له كذا كذا تكبيرة.

قال أبو محمّد (ابن أعثم): اُحصي له خمسمائة تكبيرة وثلاث وعشرون تكبيرة، في كلّ تكبيرة له قتيل.

قال: وكان إذا علا قَدَّ، وإذا وسط قَطّ[٣][٤].

**٢٥٦٣ ـ تاريخ الطبري عن أبي مخنف**: فاقتتل الناس تلك الليلة كلّها حتى الصباح؛ وهي ليلة الهرير، حتى تقصّفت الرماح، ونفد النبل، وصار الناس إلى السيوف.

---

(١) الرَّهْج والقَتام: الغُبار (لسان العرب: ٢ / ٢٨٤ وج ١٣ / ٤٦١).

(٢) كذا في المصدر، ولعلّه مصحّف عن «يكزم». يقال: كزَم الشيء الصُّلب: إذا عضّه عضّاً شديداً (لسان العرب: ١٢ / ٥١٨).

(٣) قَدَّ: قطع طولاً وقَطَّ: قطع عرضاً (النهاية: ٤ / ٢١).

(٤) الفتوح: ٣ / ١٨٠ وراجع شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢١٣ ووقعة صفّين: ٤٧٩ ونهج البلاغة: الكتاب ١٥.

وأخذ عليّ يسير فيما بين الميمنة والميسرة، ويأمر كلّ كتيبة من القرّاء أن تقدم على التي تليها، فلم يزل يفعل ذلك بالناس، ويقوم بهم حتى أصبح والمعركة كلّها خلف ظهره، والأشتر في ميمنة الناس، وابن عبّاس في الميسرة، وعليّ في القلب، والناس يقتتلون من كلّ جانب، وذلك يوم الجمعة، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها، وكان قد تولّاها عشيّة الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى، وأخذ يقول لأصحابه: ازحفوا قِيْدَ[1] هذا الرمح، وهو يزحف بهم نحو أهل الشام، فإذا فعلوا قال: ازحفوا قادَ هذا القوس، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك، حتى ملّ أكثر الناس الإقدام.

فلمّا رأى ذلك الأشتر قال: أُعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم، ثمّ دعا بفرسه، وترك رايته مع حيّان بن هوذة النخعي، وخرج يسير في الكتائب ويقول: من يشتري نفسه من الله عزّ وجلّ ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله! فلا يزال رجل من الناس قد خرج إليه، وحيّان بن هوذة[2].

**٢٥٦٤ ـ وقعة صفّين عن زياد بن النضر الحارثي:** شهدت مع عليّ بصفّين، فاقتتلنا ثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ، حتى تكسّرت الرماح، ونفدت السهام، ثمّ صرنا إلى المسايفة؛ فاجتلدنا بها إلى نصف الليل، حتى صرنا نحن وأهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً.

وقد قاتلتُ لَيْلَتَئِذٍ بجميع السلاح؛ فلم يبقَ شيء من السلاح إلّا قاتلت به، حتى تحاثينا بالتراب، وتكادمنا بالأفواه، حتى صرنا قياماً ينظر بعضنا إلى

---

(١) قِيْدَ وقادَ: أي قَدْرَ. يقال بيني وبينهُ قِيْدُ رُمح، وقادُ رمح: أي قَدْر رمحٍ (النهاية: ٤ / ١٣١).

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٧، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٥ نحوه وراجع البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٢ ووقعة صفّين: ٤٧٥.

بعض، ما يستطيع واحد من الفريقين ينهض إلى صاحبه ولا يقاتل.

فلمّا كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصفّ، وغلب عليّ عليه السلام على القتلى في تلك الليلة، وأقبل على أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وأصحابه فدفنهم، وقد قُتل كثير منهم، وقُتل من أصحاب معاوية أكثر[1].

**٢٥٦٥ ـ الصراط المستقيم عن عمرو بن العاص ـ يوم الهرير ـ:** لله درّ ابن أبي طالب! ما كان أكثره عند الحروب! ما آنستُ أن أسمع صوته في أوّل الناس إلّا وسمعته في آخرهم، ولا في الميمنة إلّا وسمعته في الميسرة[2].

## ١٠ / ٣

## دعاءُ الإمام ليلة الهرير ويومه

**٢٥٦٦ ـ مهج الدعوات عن ابن عبّاس:** قلت لأمير المؤمنين عليه السلام ليلة صفّين: أما ترى الأعداء قد أحدقوا بنا؟ فقال: وقد راعك هذا؟ قلت: نعم. فقال: اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أُضام في سلطانك، اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك، اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أضيع في سلامتك، اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أُغلب والأمر إليك[3].

**٢٥٦٧ ـ وقعة صفّين عن جابر بن عمير الأنصاري:** والله لكأنّي أسمع عليّاً يوم الهرير حين سار أهل الشام وذلك بعدما طحنت رحى مذحج فيما بينهما وبين عكّ ولخم وجذام والأشعريّين بأمر عظيم تشيب منه النواصي من حين استقلّت الشمس حتى قام قائم الظهيرة، ثمّ إنّ عليّاً قال: حتى متى نخلّي بين هذين

---

(١) وقعة صفّين: ٣٦٩؛ شرح نهج البلاغة ٨ / ٤٥.

(٢) الصراط المستقيم: ٢ / ٤.

(٣) مهج الدعوات: ١٣٤، الأمان: ١٢٦، بحار الأنوار: ٩٤ / ٢٤٢ نقلاً عن كتاب دفع الهموم والأحزان.

الحيَّين وقد فنيا وأنتم وقوف تنظرون إليهم؟ أما تخافون مقتَ الله؟

ثمّ انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله، ثمّ نادى: يا الله يا رحمن يا رحيم يا واحد يا أحد يا صمد، يا الله يا إله محمّد، اللهمّ إليك نُقلت الأقدام، وأفضت القلوب، ورُفعت الأيدي، وامتدّت الأعناق، وشخصت الأبصار، وطُلبت الحوائج، اللهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا صلى الله عليه وآله، وكثرة عدوّنا، وتشتّت أهوائنا، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ﴾[1] سيروا على بركة الله، ثمّ نادى: لا إله إلّا الله والله أكبر كلمة التقوى[2].

**٢٥٦٨ ـ الإمام الصادق عليه السلام**: دعا أمير المؤمنين عليه السلام يوم الهرير حين اشتدّ على أوليائه الأمر دعاء الكرب؛ من دعا به وهو في أمر قد كربه وغمّه نجّاه الله منه وهو: «اللهمّ لا تُحبّب إليّ ما أبغضتَ، ولا تُبغّض إليّ ما أحببتَ، اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أرضى سَخَطك، أو أسخط رضاك، أو أردّ قضاءك، أو أعدو قولك، أو أُناصح أعداءك، أو أعدو أمرك فيهم.

اللهمّ ما كان من عمل أو قول يقرّبني من رضوانك، ويباعدني من سَخَطك، فصبّرني له، واحملني عليه يا أرحم الراحمين. اللهمّ إنّي أسألك لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، ويقيناً صادقاً، وإيماناً خالصاً وجسداً متواضعاً، وارزقني منك حبّاً، وادخِل قلبي منك رعباً، اللهمّ فإن ترحمني فقد حسن ظنّي بك، وإن تعذّبني فبظلمي وجوري وجرمي وإسرافي على نفسي؛ فلا عذر لي إن اعتذرت، ولا مكافاة أحتسب بها.

---

(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) وقعة صفّين: ٤٧٧، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥٢٨ / ٤٤٥؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢١٠، ينابيع المودّة: ٢ / ١١.

اللهمّ إذا حضرت الآجال، ونفدت الأيّام؛ وكان لابدّ من لقائك؛ فأوجِبْ لي من الجنّة منزلاً يغبطني به الأوّلون والآخرون، لا حسرة بعدها، ولا رفيق بعد رفيقها، في أكرمها منزلاً. اللهمّ ألبِسْني خشوع الإيمان بالعزّ، قبل خشوع الذلّ في النار، أُثني عليك ربّ أحسن الثناء؛ لأنّ بلاءك عندي أحسن البلاء.

اللهمّ فأذقني من عونك وتأييدك وتوفيقك ورِفدك، وارزقني شوقاً إلى لقائك، ونصراً في نصرك حتى أجد حلاوة ذلك في قلبي، وأعزِم لي على أرشد أُموري؛ فقد ترى موقفي وموقف أصحابي، ولا يخفى عليك شيء من أمري. اللهمّ إنّي أسألك النصر الذي نصرت به رسولك، وفرّقت به بين الحقّ والباطل، حتى أقمت به دينك، وأفلجت به حجّتك، يا من هو لي في كلّ مقام[1].

(١) مهج الدعوات: ١٢٨ عن أبي جعفر محمّد بن النعمان الأحول، بحار الأنوار: ٩٤ / ٢٣٧ نقلاً عن كتاب الدعاء لسعد بن عبد الله.



# الفَصلُ الحَادِي عَشَرَ

# تَوَقُّفُ الحَربِ

## ١١ / ١

## مكر الليل

**٢٥٦٩** ـ وقعة صفّين عن عمّار بن ربيعة : إنّ عليّاً قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ! قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم ، ولم يبقَ منهم إلّا آخر نفَس ، وإنّ الأُمور إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأوّلها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا ، وأنا غادٍ عليهم بالغداة أُحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ .

فبلغ ذلك معاوية ، فدعا عمرو بن العاص ، فقال : يا عمرو ! إنّما هي الليلة حتى يغدو عليّ علينا بالفيصل ، فما ترى ؟

قال : إنّ رجالك لا يقومون لرجاله ، ولستَ مثله ، هو يقاتلك على أمر ، وأنت تقاتله على غيره . أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء ، وأهل العراق يخافون منك إن

ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم.

ولكن ألقِ إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا؛ ادعُهم إلى كتاب الله حَكَماً فيما بينك وبينهم؛ فإنّك بالغ به حاجتك في القوم؛ فإنّي لم أزَل أُؤخّر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه.

فعرف ذلك معاوية، فقال: صدقت[1].

**٢٥٧٠ ـ وقعة صفّين عن صعصعة**: قام الأشعث بن قيس الكندي ليلة الهرير في أصحابه من كندة فقال: الحمد لله، أحمده، وأستعينه، وأُؤمن به، وأتوكّل عليه، وأستنصره، وأستغفره، وأستخيره، وأستهديه... قد رأيتم ـ يا معشر المسلمين ـ ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغتُ من السنّ ما شاء الله أن أبلغ، فما رأيت مثل هذا اليوم قطّ.

ألا فليبلّغ الشاهد الغائب، إنّا إن نحن تواقفنا غداً إنّه لَفناءُ العرب، وضَيعةُ الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحتف، ولكنّي رجل مسنّ أخاف على النساء والذراري غداً إذا فنينا.

اللهمّ! إنّك تعلم أنّي قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آلُ، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت وإليه أُنيب، والرأي يخطئ ويصيب، وإذا قضى الله أمراً أمضاه على ما أحبّ العباد أو كرهوا، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

قال صعصعة: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال: أصاب وربّ الكعبة! لئن نحن التقينا غداً لتميلنّ الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلنّ أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم، وإنّما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى.

---

(١) وقعة صفّين: ٤٧٦؛ الإمامة والسياسة: ١ / ١٤٣، الأخبار الطوال: ١٨٨ كلاهما نحوه.

اربطوا المصاحف على أطراف القنا.

قال صعصعة: فثار أهل الشام فنادوا في سواد الليل: يا أهل العراق! مَن لذرارينا إن قتلتمونا، ومن لذراريكم إن قتلناكم؟ اللهَ اللهَ في البقيّة[1].

## ٢/١١

## دعاء الإمام قبل رفع المصاحف

**٢٥٧١ ـ مهج الدعوات عن سعد بن عبد الله ـ** قال: إنّ هذا الدعاء دعا به عليّ صلوات الله عليه قبل رفع المصاحف الشريفة، ثمّ قال ما معناه: إنّ إبليس صرخ صرخة سمعها بعض العسكر يُشير على معاوية وأصحابه برفع المصاحف الجليلة للحيلة، فأجابه الخوارج لمعاوية إلى شبهاته، فرفعوها فاختلف أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

اللهمّ إني أسألك العافية من جهد البلاء، ومن شماتة الأعداء.

اللهمّ اغفر لي ذنبي، وزكِّ عملي، واغسل خطاياي؛ فإنّي ضعيف إلّا ما قوّيت، واقسم لي حلماً تسدّ به باب الجهل، وعلماً تُفرِّج به الجَهَلات، ويقيناً تُذهِب به الشكَّ عنّي، وفهماً تُخرجني به من الفتن المعضَلات، ونوراً أمشي به في الناس، وأهتدي به في الظلمات.

اللهمّ اصلح لي سمعي وبصري وشعري وبشري وقلبي صلاحاً باقياً تُصلِح بها ما بقي من جسدي، أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب.

اللهمّ إنّي أسألك الأيّ عمل كان أحبّ إليك وأقرب لديك، أن تستعملني فيه

---

(١) وقعة صفّين: ٤٨٠؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢١٤.

أبداً، ثمّ لَقِّني أشرف الأعمال عندك، وآتني فيه قوّة وصدقاً وجِدّاً وعزماً منك ونشاطاً، ثمّ اجعلني أعمل ابتغاء وجهك، ومعاشةً في ما آتيت صالحي عبادك، ثمّ اجعلني لا أشتري به ثمناً قليلاً، ولا أبتغي به بدلاً، ولا تغيّره في سرّاء ولا ضرّاء ولا كسلاً ولا نسياناً، ولا رياء، ولا سمعة، حتى تتوفّاني عليه، وارزقني أشرف القتل في سبيلك، أنصرك وأنصر رسولك، أشتري الحياة الباقية بالدنيا، وأغنني بمرضاة من عندك...[1].

## ١١ / ٣
## رفع المصاحف

**٢٥٧٢ ـ تاريخ الطبري عن أبي مخنف:** لمّا رأى عمرو بن العاص أنّ أمر أهل العراق قد اشتدّ، وخاف في ذلك الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلّا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلّا فرقة؟ قال: نعم.

قال: نرفع المصاحف ثمّ نقول: ما فيها حَكَم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: بلى ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنّا وهذه الحرب إلى أجَل أو إلى حين.

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم، مَنْ لثغور أهل الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق!

فلمّا رأى الناس المصاحف قد رُفعت، قالوا: نُجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ ونُنيب إليه[2].

---

(١) مهج الدعوات: ١٢٩، بحار الأنوار: ٩٤ / ٢٣٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٨، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٦، الإمامة والسياسة: ١ / ١٣٥، البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٣ كلاهما نحوه.

**٢٥٧٣ ـ تاريخ اليعقوبي:** زحف أصحاب عليّ وظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شديداً، حتى لصقوا به، فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه.

فقال له عمرو بن العاص: إلى أين؟

قال: قد نزل ما ترى، فما عندك؟

قال: لم يبقَ إلّا حيلة واحدة؛ أن تَرفع المصاحف، فتدعوهم إلى ما فيها، فتستكفّهم، وتكسر من حدّهم، وتفتّ في أعضادهم.

قال معاوية: فشأنك! فرفعوا المصاحف، ودعوهم إلى التحكّم بما فيها، وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله.

فقال عليّ: إنّها مكيدة، وليسوا بأصحاب قرآن.

فاعترض الأشعث بن قيس الكندي ـ وقد كان معاوية استماله، وكتب إليه ودعاه إلى نفسه ـ فقال: قد دعا القوم إلى الحقّ!

فقال عليّ عليه السلام: إنّهم إنّما كادوكم، وأرادوا صرفكم عنهم.

فقال الأشعث: والله، لئن لم تُجبهم انصرفت عنك.

ومالت اليمانيّة مع الأشعث، فقال الأشعث: والله، لتجيبنّهم إلى ما دعوا إليه، أو لندفعنّك إليهم برمّتك[1].

**٢٥٧٤ ـ مروج الذهب** ـ في ذكر ما جرى يوم الهرير ـ: وكان الأشتر في هذا اليوم ـ وهو يوم الجمعة ـ على ميمنة عليّ، وقد أشرف على الفتح، ونادت مشيخة أهل

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٨٨ وراجع أنساب الأشراف: ٣ / ٩٨ والعقد الفريد: ٣ / ٣٤٠ والفتوح: ٣ / ١٨٠.

الشام: يا معشر العرب! اللهَ اللهَ في الحرمات والنساء والبنات.

وقال معاوية: هلمّ مخبآتك يابن العاص؛ فقد هلكنا، وتذكّر ولاية مصر، فقال عمرو: أيّها الناس! من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه.

فكثر في الجيش رفع المصاحف، وارتفعت الضجّة، ونادَوا: كتاب الله بيننا وبينكم؛ من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ ومن لجهاد الروم؟ ومن للترك؟ ومن للكفّار؟

ورُفع في عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف.

وفي ذلك يقول النجاشي بن الحارث:

فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا ... عليها كتاب الله خيرُ قُرانِ

ونادَوا عليّاً يا ابن عمّ محمّدٍ ... أما تتّقي أن يهلك الثقلانِ

فلمّا رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا: نُجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه، وأحبّ القوم الموادعة، وقيل لعليّ: قد أعطاك معاوية الحقّ، ودعاك إلى كتاب الله فاقبلْ منه، وكان أشدّهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس[١].

**٢٥٧٥ ـ وقعة صفّين عن تميم بن حذيم:** لمّا أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا، فإذا أشباه الرايات أمام صفّ أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية، فلمّا أسفرنا إذا هي المصاحف قد رُبطت على أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدّوا ثلاثة أرماح جميعاً وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط.

وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبَلوا عليّاً بمائة مصحف، ووضعوا في كلّ

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٤٠٠ وراجع الفتوح: ٣ / ١٨١.

مُجنَّبة(١) مائتي مصحف، وكان جميعها خمسمائة مصحف.

قال أبو جعفر: ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال عليّ عليه السلام، وقام أبو شريح الجذامي حِيال الميمنة، وقام ورقاء بن المُعمّر حِيال الميسرة، ثمّ نادوا: يا معشر العرب! اللهَ اللهَ في نسائكم وبناتكم، فمَن للروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم، اللهَ اللهَ في دينكم، هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال عليّ: اللهمّ إنّك تعلم أنّهم ما الكتابَ يريدون، فاحكم بيننا وبينهم، إنّك أنت الحَكَم الحقّ المبين.

فاختلف أصحاب عليّ في الرأي، فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحلّ لنا الحرب وقد دُعينا إلى حكم الكتاب(٢).

**٢٥٧٦ـ وقعة صفّين عن صعصعة**: أقبل عديّ بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحقّ؛ فإنّه لم يُصَب عصبة منّا إلّا وقد أُصيب مثلها منهم، وكلٌّ مقروح، ولكنّا أمثل بقيّة منهم، وقد جزع القوم، وليس بعد الجزع إلّا ما تحبّ، فناجِز القوم.

فقام الأشتر النخعي فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا بصرك، فاقرع الحديد بالحديد، واستعن بالله الحميد.

ثمّ قام عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين! إنّا والله ما أجبناك، ولا

---

(١) مُجنَّبة الجيش: هي التي تكون في الميمنة والميسرة (النهاية: ١ / ٣٠٣).

(٢) وقعة صفّين: ٤٧٨، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥٢٩ و ٥٣٠ / ٤٤٦ و ٤٤٧؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢١١، ينابيع المودّة: ٢ / ١٢ وراجع الأخبار الطوال: ١٨٨ ـ ١٩٠.

نصرناك عصبيّة على الباطل ولا أجبنا إلّا الله عزّ وجلّ، ولا طلبنا إلّا الحقّ، ولو دعانا غيرك إلى مادعوت إليه لاستشري فيه اللجاج، وطالت فيه النجوى؛ وقد بلغ الحقّ مقطعه، وليس لنا معك رأي.

فقام الأشعث بن قيس مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين! إنّا لك اليوم على ما كنّا عليه أمس، وليس آخر أمرنا كأوّله، وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام منّي؛ فأجب القوم إلى كتاب الله؛ فإنّك أحقّ به منهم، وقد أحبّ الناس البقاء، وكرهوا القتال.

فقال عليّ ﷺ: إنّ هذا أمر يُنظر فيه.

وذكروا أنّ أهل الشام جزعوا فقالوا: يا معاوية! ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه، فأعِدها جذعة؛ فإنّك قد غمرت بدعائك القوم، وأطمعتهم فيك[1].

## ١١ / ٤

## الإمام في حصار أصحاب الجباه السُّود

**٢٥٧٧ ـ وقعة صفّين عن صعصعة**: دعا معاوية عبدَالله بن عمرو بن العاص، وأمره أن يُكلّم أهل العراق، فأقبل حتى إذا كان بين الصفّين نادى: يا أهل العراق! أنا عبدالله بن عمرو بن العاص، إنّها قد كانت بيننا وبينكم اُمور للدين والدنيا، فإن تكن للدين فقد والله أعذرنا وأعذرتم، وإن تكن للدنيا فقد والله أسرفنا وأسرفتم.

وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم؛ فإن يجمعنا وإيّاكم الرضى

---

(١) وقعة صفّين: ٤٨٢؛ الإمامة والسياسة: ١ / ١٤٤ وفيه إلى «أحبّ الناس البقاء»، المعيار والموازنة: ١٧٣ كلاهما نحوه وراجع مروج الذهب: ٢ / ٤٠١ والأخبار الطوال: ١٩٠.

فذلك من الله ، فاغتنموا هذه الفرجة لعلّه أن يعيش فيها المحترف ، ويُنسى فيها القتيل ؛ فإنّ بقاء المُهلِك بعد الهالك قليل .

فخرج سعيد بن قيس فقال : يا أهل الشام ! إنّه قد كان بيننا وبينكم أُمور حامينا فيها على الدين والدنيا ، سمّيتموها غدراً وسرفاً .

وقد دعوتمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمسِ ، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم ،ولا أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يُحكم بما أنزل الله ، فالأمر في أيدينا دونكم ، وإلّا فنحن نحن ، وأنتم أنتم .

وقام الناس إلى عليّ فقالوا : أجِب القوم إلى ما دعوك إليه ؛ فإنّا قد فُنينا... أكلتنا الحرب وقُتلت الرجال .

وقال قوم : نُقاتل القوم على ما قاتلناهم عليه أمسِ . ولم يقل هذا إلّا قليل من الناس ، ثمّ رجعوا عن قولهم مع الجماعة ، وثارت الجماعة بالموادعة .

فقام عليّ أمير المؤمنين فقال : إنّه لم يزل أمري معكم على ما أُحبّ إلى أن أخذت منكم الحرب ، وقد والله أخذتْ منكم وتركت ، وأخذتْ من عدوّكم فلم تترك ، وإنّها فيهم أنكى[1] وأنهك .

ألا إنّي كنت أمسِ أمير المؤمنين ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً فأصبحت منهيّاً ، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون[2] .

**٢٥٧٨ـ مروج الذهب** ـ بعد ذكر رفع المصاحف ـ : فلمّا رأى كثير من أهل العراق ذلك ، قالوا : نُجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه ، وأحبّ القوم الموادعة وقيل لعليّ :

---

(١) يُقال : نكيتُ في العدو : إذا أكثرتَ فيهم الجراح والقتل ، فوهنوا لذلك (النهاية : ٥ / ١١٧).

(٢) وقعة صفّين : ٤٨٣ ؛ الإمامة والسياسة : ١ / ١٣٦ نحوه ، شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٢٠ .

قد أعطاك معاوية الحقّ، ودعاك إلى كتاب الله، فاقبلْ منه، وكان أشدّهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس، فقال عليّ:

أيّها الناس! إنّه لم يزل من أمركم ما أُحبّ حتى قرحتكم الحرب، وقد والله أخذتْ منكم وتركتْ، وإنّي كنت بالأمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وقد أحببتم البقاء[1].

**٢٥٧٩ـ الإمام عليّ عليه السلام** ـ من كلام له لمّا اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة ـ: أيُّها الناس! إنّه لم يزل أمري معكم على ما أُحبّ، حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوّكم أنهكُ، لقد كنت أمسِ أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمسِ ناهياً، فأصبحت اليوم منهيّاً، وقد أحببتم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون![2]

**٢٥٨٠ـ وقعة صفّين عن عمر بن سعد**: لمّا رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال عليّ عليه السلام:

عبادَ الله! إنّي أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي مُعَيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرَفُ بهم منكم، صحبتُهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال، وشرّ رجال.

إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل، إنّهم والله ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها،

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٤٠٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٨، وقعة صفّين: ٤٨٤، بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٠٦ / ٥٥٦؛ المعيار والموازنة: ١٧٥، الإمامة والسياسة: ١ / ١٣٨.

ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة.

أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلّا أن يُقطع دابر الذين ظلموا.

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنّعين في الحديد شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودّت جباههم من السجود!! يتقدّمهم مسعر بن فدكي، وزيد بن حصين، وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعدُ، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا عليّ! أجِب القوم إلى كتاب الله إذ دُعيت إليه، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فوالله لنفعلنّها إن لم تُجبْهم.

فقال لهم: ويحكم! أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، وأوّل من أجاب إليه، وليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني أن أُدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إنّي إنّما أُقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن؛ فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليسوا العملَ بالقرآن يُريدون.

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك. وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله[1].

## ٥/١١

## رجوع الأشتر من المعركة

**٢٥٨١ ـ** وقعة صفّين عن إبراهيم بن الأشتر: كنت عند عليّ حين أكرهه الناس على

---

(١) وقعة صفّين: ٤٨٩، المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٨٣ وفيه إلى «صحبتم رجالاً»، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥٣٢ / ٤٤٩؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢١٦ وراجع مروج الذهب: ٢ / ٤٠١ وتاريخ الطبري: ٥ / ٤٨ والكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٦ والبداية والنهاية: ٧ / ٢٧٣.

الحكومة، وقالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتِك.

قال: فأرسل عليّ إلى الأشتر يزيد بن هانئ السبيعي أن ائتني.

فأتاه فبلّغه.

فقال: قل له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزيلني فيها عن موقفي، إنّي قد رجوت أن يفتح لي؛ فلا تعجلني.

فرجع يزيد بن هانئ إلى عليّ فأخبره، فما هو إلّا أن انتهى إلينا، فارتفع الرَّهَج، وعَلَت الأصوات من قبل الأشتر، فقال له القوم: والله ما نراك إلّا أمرته أن يقاتل.

قال: من أين ينبغي أن ترَوا ذلك! رأيتموني سارَرتُه؟ أليس إنّما كلّمته على رؤوسكم علانية، وأنتم تسمعونني!

قالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلّا والله اعتزلناك.

قال له: ويحَك يا يزيد! قل له: أقبِلْ إليَّ؛ فإنّ الفتنة قد وقعت!

فأبلغه ذلك، فقال له: ألرفع المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما والله، لقد ظننت حين رُفعت أنّها ستوقع اختلافاً وفرقة، إنّها مشورة ابن العاهرة، ألا ترى ما صنع الله لنا! أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم!

وقال يزيد بن هانئ: فقلت له: أتحبّ أنّك ظفرت هاهنا، وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يُفرج عنه أو يُسْلَم؟

قال: لا والله، سبحان الله!

قال: فإنّهم قد قالوا: لترسلنّ إلى الأشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك كما قتلنا ابن عفّان.

فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل العراق! يا أهل الذلّ والوهن! أحين علوتم القوم ظهراً، وظنّوا أنّكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها! وقد والله تركوا ما أمر الله عزّ وجلّ به فيها، وسُنّة من أُنزلت عليه ﷺ؟ فلا تُجيبوهم، أمهلوني عدْو الفرس؛ فإنّي قد طمعت في النصر.

قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك، قال: فحدِّثوني عنكم؛ وقد قُتل أماثلكم، وبقي أراذلكم، متى كنتم محقّين؟ أحين كنتم تقاتِلون وخياركم يُقتلون! فأنتم الآن إذ أمسكتم عن القتال مبطلون، أم الآن أنتم محقّون؟ فقتلاكم الذين لا تُنكرون فضلهم، فكانوا خيراً منكم، في النار إذاً!

قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في الله عزّ وجلّ، وندعْ قتالهم لله سبحانه، إنّا لسنا مطيعيك ولا صاحبك، فاجتنِبنا.

فقال: خُدعتم والله فانخدعتم، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم.

يا أصحاب الجباه السود! كنّا نظنّ صلواتكم زهادة في الدنيا، وشوقاً إلى لقاء الله عزّ وجلّ، فلا أرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت. ألا قبحاً يا أشباه النِّيب الجلّالة[1]! وما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون!

فسبّوه، فسبّهم، فضربوا وجه دابّته بسياطهم، وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابّهم، وصاح بهم عليّ فكفّوا[2].

---

(١) النِّيب: جمع ناب: وهي الناقة المسنّة، سمّوها بذلك حين طال نابها وعظم. والجلّالة: الّتي تَتَبّعُ النجاسات (تاج العروس: ٢/٤٥٨ وج ١٤/١١٤).

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٤٩، الكامل في التاريخ: ٢/٣٨٦ نحوه؛ وقعة صفّين: ٤٩٠ وراجع الأخبار الطوال: ١٩٠ والفتوح: ٣/١٨٦.

**٢٥٨٢ ـ وقعة صفّين عن إبراهيم بن الأشتر ـ في بيان ما جرى بعد رفع المصاحف ـ** : قال الأشتر : يا أمير المؤمنين ! احمل الصفّ على الصفّ يصرع القوم. فتصايحوا : إنّ عليّاً أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ، ورضي بحكم القرآن ، ولم يسعه إلّا ذلك .

قال الأشتر : إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي بحكم القرآن ، فقد رضيت بما رضي أمير المؤمنين .

فأقبل الناس يقولون : قد رضي أمير المؤمنين ، قد قبل أمير المؤمنين ، وهو ساكت ، لا يبِضّ بكلمة ، مطرق إلى الأرض[1] .

## ٦/١١

## فرح معاوية

**٢٥٨٣ ـ الفتوح** : كان معاوية بعد ذلك [أي بعد ختام الحرب] يقول : والله ، لقد رجع عنّي الأشتر يوم رفع المصاحف ، وأنا أُريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من عليّ . وقد هممت ذلك اليوم بالهرب ، ولكن ذكرت قول عمرو بن الأطنابة حيث يقول :

أبت لي عفّتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيحِ[2]

**٢٥٨٤ ـ الفتوح** : فغمد الناس أسيافهم ، ووضعوا أسلحتهم ، وعزموا على الحكم ، فقال عمرو لمعاوية : كيف رأيت رأيي ؟ لقد كنتَ غرقتَ في بحر العراق وأنقذتك .

---

(١) وقعة صفّين : ٤٩٢ ؛ الفتوح : ٣ / ١٨٧ نحوه .

(٢) الفتوح : ٣ / ١٨٨ وراجع عيون الأخبار لابن قتيبة : ١ / ١٢٦ وتاريخ الطبري : ٥ / ٢٤ والكامل في التاريخ : ٢ / ٣٧٦ والبداية والنهاية : ٧ / ٢٦٦ و ج ٨ / ٢٨٣ ووقعة صفّين : ٤٠٤ .

فقال معاوية: صدقت أبا عبد الله، ولمثلها كنت أرجوك[1].

## ١١ / ٧

## رسالة معاوية إلى الإمام

**٢٥٨٥ ـ** وقعة صفّين عن إبراهيم بن الأشتر: بعث معاوية أبا الأعور السلمي على بِرْذَوْن أبيض، فسار بين الصفّين؛ صفّ أهل العراق وصفّ أهل الشام، والمصحف على رأسه وهو يقول: كتاب الله بيننا وبينكم. فأرسل معاوية إلى عليّ: إنّ الأمر قد طال بيننا وبينك، وكلّ واحد منا يرى أنّه على الحقّ فيما يطلب من صاحبه، ولن يُعطي واحد منّا الطاعة للآخر، وقد قُتل فيما بيننا بشر كثير، وأنا أتخوّف أن يكون ما بقي أشدّ ممّا مضى، وإنّا سوف نُسأل عن ذلك الموطن، ولا يُحاسَب به غيري وغيرك. فهل لك في أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة، وصلاح للأُمّة، وحقن للدماء، وأُلفة للدين، وذهاب للضغائن والفتن؛ أن يحكم بيننا وبينك حكمان رضِيّان؛ أحدهما من أصحابي، والآخر من أصحابك؛ فيحكمان بما في كتاب الله بيننا؛ فإنّه خير لي ولك، وأقطع لهذه الفتن. فاتّقِ الله فيما دُعيت له، وارضَ بحكم القرآن إن كنت من أهله. والسلام[2].

## ١١ / ٨

## جواب الإمام عنه وقبوله التحكيم

**٢٥٨٦ ـ** وقعة صفّين عن إبراهيم بن الأشتر ـ بعد ذكر كتاب معاوية للإمام عليه السلام ـ:

---

(١) الفتوح: ٣ / ١٩١.

(٢) وقعة صفّين: ٤٩٣، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥٣٧؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٥ وفيه من «فأرسل معاوية...».

فكتب إليه عليّ بن أبي طالب :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان .

أمّا بعدُ ؛ فإنّ أفضل ما شغل به المرء نفسه اتّباع ما يحسن به فعله ، ويستوجب فضله ، ويسلم من عيبه . وإنّ البغي والزور يُزريان بالمرء في دينه ودنياه ، ويُبدِيان من خلله عند من يُغنيه ما استرعاه الله ما لا يُغني عنه تدبيره .

فاحذر الدنيا ؛ فإنّه لا فرح في شيء وصلت إليه منها . ولقد علمت أنّك غير مدرك ما قُضي فواته . وقد رام قومٌ أمراً بغير الحقّ ؛ فتأوّلوا على الله تعالى ، فأكذبهم ومتّعهم قليلاً ، ثمّ اضطرّهم إلى عذاب غليظ . فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمدَ عاقبةَ عمله ، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحادَّه ، فغرّته الدنيا واطمأنّ إليها . ثمّ إنّك قد دعوتني إلى حكم القرآن ؛ ولقد علمت أنّك لست من أهل القرآن ، ولست حكمَه تُريد ، والله المستعان . وقد أجبنا القرآن إلى حكمه ، ولسنا إيّاك أجبنا . ومن لم يرضَ بحكم [القرآن][1] فقد ضلّ ضلالاً بعيداً[2] .

**٢٥٨٧ ـ الإمام عليّ** عليه السلام **ـ** من كتاب له إلى معاوية ـ: وإنّ البغي والزور يوتغان[3] المرء في دينه ودنياه ، ويُبديان خلله عند من يُعيبه . وقد علمتُ أنّك غير مدرك ما قُضي فواته . وقد رام أقوامٌ أمراً بغير الحقّ ، فتألّوا على الله فأكذبَهم . فاحذر يوماً يغتبط فيه مَن أحمدَ عاقبةَ عملِه ، ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يُجاذبه . وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله ، ولسنا إيّاك أجبنا ، ولكنّا أجبنا

---

(١) مابين المعقوفين ساقط من المصدر ، وأثبتناه من بحار الأنوار وشرح نهج البلاغة .

(٢) وقعة صفّين : ٤٩٣ ، بحار الأنوار : ٣٢ / ٥٣٧ ؛ شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٢٥ .

(٣) يُوتِغه : يُهلكه (النهاية : ٥ / ١٤٩).

القرآن في حُكمه. والسلام[1].

## ٩/١١

## كلام الإمام في ذمّ أصحابه

**٢٥٨٨ـ** الإرشاد ـ من كلامه عليه السلام حين رجع أصحابه عن القتال بصفّين، لمّا اغترّهم معاوية برفع المصاحف ـ: لقد فعلتم فعلة ضعضعت من الإسلام قواه، وأسقطت مُنّته[2]، وأورثت وهناً وذلّة. لمّا كنتم الأعلَين، وخاف عدوّكم الاجتياح، واستحرّ بهم القتل، ووجدوا ألمَ الجراح؛ رفعوا المصاحف ودعوكم إلى ما فيها ليفثؤوكم[3] عنهم، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم، ويتربّص بكم ريب المنون خديعة ومكيدة. فما أنتم إن جامعتموهم على ما أحبّوا، وأعطيتموهم الذي سألوا إلّا مغرورون. وآيم الله، ما أظنّكم بعدها موافقي رشد، ولا مصيبي حزم[4].

**٢٥٨٩ـ** وقعة صفّين: جاء عديّ بن حاتم يلتمس عليّاً، ما يطأ إلّا على إنسان ميت أو قدم أو ساعد، فوجده تحت رايات بكر بن وائل، فقال: يا أمير المؤمنين! ألا نقوم حتى نموت؟ فقال عليّ: ادنُهْ. فدنا حتى وضع أذنُه عند أنفه، فقال: ويحك! إنّ عامّة من معي يعصيني، وإنّ معاوية فيمن يُطيعه ولا يعصيه[5].

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٨، بحار الأنوار: ٣٣/٣٠٨/٥٨٨.

(٢) المُنّة: القوّة (لسان العرب: ١٣/٤١٥).

(٣) فَثَأ الرجلَ: كَسَر غضبَه وسكّنه بقول أو غيره (لسان العرب: ١/١٢٠).

(٤) الإرشاد: ١/٢٦٨، بحار الأنوار: ٣٣/٥٠٩/٥٥٩؛ تاريخ الطبري: ٥/٥٦ عن جندب بن عبد الله، الكامل في التاريخ: ٢/٣٩٠، المعيار والموازنة: ٨٤ كلّها نحوه.

(٥) وقعة صفّين: ٣٧٩، بحار الأنوار: ٣٢/٥٠٣/٤٣٣؛ شرح نهج البلاغة: ٨/٧٧.



# الفَصلُ الثَّاني عَشَر

# تَعيينُ الحَكَم

## ١٢ / ١

## مخالفة الإمام في تعيين الحَكَم

**٢٥٩٠ ـ الإمام الباقر ﷺ** : لمّا أراد الناس عليّاً على أن يضع حكمين قال لهم عليّ :

إنّ معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص ، وإنّه لا يصلح للقرشي إلّا مثله ، فعليكم بعبد الله بن عبّاس فارموه به ؛ فإنّ عمراً لا يعقد عقدة إلّا حلّها عبد الله ، ولا يحلّ عقدة إلّا عقدها ، ولا يبرم أمراً إلّا نقضه ، ولا ينقض أمراً إلّا أبرمه .

فقال الأشعث : لا والله ، لا يحكم فيها مضريّان حتى تقوم الساعة ، ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مضر .

فقال عليّ : إنّي أخاف أن يُخدع يَمنيّكم ؛ فإنّ عمراً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوًى .

فقال الأشعث : والله ، لأن يحكما ببعض مانكره ، وأحدهما من أهل اليمن ، أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما نحبّ في حكمهما وهما مضريّان[1].

**٢٥٩١ ـ الإمام عليّ عليه السلام** ـ من كلام له في شأن الحكمين وذمّ أهل الشام ـ: جُفاة طَغام ، وعبيد أقزام ، جُمعوا من كلّ أوْبٍ ، وتُلُقِّطوا من كلّ شَوبٍ ، ممّن ينبغي أن يُفقَّه ويُؤدَّبَ ، ويُعلَّمَ ويُدرَّبَ ، ويُولَّى عليه ، ويُؤخَذَ على يديه . ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولا من الذين تبوّؤوا الدار والإيمان .

ألا وإنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا يُحبّون[2]، وإنّكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم ممّا تكرهون .

وإنّما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول : «إنّها فتنة ، فقطِّعوا أوتاركم ، وشيموا سيوفكم» . فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره ، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة .

فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العبّاس ، وخذوا مَهَلَ الأيّام ، وحوطوا قواصي الإسلام . ألا ترون إلى بلادكم تغزى ، وإلى صفاتكم تُرمى ؟[3]

**٢٥٩٢ ـ وقعة صفّين** : ذكروا أنّ ابن الكوّاء قام إلى عليّ فقال : هذا عبد الله بن قيس وافد أهل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب مقاسِم أبي بكر ، وعامل عمر ، وقد رضي به القوم . وعرضنا على القوم عبد الله بن عبّاس فزعموا : أنّه قريب القرابة منك ، ظنونٌ في أمرك[4].

---

(١) وقعة صفّين : ٥٠٠ عن جابر ؛ الفتوح : ٤ / ١٩٨ نحوه .

(٢) في المصدر : «تحبّون» ، والتصحيح من شرح نهج البلاغة (١٣ / ٣٠٩) .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣٨ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٢٣ / ٥٦٩ .

(٤) وقعة صفّين : ٥٠٢ ؛ شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٣١ .

**٢٥٩٣ ـ الأخبار الطوال** : اجتمع قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام ، فقعدوا بين الصفّين ، ومعهم المصحف يتدارسونه ، فاجتمعوا على أن يُحكّموا حكمين ، وانصرفوا .

فقال أهل الشام : قد رضينا بعمرو .

وقال الأشعث ومن كان معه من قرّاء أهل العراق : قد رضينا نحن بأبي موسى .

فقال لهم عليّ : لست أثق برأي أبي موسى ، ولا بحزمه ، ولكن أجعل ذلك لعبد الله بن عبّاس .

قالوا : والله ، ما نفرّق بينك وبين ابن عبّاس ، وكأنّك تريد أن تكون أنت الحاكم ، بل اجعله رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى أحد منكما بأدنى منه إلى الآخر .

قال عليّ عليه السلام : فلِمَ ترضون لأهل الشام بابن العاص ، وليس كذلك ؟

قالوا : أُولئك أعلم ، إنّما علينا أنفسنا .

قال : فإنّي أجعل ذلك إلى الأشتر .

قال الأشعث : وهل سعّر هذه الحرب إلّا الأشتر ؟ وهل نحن إلّا في حكم الأشتر ؟

قال عليّ : وما حكمه ؟

قال : يضرب بعض وجوه بعض حتى يكون ما يريد الله .

قال : فقد أبيتم إلّا أن تجعلوا أبا موسى ؟!

قالوا : نعم .

قال : فاصنعوا ما أحببتم[1].

٢٥٩٤ ـ تاريخ الطبري عن أبي مخنف : جاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال له : ما أرى الناس إلّا قد رضوا ، وسرّهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن ، فإن شئتَ أتيتُ معاوية فسألته ما يريد ، فنظرت ما يسأل .

قال : ائته إن شئت فسله .

فأتاه فقال : يا معاوية ! لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف ؟

قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به في كتابه ، تبعثون منكم رجلاً ترضون به ، ونبعث منّا رجلاً ، ثمّ نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ، ثمّ نتّبع ما اتّفقا عليه .

فقال له الأشعث بن قيس : هذا الحقّ . فانصرف إلى عليّ فأخبره بالذي قال معاوية .

فقال الناس : فإنّا قد رضينا وقبلنا .

فقال أهل الشام : فإنّا قد اخترنا عمرو بن العاص .

فقال الأشعث وأُولئك الذين صاروا خوارج بعد : فإنّا قد رضينا بأبي موسى الأشعري .

قال عليّ : فإنّكم قد عصيتموني في أوّل الأمر ، فلا تعصوني الآن ، إنّي لا أرى أن أُ ـلي أبا موسى .

فقال الأشعث ، وزيد بن حُصين الطائي ، ومسعر بن فدكي : لا نرضى إلّا بـه ،

---

(١) الأخبار الطوال : ١٩٢ وراجع مروج الذهب : ٢ / ٤٠١ .

فإنّه ما كان يحذّرنا منه وقعنا فيه .

قال عليّ : فإنّه ليس لي بثقة ، قد فارقني ، وخذّل الناس عنّي ، ثمّ هرب منّي حتى آمنته بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عبّاس نولّيه ذلك .

قالوا : ما نبالي أنت كنت أم ابن عبّاس ! لا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر .

فقال عليّ : فإنّي أجعل الأشتر .

قال أبو مخنف : ... أنّ الأشعث قال : وهل سعّر الأرض غير الأشتر ؟ ! ...

وهل نحن إلّا في حكم الأشتر ؟ !

قال عليّ : وما حكمه ؟

قال : حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردتَ وما أراد .

قال : فقد أبيتم إلّا أبا موسى ؟ !

قالوا : نعم .

قال : فاصنعوا ما أردتم .

فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال ، وهو بعُرض[1] ، فأتاه مولى له ، فقال :

إنّ الناس قد اصطلحوا .

فقال : الحمد لله ربّ العالمين !

قال : قد جعلوك حكماً .

(١) عُرْض : بليدة في بريّة الشام تدخل في أعمال حلب (معجم البلدان : ٤ / ١٠٣).

قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون!

وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتر حتى أتى عليّاً فقال: ألِزّني بعمرو بن العاص، فوالله الذي لا إله إلّا هو، لئن ملأتُ عيني منه لأقتلنّه.

وجاء الأحنف فقال:

يا أمير المؤمنين! إنّك قد رُميتَ بحجر الأرض، وبمن حارب الله ورسوله أنف الإسلام، وإنّي قد عجمتُ[1] هذا الرجل، وحلبتُ أشطره، فوجدته كَليلَ الشفرة، قريبَ القعر، وإنّه لا يصلح لهؤلاء القوم إلّا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفّهم، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم. فإن أبيَت أن تجعلني حكماً، فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنّه لن يعقد عقدة إلّا حللتُها، ولن يحلّ عقدة أعقدها إلّا عقدتُ لك أُخرى أحكم منها.

فأبى الناس إلّا أبا موسى والرضا بالكتاب[2].

## ٢/١٢

## وثيقة التحكيم

**٢٥٩٥ ـ الأمالي للطوسي عن جندب:** لمّا وقع الاتّفاق على كتب القضية بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين معاوية بن أبي سفيان، حضر عمرو بن العاص في رجال من أهل الشام وعبد الله بن عبّاس في رجال من أهل العراق.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام للكاتب: اكتب: هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين

---

(١) يُقال: عَجَمتُ الرجلَ: إذا خَبَرتَه (لسان العرب: ١٢ / ٣٩٠).

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٥١، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٧، الفتوح: ٣ / ١٩٣ ـ ١٩٩؛ وقعة صفّين: ٤٩٨ كلاهما نحوه.

عليّ ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .

فقال عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم أبيه ولا تسمّه بإمرة المؤمنين ، فإنّما هو أمير هؤلاء وليس بأميرنا .

فقال الأحنف بن قيس : لا تمح هذا الاسم فإنّي أتخوّف إن محوته لا يرجع إليك أبداً .

فامتنع أمير المؤمنين عليه السلام من محوه ، فتراجع الخطاب فيه مليّاً من النهار ، فقال الأشعث بن قيس : امحُ هذا الاسم ترَحه الله .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله أكبر ! سُنّة بسُنّة ومثل بمثل ، والله ، إنّي لكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبيّة وقد أملى عليَّ : هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمر ، فقال له سهيل : امحُ رسول الله فإنّا لا نقرّ لك بذلك ، ولا نشهد لك به ، اكتب اسمك واسم أبيك ، فامتنعتُ من محوه فقال النبيّ صلى الله عليه وآله :

امحه يا عليّ ! وستُدعى إلى مثلها فتجيب ، وأنت على مضض .

فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ! ومثل هذا يُشبّه بذلك ونحن مؤمنون ، وأُولئك كانوا كفّاراً !

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يابن النابغة ! ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً وللمسلمين عدوّاً ، وهل تشبه إلّا أُمّك التي دفعت بك ؟

فقال عمرو : لا جرم ، لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله ، إنّي لأرجو أن يُطهّر الله مجلسي منك ومن أشباهك .

ثمّ كتب الكتاب وانصرف الناس[١].

**٢٥٩٦ ـ تاريخ الطبري عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه ـ** في ذكر ما احتوت عليه وثيقة التحكيم ـ: وثيقة التحكيم هي ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين، إنّا ننزل عند حكم الله عزّ وجلّ وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وإنّ كتاب الله عزّ وجلّ بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نُحيي ما أحيا، ونميت ما أمات.

فما وجد الحكمان في كتاب الله عزّ وجلّ ـ وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، وعمرو بن العاص القرشي ـ عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله عزّ وجلّ فالسنّة العادلة الجامعة غير المفرّقة.

وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق، والثقة من الناس، أنّهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأُمّة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه.

وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه أنّا على ما في هذه الصحيفة، وأن قد وجبت قضيّتهما على المؤمنين، فإنّ الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وشاهدهم وغائبهم.

---

(١) الأمالي للطوسي: ١٨٧ / ٣١٥، وقعة صفّين: ٥٠٨؛ تاريخ الطبري: ٥ / ٥٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٨ كلّها نحوه وراجع الإمامة والسياسة: ١ / ١٥١ والأخبار الطوال: ١٩٤ والفتوح: ٤ / ٢٠١.

وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأُمّة، ولا يَرُدّاها في حرب ولا فرقة حتى يُعصيا، وأجلُ القضاء إلى رمضان. وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك أخّراه على تراضٍ منهما، وإن توفّي أحد الحكمين فإنّ أمير الشيعة يختار مكانه، ولا يألو من أهل المَعدلة والقسط.

وإنّ مكان قضيّتهما الذي يقضيان فيه مكانٌ عدلٌ بين أهل الكوفة وأهل الشام، وإن رضيا وأحبّا فلا يحضرهما فيه إلّا من أرادا، ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود، ثمّ يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة، وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة، وأراد فيه إلحاداً وظلماً.

اللهمّ! إنّا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة[١].

٢٥٩٧ ـ شرح نهج البلاغة عن أبي إسحاق الشيباني: قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بُردة في صحيفة صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها على خاتم عليّ عليه السلام «محمّد رسول الله» وعلى خاتم معاوية «محمّد رسول الله» وقيل لعليّ عليه السلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟

فقال عليّ عليه السلام: ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون، ولكن يكتب معاوية ما شاء بما شاء ويقرّ بما شاء لنفسه ولأصحابه، ويسمّي نفسه بما شاء وأصحابه[٢].

٢٥٩٨ ـ تاريخ الطبري عن فضيل بن خديج الكندي ـ في وثيقة التحكيم ـ: كان

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٥٣، الأخبار الطوال: ١٩٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٨، الإمامة والسياسة: ١ / ١٥٢، الفتوح: ٤ / ٢٠٤؛ وقعة صفّين: ٥١٠ وص ٥٠٤، شرح الأخبار: ٢ / ١٣٥ كلّها نحوه.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٣٣، ينابيع المودّة: ٢ / ١٩؛ وقعة صفّين: ٥٠٩.

الكتاب في صفر والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر، إلى أن يلتقي الحكمان.

ثمّ إنّ الناس دفنوا قتلاهم، وأمر عليّ الأعور فنادى في الناس بالرحيل[١].

**٢٥٩٩ـ** تاريخ الطبري عن أبي جعفر: كتب كتاب القضيّة بين عليّ ومعاوية يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة على أن يوافي عليّ ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان[٢].

## ٣/١٢
## عدم رضاء الأشتر بما في الوثيقة

**٢٦٠٠ـ** تاريخ الطبري عن عُمارة بن ربيعة الجرمي: لمّا كتبت الصحيفة دعي لها الأشتر فقال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خُطّ لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة، أوَلستُ على بينة من ربّي ومن ضلال عدوي؟ أولستم قد رأيتم الظفر لو لم تُجمعوا على الجور؟

فقال له الأشعث بن قيس: إنّك والله، ما رأيت ظفراً ولا جوراً، هلمّ إلينا فإنّه لا رغبة بك عنّا.

فقال: بلى والله، لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة للآخرة، ولقد سفك الله عزّ وجلّ بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي خير منهم ولا أحرم دماً.

قال عمارة: فنظرت إلى ذلك الرجل وكأنما قُصع على أنفه الحمم ـ يعني الأشعث ـ[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ٥٩، أنساب الأشراف: ٣/ ١١١ وفيه إلى «قتلاهم».

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ٥٦، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٨٩، البداية والنهاية: ٧/ ٢٧٧ وراجع وقعة صفّين: ٥٠٧ وص ٥١١.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/ ٥٤، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٨٩؛ وقعة صفّين: ٥١١ نحوه.

٢٦٠١ ـ تاريخ الطبري عن فضيل بن خديج الكندي : قيل لعليّ بعدما كتبت الصحيفة : إنّ الأشتر لا يُقرّ بما في الصحيفة ، ولا يرى إلّا قتال القوم.

قال عليّ : وأنا والله ، ما رضيتُ ولا أحببتُ أن ترضوا ، فإذ أبيتم إلّا أن ترضوا فقد رضيتُ ، فإذ رضيتُ فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ، ولا التبديل بعد الإقرار ، إلّا أن يُعصى الله عزّ وجلّ ويُتعدّى كتابه ، فقاتلوا من ترك أمر الله عزّ وجلّ.

وأمّا الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أُولئك ، ولستُ أخافه على ذلك ، ياليتَ فيكم مثله اثنين ! ياليتَ فيكم مثله واحداً ! يرى في عدوّي ما أرى ؛ إذاً لخفّت عليَّ مؤونتكم ورجوتُ أن يستقيم لي بعض أودكم ، وقد نهيتكم عمّا أتيتم فعصيتموني ، وكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

وهل أنا إلّا من غَزيّة إن غوت غويتُ وإن تَرشُد غَزيّة أرشُد[1]

## ٤/١٢

## اختلاف الكلمة في أصحاب الإمام

٢٦٠٢ ـ تاريخ الطبري عن أبي جناب : خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ، ويعرضه عليهم فيقرؤنه حتى مرّ به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أديّة وهو أخو أبي بلال فقرأه عليهم فقال عروة بن أديّة : تُحكمون في أمر الله عزّ وجلّ الرجال ؟! لا حكم إلّا لله ، ثمّ شد بسيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة واندفعت الدابة ، وصاح به أصحابه أن أملك يدك فرجع ، فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن فمشى الأحنف بن قيس السعدي ومعقل بن قيس

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٥٩ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٨٩ ؛ الإرشاد : ١ / ٢٦٩ وفيه من «والله ...» ، وقعة صفّين : ٥٢١ كلاهما نحوه.

الرياحي ومسعر بن فدكي وناس كثير من بني تميم فتنصلوا[1] إليه واعتذروا فقبل وصفح[2].

**٢٦٠٣ ـ الكامل للمبرّد عن أبي العبّاس :** أما أوّل سيف سُلّ من سيوف الخوارج فسيف عروة بن اُديّة ، وذلك أنّه أقبل على الأشعث فقال : ما هذه الدنيئة يا أشعث ؟ وما هذا التحكيم ؟ أشرط أوثق من شرط الله عزّ وجلّ ؟ ! ثمّ شهر عليه السيف والأشعث مولّ ، فضرب به عجز البغلة ، فشبّت البغلة فنفرت اليمانية ، وكانوا جُلّ أصحاب عليّ صلوات الله عليه .

فلمّا رأى ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قدامة ، ومسعود بن فدكي بن أعبد ، وشبث بن ربعي الرياحي إلى الأشعث ، فسألوه الصفح ، ففعل[3].

**٢٦٠٤ ـ مروج الذهب :** لمّا وقع التحكيم تباغض القوم جميعاً ، وأقبل بعضهم يتبرّأ من بعض : يتبرّأ الأخ من أخيه ، والابن من أبيه ، وأمر عليّ بالرحيل ، لعلمه باختلاف الكلمة ، وتفاوت الرأي ، وعدم النظام لاُمورهم ، وما لحقه من الخلاف منهم ، وكثر التحكيم في جيش أهل العراق ، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف ، وتسابّوا ، ولام كلّ فريق منهم الآخر في رأيه .

وسار عليّ يؤمّ الكوفة ، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرّق عساكره ، فلحق كلّ جند منهم ببلده[4].

---

(١) تَنَصّل إليه من الجناية : خرج وتبرّأ (لسان العرب : ١١ / ٦٦٤) .

(٢) تاريخ الطبري : ٥ / ٥٥ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٨٩ ؛ وقعة صفّين : ٥١٣ نحوه وراجع الأخبار الطوال : ١٩٧ .

(٣) الكامل للمبرّد : ٣ / ١٠٩٨ وراجع البداية والنهاية : ٧ / ٢٧٨ .

(٤) مروج الذهب : ٢ / ٤٠٥ .

# الفَصْلُ الثَّالِثَ عَشَرَ

# الإنْصِرافُ مِنْ صِفِّين

## ١٣ / ١

## خطبة الإمام عند منصرفه من صفّين

**٢٦٠٥ ـ نهج البلاغة** ـ من خطبة له ﷺ بعد انصرافه من صفّين ـ: أحمدُه استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزّته، واستعصاماً من معصيته. وأستعينه فاقةً إلى كفايته؛ إنّه لا يضلّ من هداه، ولا يَئِلُ من عاداه، ولا يفتقر من كفاه؛ فإنّه أرجح ما وزن وأفضل ما خزن.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادةً مُمتحناً إخلاصها، معتقداً مُصاصُها، نتمسّك بها أبداً ما أبقانا. وندّخرها لأهاويل ما يلقانا، فإنّها عزيمة الإيمان، وفاتحة الاحسان، ومرضاة الرحمن، ومدحرة الشيطان. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالدِّين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللّامع، والأمر الصادع، إزاحةً للشبهات،

واحتجاجاً بالبيّنات. وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمَثُلات، والناس في فتنٍ انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت سواري اليقين، واختلف النَّجْرُ[1] وتشتت الأمر، وضاق المخرج وعمي المصدر، فالهدى خامل والعمى شامل. عُصي الرحمن، ونصر الشيطان، وخذل الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكّرت معالمه، ودرست سبله، وعفَت شُركُه. أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه في فتنٍ داستهم بأخفافها[2]، ووطِئتهم بأظلافها[3]، وقامت على سنابكها[4]، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشرّ جيران. نومهم سهود وكُحلهم دموع، بأرض عالمها ملجم وجاهلها مكرم.

[قال الشريف الرضي:] ومنها يعني آل النبيّ عليه الصلاة والسلام:

هُم موضع سرّه، وَلَجَأ أمره، وعيبة[5] علمه، وموئل[6] حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام إنحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائصه.

[قال شريف الرضي:] ومنها يعني قوماً آخرين:

---

(١) النَّجْرُ: الطَّبْع، والأصل، والسَّوقُ الشديد (النهاية: ٥ / ٢١).

(٢) الخُف: واحد أخْفافِ البعير، وهو كالقدم للإنسان (لسان العرب: ٩ / ٨١).

(٣) الظِّلْفُ والظِّلْفُ: ظفرُ كلِّ ما اجترّ وهو ظِلْف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها، والجمع أظلاف (لسان العرب: ٩ / ٢٢٩).

(٤) السُّنْبُك: طرفُ الحافِرِ وجانباه من قُدُمٍ، وجمعه سَنابِكُ (لسان العرب: ١ / ٤٤٤).

(٥) العيبةُ: وِعاءٌ من أدَم يكون فيها المتاع، والجمع عِيابٌ وعِيَبٌ. وعَيبة الرجل: موضع سرّه (لسان العرب: ١ / ٦٣٤).

(٦) المَوْئلُ: الموضع الذي يستقرّ فيه السَّيْلُ (لسان العرب: ١١ / ٧١٦).

زرعوا الفجور، وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور[١]. لا يقاس بآل محمّد ﷺ من هذه الأُمّة أحدٌ، ولا يُسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين. إليهم يفيءُ الغالي، وبهم يلحق التالي. ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة. الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله، ونقل إلى منتقله[٢].

## ٢/١٣

## رسالة الإمام لابنه الحسن في حاضرين[٣]

**٢٦٠٦ ـ الإمام الباقر** ﷺ: لمّا أقبل أمير المؤمنين ﷺ من صفّين كتب إلى ابنه الحسن ﷺ:

---

(١) الثبور: الهلاك (النهاية: ١/٢٠٦).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢، بحار الأنوار: ١٨/٢١٧/٤٩؛ مطالب السؤول: ٥٨ وفيه إلى «وجاهلها مكرم».

(٣) جاء في نهج البلاغة أنّ الإمام ﷺ كتب هذا الكتاب في «حاضرين»، وهي بالقرب من صفّين في طريقها المؤدّي إلى الكوفة.

لكن في كشف المحجّة ـ بعد أن ذكر طرق أهل السنّة في رواية هذه الوصيّة ـ قال: إنّه كتبها في «قِنَّسْرين».

وبما أنّ قنّسرين قرب حلب وليست في طريق صفّين إلى الكوفة بل هي في الطريق المعاكس له تماماً؛ فالظاهر أنّ هذا النقل غير صحيح.

وقال ابن أبي الحديد: أمّا قوله: «كتبها إليه بحاضرين» فالذي كنّا نقرؤه قديماً: «كتبها إليه بالحاضِرَين» على صيغة التثنية؛ يعني: حاضر حلب وحاضر قنّسرين، وهي الأرباض والنواحي المحيطة بهذه البلاد، ثمّ قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام، ولم يفسّروه، ومنهم من يذكره بصيغة الجمع لا بصيغة التثنية، ومنهم من يقول: «بخناصرين»؛ يظنّونه تثنية «خناصرة»، أو جمعها (شرح نهج البلاغة: ١٦/٥٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن الوالد الفانِ ، المقرّ للزمان ، المدبر العمر ، المستسلم للدهر . الذامّ للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، والظاعن عنها غداً .

إلى المولود المؤمِّل ما لا يُدرَك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيّام ، ورَميّة المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونُصب الآفات ، وصريع الشهوات ، وخليفة الأموات .

أمّا بعد ، فإنّ فيما تبيّنتُ من إدبار الدنيا عنّي ، وجموح الدهر عليَّ ، وإقبال الآخرة إليَّ ، ما يزَعُني[1] عن ذكر من سوايَ ، والاهتمام بما ورائي ، غير أنّي حيثُ تفرّد بي دون هموم الناس همُّ نفسي ، فصدفني رأيي ، وصرفني عن هواي ، وصرّح لي محضُ أمري ، فأفضى بي إلى جدٍّ لا يكون فيه لعبٌ ، وصدقٍ لا يشوبه كذبٌ . ووجدتك بعضي ، بل وجدتك كلّي حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني ، وكأنّ الموت لو أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت إليك مستظهراً به إن أنا بقيتُ لك أو فنيتُ .

فإنّي أُوصيك بتقوى الله ـ أي بُنيَّ ـ ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله . وأيُّ سببٍ أوثق من سببٍ بينك وبين الله إن أنت أخذت به ؟!

أحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوّهِ باليقين ، ونوّرهُ بالحكمة ، وذلّلهُ بذكر الموت ، وقرّره بالفناء ، وبصّرهُ فجائع الدنيا ، وحذّره صولة الدهر وفحش تقلّب الليالي والأيّام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكّره بما أصاب من كان

---

(١) وَزَعه يَزَعُه وَزْعاً : إذا كَفَّهُ ومَنَعَهُ (النهاية : ٥ / ١٨٠).

قبلك من الأوّلين، وسِرْ في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا! فإنّك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّة، وحلّوا ديار الغربة، وكأنّك عن قليل قد صرت كأحدهم. فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تُكلّف. وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإنّ الكفّ عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال. وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين مَن فَعلَه بجهدك. وجاهد في الله حقّ جهاده، ولا تأخُذْك في الله لومة لائم. وخُض الغمرات للحقّ حيث كان، وتفقّه في الدين، وعوّد نفسك التصبّر على المكروه ونعم الخُلق التصبّر! وألْجِئ نفسك في الأُمور كلّها إلى إلهك، فإنّك تُلجئها إلى كهف حريزٍ، ومانعٍ عزيزٍ. وأخلص في المسألة لربّك، فإنّ بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة، وتفهّم وصيّتي، ولا تذهبنّ عنها صفحاً، فإنّ خير القول ما نفع. واعلم أنّه لا خير في علمٍ لا يُنفع، ولا ينتفع بعلمٍ لا يحقّ تعلّمه.

أي بُنيَّ، إنّي لمّا رأيتني قد بلغت سنّاً، ورأيتني أزداد وهناً، بادرتُ بوصيّتي إليك، وأوردتُ خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أُفضي إليك بما في نفسي، وأن أنقص في رأيي كما نُقِصتُ في جسمي، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفِتن الدنيا، فتكون كالصّعب النفور. وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيءٍ قبلته. فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك؛ لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كُفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة، فأتاك من ذلك ما قد كنّا نأتيه، واستبان لك ما رُبّما أظلم علينا منه.

أي بُنيَّ، إنّي وإن لم أكن عُمّرتُ عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم،

وفكّرتُ في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عُدتُ كأحدهم، بل كأنّي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرتُ مع أوّلهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كلّ أمر نخيله[1] وتوخّيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر، ذو نيّةٍ سليمةٍ ونفسٍ صافيةٍ، وأن أبتدِئك بتعليم كتاب الله وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أُجاوز ذلك بك إلى غيره. ثمّ أشفقتُ أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائِهم مثل الذي التبس عليهم، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحبّ إليّ من إسلامك إلى أمرٍ لا آمن عليك به الهلكة، ورجوت أن يوفّقك الله فيه لرشدك، وأن يهديك لقصدك، فعهدت إليك وصيّتي هذه.

واعلم يا بُنيّ، أنّ أحبّ ما أنت آخذٌ به إليّ من وصيّتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه اللهُ عليك، والأخذ بما مضى عليه الأوّلون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك، فإنّهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظرٌ، وفكّروا كما أنت مفكّرٌ، ثمّ ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والإمساك عمّا لم يكلّفوا، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهّم وتعلّم، لا بتورّط الشبهات وغلوّ الخصومات. وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك والرغبة إليه في توفيقك، وترك كلّ شائبةٍ أولجتك في شبهةٍ، أو أسلمتك إلى ضلالةٍ. فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع، وتمّ رأيك فاجتمع، وكان همّك في ذلك همّاً واحداً فانظر فيما فسّرتُ لك، وإن أنت لم يجتمع لك ما تحبّ من

(١) نخَلَ الشيء ينخُله نُخلاً: صَفّاه واختارَه (لسان العرب: ١١ / ٦٥١).

نفسك، وفراغ نظرك وفكرك، فاعلم أنّك إنّما تخبط العشواء[1]، وتورّط الظلماء. وليس طالب الدين من خبط أو خلط، والإمساك عن ذلك أمثل.

فتفهّم يا بُنيَّ وصيّتي، واعلم أنّ مالك الموت هو مالِك الحياة، وأنّ الخالق هو المميت، وأنّ المفني هو المعيد، وأنّ المبتلي هو المعافي، وأنّ الدنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعلها الله عليه من النعماء، والابتلاء، والجزاء في المعاد أو ما شاء ممّا لا نعلم، فإن أشكل عليك شيءٌ من ذلك فاحمله على جهالتك به، فإنّك أوّل ما خُلقتَ خُلقتَ جاهلاً ثمّ علمتَ. وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحيّر فيه رأيك، ويضلّ فيه بصرك! ثمّ تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك، وليكن له تعبّدك وإليه رغبتك ومنه شفقتك.

واعلم يا بُنيَّ أنّ أحداً لم يُنبِئ عن الله كما أنبأ عنه الرسول ﷺ فارضَ به رائداً، وإلى النجاة قائداً، فإنّي لم آلُكَ نصيحةً. وإنّك لن تبلغ في النظر لنفسك ـ وإن اجتهدت ـ مبلغ نظري لك.

واعلم يا بُنيَّ أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه إلهٌ واحدٌ كما وصف نفسه، لا يضادّهُ في ملكه أحدٌ، ولا يزول أبداً ولم يزل. أوّلٌ قبل الأشياء بلا أوّليّةٍ، وآخرٌ بعد الأشياء بلا نهايةٍ. عظم عن أن تثبت ربوبيّته بإحاطة قلب أو بصر. فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره، وقلّة مقدرته، وكثرة عجزه؛ وعظيم حاجته إلى ربّه في طلب طاعته، والرهبة من عقوبته، والشفقة من سُخطه؛ فإنّه لم يأمرك إلّا بحَسنٍ، ولم ينهك إلّا عن قبيحٍ.

---

(١) عَشَا عن الشيء: ضعفَ بصرُه عنه. وخبَطَه خبطَ عشواء: لم يتعمّده (لسان العرب: ١٥/ ٥٧).

يا بُنيَّ ، إنّي قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة وما أُعدّ لأهلها فيها ، وضربت لك فيهما الأمثال ؛ لتعتبر بها وتحذو عليها . إنّما مثل من خبر الدنيا كمثل قومٍ سفرٍ نبا بهم منزلٌ جديبٌ ، فأمّوا منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً ، فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة المطعم ؛ ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لشيءٍ من ذلك ألماً ، ولا يرون نفقةً مغرماً ، ولا شيء أحبُّ إليهم ممّا قرّبهم من منزلهم ، وأدناهم من محلّهم .

ومثلُ من اغترّ بها كمثل قومٍ كانوا بمنزلٍ خصيبٍ فنبا بهم إلى منزل جديب ، فليس شيءٌ أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه .

يا بُنيَّ ، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تُحبّ لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تَظلم كما لا تُحبّ أن تُظلم ، وأحسن كما تُحبّ أن يُحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاهُ لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك .

واعلم أنّ الإعجاب ضدّ الصواب ، وآفةُ الألباب . فاسع في كدحك ، ولا تكن خازناً لغيرك . وإذا أنت هُديتَ لقصدك فكن أخشع ما تكون لربّك .

واعلم أنّ أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدة ومشقّةٍ شديدة ، وأنّه لا غنى لك فيه عن حُسن الارتياد . قدّر بلاغك من الزاد مع خفّة الظهر ، فلا تحملنّ على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك . وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمِّلهُ إيّاه ،

وأكثر من تزويده وأنت قادرٌ عليه، فلعلّك تطلبه فلا تجده. واغتنم من استقرضك في حال غناك؛ ليجعل قضاءه لك في يوم عُسرتك.

واعلم أنّ أمامك عقبةً كؤوداً[1]، المُخفّ فيها أحسنُ حالاً من المثقل، والمبطئ عليها أقبح حالاً من المسرع، وأنّ مهبطك بها لا محالة على جنّة أو على نار. فارتد لنفسك قبل نزُلك ووطّئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مُستعتبٌ، ولا إلى الدنيا منصرفٌ.

واعلم أنّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفّل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يُلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يعيّرك بالإنابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يُشدّد عليك في قبول الإنابة، ولم يُناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة. بل جعل نزوعك عن الذنب حسنةً، وَحَسَبَ سَيّئتك واحدةً، وَحَسَبَ حسنتك عشراً، وفتح لك باب المتاب. فإذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أُمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيرُه من زيادة الأعمار وصحّة الأبدان وسعة الأرزاق. ثمّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدّعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب[2] رحمته. فلا يُقنّطنّك إبطاء إجابته، فإنّ العطيّة على قدر النيّة. وربّما أُخّرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر

---

(١) العَقَبة الكَؤود: أي الشاقة (النهاية: ٤ / ١٣٧).

(٢) شآبيب: جمع شُؤبُوبٍ، وهو الدُّفْعةُ من المطَر وغيره (النهاية: ٢ / ٤٣٦).

السائل وأجزل لعطاء الآمل. وربّما سألت الشيء فلا تُؤتاه وأُوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صُرِف عنك لما هو خيرٌ لك. فلربّ أمرٍ قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيتَه. فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ويُنفي عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له.

واعلم أنّك إنّما خلقت للآخرة لا للدّنيا، وللفناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنّك في منزل قلعة[1] ودار بُلغة[2] وطريق إلى الآخرة، وأنّك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولابدّ أنّه مدركه، فكن منه على حذرٍ أن يدركك وأنت على حال سيّئةٍ، قدكنت تُحدّث نفسك منها بالتّوبة فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك.

يا بُنيَّ، أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتُفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك، وشددت له أزرك، ولا يأتيك بغتةً فيبهَرك. وإيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالبهم عليها، فقد نبّأك الله عنها، ونعت لك نفسها، وتكشّفت لك عن مساويها، فإنّما أهلها كلابٌ عاويةٌ، وسباعٌ ضاريةٌ، يهرّ بعضها بعضاً، ويأكل عزيزُها ذليلَها، ويقهر كبيرُها صغيرَها. نَعَمٌ مُعقّلَةٌ، وأُخرى مهملةٌ، قد أضلّت عقولها وركبت مجهولها. سروحُ عاهةٍ بوادٍ وعثٍ[3]، ليس لها راعٍ يُقيمها، ولا يُسيمها. سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتّخذوها ربّاً، فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ماوراءها.

---

(١) قُلعة: أي تَحَوُّل وارتحال (النهاية: ٤ / ١٠٢).

(٢) بُلْغَةٌ: كِفايةٌ (لسان العرب: ٨ / ٤١٩).

(٣) الوَعْث: وهو الرَّمْلُ، والمشيُ فيه يَشْتدّ على صاحبه ويَشُقُّ (النهاية: ٥ / ٢٠٦).

رويداً يُسفر الظلام، كأن قد وردت الأظعان، يوشك من أسرع أن يلحق! واعلم أنّ من كانت مطيّته الليل والنهار فإنّه يُسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً.

واعلم يقيناً أنّك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك، وأنّك في سبيل من كان قبلك. فخفّض في الطلب، وأجمل في المكتسب فإنّه رُبَّ طلبٍ قد جرّ إلى حرب، فليس كلّ طالبٍ بمرزوق، ولاكلّ مُجملٍ بمحروم. وأكرم نفسك عن كلّ دنيّةٍ وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً. ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً. وما خير خيرٍ لا يُنال إلّا بشرٍّ، ويسرٍ لا يُنالُ إلّا بعسرٍ.

وإيّاك أن توجف بك مطايا الطمع، فتوردك مناهل الهلكة. وإن استطعت ألّا يكون بينك وبين الله ذُو نعمةٍ فافعل، فإنّك مدركٌ قسمك وآخذٌ سهمك. وإنّ اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كلٌّ منه.

وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك، وحفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاء[١]، وحفظ ما في يديك أحبّ إليّ من طلب ما في يد غيرك. ومرارة اليأس خيرٌ من الطلب إلى الناس. والحرفة مع العفّة خيرٌ من الغنى مع الفجور. والمرء أحفظ لسرّه. ورُبّ ساعٍ فيما يضرّه! مَن أكثر أهجر. ومن تفكّر أبصر. قارن أهل الخير تكن منهم. وباين أهل الشرّ تَبِن عنهم. بئس الطعام الحرام! وظلم الضعيف أفحش الظلم! إذا كان الرفق خُرقاً كان الخُرق رفقاً. ربّما كان الدواء داءً. وربّما نصح غير الناصح، وغشّ المستنصح. وإيّاك واتّكالك على

(١) الوِكاء: الخيْطُ الذي تُشَدُّ به الصُّرَّة والكيسُ وغيرها (النهاية: ٥ / ٢٢٢).

المُنى فإنّها بضائع الموتى، والعقل حفظُ التجارب. وخير ما جرّبت ما وعظك. بادر الفرصة قبل أن تكون غُصّةً. ليس كلّ طالب يُصيب، ولا كلّ غائب يؤوب. ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد. ولكلّ أمرٍ عاقبةٌ. سوف يأتيك ما قُدّر لك. التاجر مخاطرٌ. ورُبَّ يسيرٍ أنمى من كثيرٍ! لا خير في مُعينٍ مَهينٍ ولا في صديقٍ ظنين. ساهل الدهر ما ذلّ لك قعوده. ولا تخاطر بشيءٍ رجاء أكثر منه. وإياك أن تجمح بك مطيّة اللجاج. احمل نفسك من أخيك عند صرمه[١] على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنوّ، وعند شدّته على اللين، وعند جرمه على العذر حتى كأنّك له عبدٌ وكأنّه ذو نعمةٍ عليك. وإيّاك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله. لا تتّخذنّ عدوّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك. وامحض أخاك النصيحة حسنةً كانت أو قبيحةً. وتجرّع الغيظ[٢] فإنّي لم أر جُرعةً أحلى منها عاقبةً ولا ألذّ مغبّةً! ولمن غالظك فإنّه يوشك أن يلين لك. وخذ على عدوّك بالفضل فإنّه أحلى الظفرين. وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقيّةً ترجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما. ومن ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه. ولا تُضيعنّ حقّ أخيك اتّكالاً على ما بينك وبينه، فإنّه ليس لك بأخٍ من أضعت حقّه. ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك. ولا ترغبنّ فيمن زهد فيك. ولا يكوننّ أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته. ولا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان. ولا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك فإنّه يسعى في مضرّته ونفعك. وليس جزاء من سرّك أن تسوءه.

---

(١) الصَّرمُ: القطع البائن، والهِجْرانُ (لسان العرب: ١٢ / ٣٣٤).

(٢) الغَيْظ: الغَضَبُ، وقيل: هو أشدُّ من الغضب (لسان العرب: ٧ / ٤٥٠).

واعلم يا بُنيَّ، أنّ الرزق رزقان: رزقٌ تطلبه، ورزقٌ يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك. ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى! إنّ لك من دنياك ما أصلحت به مثواك. وإن جزعت على ما تفلّتَ من يديك فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك. استدلّ على ما لم يكن بما قد كان، فإنّ الأُمور أشباهٌ. ولا تكوننّ ممّن لا تنفعه العظة إلّا إذا بالغتَ في إيلامه، فإنّ العاقل يتّعظ بالآداب والبهائم لا تتّعظ إلّا بالضرب. اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين. من ترك القصد جار. والصاحبُ مناسب. والصديقُ من صدق غيبُه. والهوى شريك العناء. ربّ قريبٍ أبعد من بعيدٍ، وربّ بعيدٍ أقربُ من قريبٍ. والغريب من لم يكن له حبيب. من تعدّى الحقّ ضاق مذهبه. ومن اقتصر على قدره كان أبقى له. وأوثق سببٍ أخذتَ به سببٌ بينك وبين الله! ومن لم يُبالِك فهو عدوّك. قد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً. ليس كلّ عورة تظهر ولا كلّ فرصةٍ تصاب. وربّما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده. أخِّرِ الشرّ فإنّك إذا شئت تَعجّلتَه. وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل. من أمن الزمان خانه، ومن أعظمه أهانه. ليس كلّ من رمى أصاب. إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان. سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار. إيّاك أن تذكر في الكلام ما يكون مضحكاً وإن حكيت ذلك عن غيرك. وإيّاك ومشاورة النساء فإنّ رأيهنّ إلى أفنٍ[1] وعزمهنّ إلى وهنٍ. واكفُف عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إيّاهنّ فإنّ شدّة الحجاب أبقى عليهنّ، وليس خروجهنّ بأشدّ من إدخالك من لا يوثق به عليهن، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل. ولا تُملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإنّ المرأة ريحانةٌ وليست بقهرمانةٍ ولا تَعْدُ بكرامتها نفسها، ولا تُطمعها

---

(١) الأَفْنُ: النقص. ورجل أفين ومأفون، أي ناقص العقل (النهاية: ١/٥٧).

في أن تشفع بغيرها . وإيّاك والتغاير في غير موضع غيرة فإنّ ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب . واجعل لكلّ إنسانٍ من خدمك عملاً تأخذه به فإنّه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك . وأكرم عشيرتك فإنّهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي إليه تصير ، ويدك التي بها تصول . استودع الله دينك ودنياك ، واساله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة ، والسلام[١] .

## ٣/١٣

## بدءُ تدفّق الاعتراض

٢٦٠٧ ـ تاريخ الطبري عن جندب الأزدي ـ في بيان مسير الإمام عليه السلام من صفّين إلى الكوفة ـ : ثمّ مضى عليّ غير بعيد ، فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري ، فدنا منه ، وسلّم عليه وسايره .

فقال له : ما سمعت الناس يقولون في أمرنا ؟

قال : منهم المعجب به ، ومنهم الكاره له ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾[٢] .

فقال له : فما قول ذوي الرأي فيه ؟

قال : أمّا قولهم فيه فيقولون : إنّ عليّاً كان له جمع عظيم ففرّقه ، وكان له حصن

---

(١) كشف المحجّة : ٢٢٠ عن عمر بن أبي المقدام ، نهج البلاغة : الكتاب ٣١ ، تحف العقول : ٦٨ كلاهما نحوه . والنصّ المذكور مع أنّه منقول أيضاً في نهج البلاغة وتحف العقول ، لكننا آثرنا نقله من كشف المحجّة باعتباره أجمع وأكمل منهما ، مضافاً إلى احتواء الموسوعة على عدد غفير من النصوص المنقولة عن نهج البلاغة ؛ فكان من الأفضل أن يتعرّف ويطّلع القارئ على نصوص سائر الكتب الحديثية الأُخرى .

(٢) هود : ١١٨ و ١١٩ .

حصين فهدّمه، فحتّى متى يبني ما هدم، وحتى متى يجمع ما فرّق! فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه ـ إذ عصاه من عصاه ـ فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذاً كان ذلك الحزم.

فقال عليّ: أنا هدمت أم هم هدموا! أنا فرّقت أم هم فرّقوا! أمّا قولهم: إنّه لو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك، إذاً كان ذلك الحزم؛ فوالله، ما غبي عن رأيي ذلك، وإن كنت لسخيّاً بنفسي عن الدنيا، طيّب النفس بالموت، ولقد هممت بالإقدام على القوم، فنظرت إلى هذين قد ابتدراني ـ يعني الحسن والحسين ـ ونظرت إلى هذين قد استقدماني ـ يعني عبد الله بن جعفر ومحمّد بن عليّ ـ فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمّد ﷺ من هذه الأُمّة، فكرهت ذلك، وأشفقت على هذين أن يهلكا، وقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدما ـ يعني محمّد بن عليّ وعبد الله بن جعفر ـ وآيم الله، لئن لقيتهم بعد يومي هذا لألقينّهم وليسوا معي في عسكر ولا دار[1].

**٢٦٠٨ ـ الإمام عليّ ؑ** ـ في جواب الخوارج المعترضين على التحكيم قبل دخول الكوفة ـ: اللهمّ هذا مقامٌ من فَلَجَ[2] فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نَطِفَ[3] فيه أو غَلَّ فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً.

نشدتكم بالله! أتعلمون أنّهم حين رفعوا المصاحف، فقلتم: نُجيبهم إلى كتاب الله، قلت لكم: إنّي أعلم بالقوم منكم، إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٦٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٠؛ وقعة صفّين: ٥٢٩ عن عبد الرحمن بن جندب.

(٢) الفَلْج: الظَّفَر والفَوْز (لسان العرب: ٢ / ٣٤٧).

(٣) نَطِف الرجل: اتُّهم بريبة، والنطف: التلطّخ بالعيب (الصحاح: ٤ / ١٤٣٤).

صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً ؛ فكانوا شرّ أطفال ، وشرّ رجال ، امضوا على حقّكم وصدقكم ، إنّما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة ووهناً ومكيدة . فرددتم عليَّ رأيي ، وقلتم : لا ، بل نقبل منهم . فقلت لكم : اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إيّاي ؟

فلمّا أبيتم إلّا الكتاب ، اشترطت على الحَكَمَين أن يُحييا ما أحياه القرآن ، وأن يُميتا ما أمات القرآن ؛ فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حُكم من حَكَم بما في الكتاب ، وإن أبيا فنحن من حكمهما بُرَآء .

فقال له بعض الخوارج : فخبّرنا أ تراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟

فقال : إنّا لم نحكّم الرجال ، إنّما حكّمنا القرآن ، وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين دفّتين لا ينطق ، وإنّما يتكلّم به الرجال .

قالوا له : فخبّرنا عن الأجل ؛ لِمَ جعلته فيما بينك وبينهم .

قال : ليتعلّم الجاهل ، ويتثبّت العالم ، ولعلّ الله أن يُصلح في هذه الهدنة هذه الأُمّة . ادخلوا مصركم رحمكم الله .

ودخلوا من عند آخرهم[1] .

**٢٦٠٩ ـ** عنه ﷺ ـ لمّا قال له رجل من أصحابه : نهيتنا عن الحكومة ، ثمّ أمرتنا بها ، فلم ندرِ أيّ الأمرين أرشد ؟ ـ : هذا جزاء من ترك العُقْدَة ! أما والله لو أنّي حين أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً ، فإن استقمتم هديتكم ، وإن اعوججتم قوّمتكم ، وإن أبيتم تداركتكم ـ لكانت الوثقى .

---

(١) الإرشاد : ١ / ٢٧٠ ؛ تاريخ الطبري : ٥ / ٦٥ عن عمارة بن ربيعة ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٩٤ كلاهما نحوه .

ولكن بمن، وإلى من؟ أُريد أن أُداوي بكم وأنتم دائي؛ كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أنّ ضَلْعَها[١] معها! اللهمّ قد ملّت أطبّاءُ هذا الداء الدويّ، وكلّت النَّزَعة بأشطان الرَّكِيّ!

أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهِيجوا إلى الجهاد فوَلِهوا وَلَهَ اللِّقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصفّاً صفّاً. بعضٌ هلك، وبعضٌ نجا. لا يُبَشَّرون بالأحياء، ولا يُعَزَّون عن الموتى. مُرْهُ العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين.

أُولئك إخواني الذاهبون. فحقّ لنا أن نظمأ إليهم، ونعضّ الأيدي على فراقهم. إنّ الشيطان يُسنّي لكم طُرُقَه، ويريد أن يَحُلّ دينكم عقدة عقدة، ويُعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة، فاصدفوا عن نزغاته ونَفَثاته، واقبلوا النصيحة ممّن أهداها إليهم، واعقِلوها على أنفسكم[٢][٣].

---

(١) ضَلْعها: أي ميلها (النهاية: ٣/ ٩٦).

(٢) قال ابن أبي الحديد ما ملخّصه:

العُقدة: الرأي الوثيق. الدويّ: الشديد. النزَّعَة: جمع نازع؛ وهو الذي يستقي الماء. الأشطان: جمع شَطَن؛ وهو الحبل. الرَّكيّ: الآبار؛ جمع رَكيّة. الوَلَه: شدَّة الحبّ حتى يذهب العقل. اللِّقاح: الإبل، والواحدة لقوح؛ وهي الحلوب. أخذو بأطراف الأرض: أي أخذوا على الناس بأطراف الأرض؛ أي حصروهم. لا يبشّرون بالأحياء.....: أي إذا ولد لأحدهم مولود لم يبشّر به. مَرِهَت عينُ فلان: إذا فسدت لترك الكُحل. يُسنّي: يُسهّل. صدف عن الأمر: انصرف عنه. اعقلوها على أنفسكم: أي اربطوها والزموها (شرح نهج البلاغة: ٧/ ٢٩٢ـ ٢٩٦).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٢١، الاحتجاج: ١/ ٤٣٨/ ٩٩ وفيه إلى «الرَّكِيّ»، بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٦٢/ ٥٩٧ وراجع الاختصاص: ١٥٦.

## ١٣ / ٤

## دخول الكوفة وبدء فتنة أُخرى

٢٦١٠ ـ تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة ـ في صفة أصحاب الإمام ـ: خرجوا مع عليّ إلى صفّين وهم متوادّون أحبّاء، فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من عسكرهم بصفّين حتى فشا فيهم التحكيم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كلّه ويتشاتمون ويضطربون بالسياط. يقول الخوارج: يا أعداء الله! أدهنتم في أمر الله عزّ وجلّ وحكّمتم! وقال الآخرون: فارقتم إمامنا، وفرّقتم جماعتنا.

فلمّا دخل عليّ الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتَوا حروراء[1]، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: إنّ أمير القتال شَبَث بن رِبعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّاء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ولمّا قدم عليّ الكوفة وفارقته الخوارج وثبت إليه الشيعة فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية؛ نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت. فقالت الخوارج استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرَسَي رهان؛ بايع أهل الشام معاوية على ما أحبّوا وكرهوا، وبايعتم أنتم عليّاً على أنّكم أولياء من والى وأعداء من عادى! فقال لهم زياد بن النضر: والله ما بسط على يده فبايعناه قطّ إلّا على كتاب الله عزّوجلّ وسنّة نبيّه ولكنّكم لمّا خالفتموه جاءته شيعته فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك وهو على الحقّ والهدى، ومن خالفه ضالّ مُضِلّ[2].

---

(١) حَرَوْراء: قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل به الخوارج (معجم البلدان: ٢/٢٤٥).

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٦٣ و ٦٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٣ وفيه من «فلمّا دخل...»، أنساب الأشراف: ٣ / ١١٤ وفيه إلى «المنكر».

# الفَصلُ الرّابِعَ عَشَرَ



## ١ / ١٤
## تثمين الحكمين

**٢٦١١ ـ** الطرائف عن أبي رافع: لمّا أحضرني أمير المؤمنين ﷺ وقد وجّه أبا موسى الأشعري فقال له: احكم بكتاب الله ولا تجاوزه، فلمّا أدبر قال: كأنّي به وقد خُدِع. قلت: يا أمير المؤمنين! فلِمَ توجّهه وأنت تعلم أنّه مخدوع؟ فقال: يا بنيّ، لو عمل الله في خلقه بعلمه ما احتجّ عليهم بالرسل[١].

**٢٦١٢ ـ** وقعة صفّين: بعث [ معاوية ] إلى رجال من قريش من الذين كرهوا أن يُعينوه في حربه: إنّ الحرب قد وضعت أوزارها، والتقى هذان الرجلان بدومة الجندل[٢]، فاقدموا عليّ. فأتاه عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وأبو الجهم

---

(١) الطرائف: ٥١١، المناقب لابن شهر آشوب: ٢ / ٢٦١، بحار الأنوار: ٤١ / ٣١٠.

(٢) دُوْمَة الجَنْدل: مدينة على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول ﷺ قرب تبوك، ويطلق عليها اليوم «الجوف». وقد جرت فيها قضية التحكيم (راجع معجم البلدان: ٢ / ٤٨٧).

ابن حذيفة ،وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وعبد الله بن صفوان الجمحي ، ورجال من قريش . وأتاه المغيرة بن شعبة ؛ وكان مقيماً بالطائف لم يشهد صفّين .

فقال : يا مغيرة ما ترى ؟ قال : يا معاوية لو وسعني أن أنصرك لنصرتك ، ولكن عليَّ أن آتيك بأمر الرجلين ، فركب حتى أتى دومة الجندل ، فدخل على أبي موسى كأنّه زائر له فقال : يا أبا موسى ، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره الدماء ؟ قال : أُولئك خيار الناس ، خفّت ظهورهم من دمائهم ، وخمصت بطونهم من أموالهم ، ثمّ أتى عمراً فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر ، وكره هذه الدماء ؟ قال : أُولئك شرار الناس ؛ لم يعرفوا حقّاً ، ولم يُنكروا باطلاً ، فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له : قد ذُقْتُ[1] الرجلين ؛ أمّا عبد الله بن قيس فخالعٌ صاحبَه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الأمر ، وهواه في عبد الله بن عمر ، وأمّا عمرو فهو صاحب الذي تعرف ، وقد ظنّ الناس أنّه يرومها لنفسه ، وأنّه لا يرى أنّك أحقّ بهذا الأمر منه[2] .

## ٢/١٤

## وصيّة ابن عبّاس لأبي موسى

**٢٦١٣ ـ** مروج الذهب : وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها ، على ما قدّمنا من وصف التنازع في ذلك ، وبعث عليٌّ بعبد الله بن العبّاس ، وشريح بن هاني الهمداني في أربعمائة رجل فيهم أبو موسى

---

(١) ذُقْتُ ما عنده : أي خَبَرْته (لسان العرب : ١٠ / ١١١).

(٢) وقعة صفّين : ٥٣٩ ؛ شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٥١.

الأشعري ، وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط في أربعمائة ، فلمّا تدانى القوم من الموضع الذي كان فيه الاجتماع قال ابن عبّاس لأبي موسى :

إنّ عليّاً لم يرضَ بك حكماً لفضل عندك ، والمتقدّمون عليك كثير ، وإنّ الناس أبَوا غيرك ، وإنّي لأظنّ ذلك لشرّ يُراد بهم ، وقد ضُمّ داهية العرب معك .

إن نسيت فلا تنسَ أنّ عليّاً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة ، وليس في معاوية خصلة تقرّبه من الخلافة[1].

٢٦١٤ ـ شرح نهج البلاغة : لمّا أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى ، وأحضروه للتحكيم على كره من عليّ عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العبّاس ، وعنده وجوه الناس وأشرافهم ، فقال له :

ياأبا موسى ! إنّ الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تشارَك فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار والمتقدّمين قبلك ، ولكنّ أهل العراق أبَوا إلّا أن يكون الحَكَم يمانيّاً ، ورأوا أنّ معظم أهل الشام يمانٍ ، وأيمُ الله إنّي لأظنّ ذلك شرّاً لك ولنا ؛ فإنّه قد ضُمّ إليك داهية العرب ، وليس في معاوية خلّة يستحقّ بها الخلافة ، فإن تقذف بحقّك على باطله تدرك حاجتك منه ، وإن يطمع باطله في حقّك يدرك حاجته منك .

واعلم يا أبا موسى أنّ معاوية طليق الإسلام ، وإنّ أباه رأس الأحزاب ، وأنّه يدّعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة ؛ فإن زعم لك أنّ عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق ؛ استعمله عمر ؛ وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهي ، ويُوْجِره ما يكره ، ثمّ استعمله عثمان برأي عمر ، وما أكثر من استعملا ممّن لم

(١) مروج الذهب : ٢ / ٤٠٦ .

يدّعِ الخلافة.

واعلم أنّ لعمرو مع كلّ شيء يسرّك خبيئاً يسوؤك ومهما نسيت فلا تنسَ أنّ عليّاً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، وإنّها بيعة هدى وأنّه لم يقاتل إلّا العاصين والناكثين[1].

## ٣/١٤

## وصيّة شريح بن هاني لأبي موسى

٢٦١٥ـ وقعة صفّين عن الجرجاني: لمّا أراد أبو موسى المسير قام شريح، فأخذ بيد أبي موسى فقال:

يا أبا موسى! إنّك قد نُصبت لأمر عظيم لا يُجبر صدعُه، ولا يستقال فتقُه، ومهما تقُل شيئاً لك أو عليك يثبت حقّه ويُرَ صحّته وإن كان باطلاً.

وإنّه لا بقاء لأهل العراق إن ملكها معاوية، ولا بأس على أهل الشام إن ملكها عليّ.

وقد كانت منك تثبيطةٌ أيّام قدمت الكوفة؛ فإن تشفعها بمثلها يكن الظنّ بك يقيناً، والرجاء منك يأساً، وقال شريح في ذلك:

أباموسى رُميتَ بشرّ خصمٍ ... فلا تُضعِ العراق فدتك نفسي!

وأعطِ الحقَّ شامَهمُ وخذْهُ ... فإنّ اليوم في مَهَل كأمسِ

وإنّ غداً يجيء بما عليه ... يدور الأمر من سعد ونحسِ

ولا يخدِعْك عمرٌو إنّ عمراً ... عدوّ الله مطلع كلّ شمسِ

له خدعٌ يحار العقل فيها ... مموّهة مزخرفة بلَبسِ

(١) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٤٦، ينابيع المودّة: ٢/ ٢٢؛ بحار الأنوار: ٣٣/ ٢٩٨/ ٥٥٣.

فلا تجعل معاوية بن حربٍ ... كشيخٍ في الحوادث غير نكسِ
هداه الله للإسلام فرداً ... سوى بنت النبيّ، وأيُّ عِرسِ

فقال أبو موسى: ما ينبغي لقوم اتّهموني أن يُرسلوني لأدفع عنهم باطلاً أو أجرّ إليهم حقّاً ...و سار مع عمرو بن العاص شرحبيلُ بن السمط الكندي في خيل عظيمة، حتى إذا أمن عليه خيل أهل العراق ودّعه، ثمّ قال: يا عمرو! إنّك رجل قريش، وإنّ معاوية لم يبعثك إلّا ثقة بك، وإنّك لن تؤتى من عجز ولا مكيدة، وقد عرفتَ أن وطّأتُ هذا الأمر لك ولصاحبك، فكُن عند ظنّنا بك.

ثمّ انصرف، وانصرف شريح بن هانئ حين أمن أهل الشام على أبي موسى، وودّعه هو ووجوه الناس[1].

## ٤/١٤

## وصيّة الأحنف بن قيس لأبي موسى

**٢٦١٦ ـ وقعة صفّين عن الجرجاني**: كان آخر من ودّع أبا موسى الأحنف بن قيس، أخذ بيده ثمّ قال له: يا أبا موسى! اعرفْ خطب هذا الأمر، واعلمْ أنّ له ما بعده، وأنّك إن أضعت العراق فلا عراق. فاتّقِ الله؛ فإنّها تجمع لك دنياك وآخرتك، وإذا لقيت عمراً غداً فلا تبدأه بالسلام؛ فإنّها وإن كانت سنّة إلّا أنّه ليس من أهلها، ولا تعطِه يدك؛ فإنّها أمانة، وإيّاك أن يُقعدك على صدر الفراش؛ فإنّها خدعة، ولا تَلْقَه وحده، واحذر أن يكلّمك في بيت فيه مُخْدَع تُخَبّأ فيه الرجال والشهود.

ثمّ أراد أن يبور[2] ما في نفسه لعليّ فقال له: فإن لم يستقم لك عمرو على

(١) وقعة صفّين: ٥٣٤ ـ ٥٣٦؛ الفتوح: ٤/ ٢٠٧ نحوه وراجع الإمامة والسياسة: ١/ ١٥٣ ـ ١٥٥.

(٢) يبور: أي يختبر ويمتحن (النهاية: ١/ ١٦١).

الرضى بعليّ فخيّره أن يختار أهلُ العراق من قريش الشام مَن شاؤوا ؛ فإنّهم يولّونا الخيار ؛ فنختار من نريد ، وإن أبَوا فليختر أهلُ الشام من قريش العراق مَن شاؤوا ، فإن فعلوا كان الأمر فينا .

قال أبو موسى : قد سمعت ما قلت . ولم يتحاشَ لقول الأحنف .

قال : فرجع الأحنف فأتى عليّاً فقال : يا أمير المؤمنين ! أخرجَ والله أبو موسى زبدة سقائه في أوّل مخضه ، لا أرانا إلّا بعثنا رجلاً لا يُنكِر خلعك .

فقال عليّ : يا أحنف ! إنّ الله غالب على أمره . قال : فمن ذلك نجزع يا أمير المؤمنين .

وفشا أمر الأحنف وأبي موسى في الناس[1] .

## ٥/١٤

## وصيّة معاوية لعمرو بن العاص

٢٦١٧ـ البيان والتبيين : قال معاوية لعمرو بن العاص : يا عمرو ! إنّ أهل العراق قد أكرهوا عليّاً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك .

وقد ضُمّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ؛ فأجد الحزّ ، وطبّق المفصل ، ولا تلقه برأيك كلّه[2] .

---

(١) وقعة صفّين : ٥٣٦ ؛ الفتوح : ٤ / ٢٠٨ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٥٤ وفيه إلى «الأمر فينا» وكلاهما نحوه .

(٢) البيان والتبيين : ١ / ١٧٢ ، مروج الذهب : ٢ / ٤٠٦ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٥٤ نحوه وراجع العقد الفريد : ٣ / ٣٤٠ .

## ١٤ / ٦

# نصيحة الإمام لعمرو بن العاص

**٢٦١٨ ـ وقعة صفّين عن شقيق بن سلمة** : كتب عليّ إلى عمرو بن العاص يعظه ويرشده : أمّا بعد ؛ فإنّ الدنيا مَشْغَلة عن غيرها ، ولم يُصِب صاحبها منها شيئاً إلّا فتحت له حرصاً يزيده فيها رغبة ، ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لم يبلغه ، ومن وراء ذلك فراق ما جمع . والسعيد من وُعِظ بغيره ؛ فلا تُحبِط ـ أبا عبد الله ـ أجرَك ، ولا تُجارِ معاوية في باطله .

فأجابه عمرو بن العاص : أمّا بعدُ ؛ فإنّ ما فيه صلاحنا واُلفتنا الإنابة إلى الحقّ ، وقد جعلنا القرآن حَكَماً بيننا ، فأجِبْنا إليه . وصَبَرَ الرجلُ منّا نفسَه على ما حكم عليه القرآن ، وعذَره الناس بعد المحاجزة . والسلام .

فكتب إليه عليّ : أمّا بعدُ فإنّ الذي أعجبك من الدنيا ممّا نازعتك إليه نفسك ووثقت به منها لمنقلب عنك ، ومفارق لك ؛ فلا تطمئنّ إلى الدنيا ؛ فإنّها غـرّارة . ولو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقي ، وانتفعت بما وُعِظت به . والسلام .

فأجابه عمرو : أمّا بعدُ ؛ فقد أنصف من جعل القرآن إماماً ، ودعـا النـاس إلى أحكامه . فاصبر أبا حسنٍ ، وأنا غير مُنيلك إلّا ما أنالك القرآن [١] .

## ١٤ / ٧

# مفاوضات الحَكَمين

**٢٦١٩ ـ شرح نهج البلاغة عن أبي جناب الكلبي** : إنّ عمراً وأبا موسى لمّا التقيا

---

(١) وقعة صفّين : ٤٩٨ ؛ شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٢٧ .

بدومة الجندل أخذ عمرو يقدِّم أبا موسى في الكلام، ويقول: إنّك صحبت رسول الله ﷺ قبلي، وأنت أكبر منّي سّناً، فتكلّم أنت، ثمّ أتكلّم أنا، فجعل ذلك سُنّة وعادة بينهما، وإنّما كان مكراً وخديعةً واغتراراً له أن يقدِّمه؛ فيبدأ بخلع عليّ، ثمّ يرى رأيه.

وقال ابن ديزيل في كتاب «صفّين»:

أعطاه عمرو صدر المجلس، وكان لا يتكلّم قبله، وأعطاه التقدّم في الصلاة، وفي الطعام لا يأكل حتى يأكل، وإذا خاطبه فإنّما يخاطبه بأجلّ الأسماء ويقول له: يا صاحب رسول الله، حتى اطمأنّ اليه وظنّ أنّه لا يغشّه[١].

٢٦٢٠ ـ تاريخ الطبري عن الزهري ـ في بيان ما جرى بين الحكمين ـ: قال عمرو: يا أبا موسى، أأنت على أن تُسمّي رجلاً يلي أمر هذه الأُمّة؟ فسمِّه لي؛ فإن أقدر على أن أُتابعك فلك عليَّ أن أُتابعك، وإلّا فلي عليك أن تُتابعني!

قال أبو موسى: أُسمّي لك عبد الله بن عمر. وكان ابن عمر فيمن اعتزل.

قال عمرو: إنّي أُسمّي لك معاوية بن أبي سفيان، فلم يبرحا مجلسهما حتى استبّا[٢].

٢٦٢١ ـ تاريخ الطبري عن أبي جناب الكلبي ـ في ذكر خبر اجتماع الحكمين ـ: قال أبو موسى: أما والله، لئن استطعت لأُحيينّ اسم عمر بن الخطّاب.

فقال له عمرو: إن كنت تحبّ بيعة ابن عمر، فما يمنعك من ابني وأنت تعرف

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٥٤، ينابيع المودّة: ٢ / ٢٤؛ وقعة صفّين: ٥٤٤ نحوه، بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٠٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٥٨ وراجع وقعة صفّين: ٥٤٠.

فضله وصلاحه!

فقال: إنّ ابنك رجل صدق، ولكنّك قد غمسته في هذه الفتنة[1].

**٢٦٢٢ـ مروج الذهب**: دعا عمرو بصحيفة وكاتب، وكان الكاتب غلاماً لعمرو، فتقدّم إليه ليبدأ به أولاً دون أبي موسى؛ لما أراد من المكر به، ثمّ قال له بحضرة الجماعة:

اكتب؛ فإنّك شاهد علينا، ولا تكتب شيئاً يأمرك به أحدنا حتى تستأمر الآخر فيه، فإذا أمرك فاكتب، وإذا نهاك فانتهِ حتى يجتمع رأينا، اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان، فكتب وبدأ بعمرو، فقال له عمرو: لا أُمّ لك! أ تقدّمني قبله كأنّك جاهل بحقّه؟! فبدأ باسم عبد الله بن قيس، وكتب: تقاضَيا على أنّهما يشهدان أن لا إلهَ إلّا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

ثمّ قال عمرو: ونشهد أنّ أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ عمل بكتاب الله وسنّة رسول الله حتى قبضه الله إليه، وقد أدّى الحقّ الذي عليه، قال أبو موسى: اكتب، ثمّ قال في عمر مثل ذلك، فقال أبو موسى: اكتب.

ثمّ قال عمرو: واكتب: وأنّ عثمان وليّ هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله ﷺ ورضىً منهم، وأنّه كان مؤمناً، فقال أبو موسى الأشعري: ليس هذا ممّا قعدنا له، قال عمرو: والله لابدّ من أن يكون مؤمناً أو كافراً، فقال أبو موسى: كان مؤمناً، قال عمرو: فَمُره يكتب قال

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٦٨، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٦، الأخبار الطوال: ١٩٩ نحوه؛ وقعة صفّين: ٥٤١.

أبو موسى : اكتب ، قال عمرو : فظالماً قُتِلَ عثمان أو مظلوماً ، قال أبو موسى : بل قُتل مظلوماً ، قال عمرو : أفليس قد جعل الله لوليّ المظلوم سلطاناً يطلب بدمه ؟ قال أبو موسى : نعم ، قال عمرو : فهل تعلم لعثمان وليّاً أولى من معاوية ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو : أ فليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجز عنه ؟ قال أبو موسى : بلى ، قال عمرو للكاتب : اكتب ، وأمره أبو موسى فكتب ، قال عمرو : فإنّا نقيم البيّنة أنّ عليّاً قتل عثمان ، قال أبو موسى : هذا أمر قد حَدَثَ في الإسلام ، وإنّما اجتمعنا لغيره ، فهلمّ إلى أمر يُصلح الله به أمر اُمّة محمّد ، قال عمرو : وما هو ؟ قال أبو موسى : قد علمت أنّ أهل العراق لا يحبّون معاوية أبداً ، وأنّ أهل الشام لا يُحبّون عليّاً أبداً ؛ فهلمّ نخلعهما جميعاً ونستخلف عبد الله بن عمر ! وكان عبد الله بن عمر على بنت أبي موسى[1] .

٢٦٢٣ ـ العقد الفريد عن أبي الحسن ـ في ذكر اجتماع الحَكَمين ـ : اُخلي لهما [عمرو بن العاص وأبي موسى] مكان يجتمعان فيه ، فأمهله عمرو بن العاص ثلاثة أيّام ، ثمّ أقبل إليه بأنواع من الطعام يُشهّيه بها ، حتى إذا استبطن أبو موسى ناجاه عمرو ، فقال له : يا أبا موسى ! إنّك شيخ أصحاب محمّد ﷺ ، وذو فضلها ، وذو سابقتها ، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الاُمّة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها ، فهل لك أن تكون ميمون هذه الاُمّة ؛ فيحقن الله بك دماءها ؛ فإنّه يقول في نفس واحدة : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[2] ، فكيف بمن أحيا أنفس هذا الخلق كلّه !

قال له : وكيف ذلك ؟ قال : تخلع أنت عليّ بن أبي طالب ، وأخلع أنا معاوية بن

---

(١) مروج الذهب : ٢ / ٤٠٧.

(٢) المائدة : ٣٢.

أبي سفيان، ونختار لهذه الأُمّة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة، ولم يغمس يده فيها.

قال له: ومن يكون ذلك؟ ـ وكان عمرو بن العاص قد فهم رأي أبي موسى في عبد الله بن عمر ـ فقال له: عبد الله بن عمر. فقال: إنّه لَكَما ذكرت، ولكن كيف لي بالوثيقة منك؟

فقال له: يا أبا موسى، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1]، خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى.

ثمّ لم يُبْقِ عمرو بن العاص عهداً ولا موثقاً ولا يميناً مؤكّدة حتى حلف بها، حتى بقي الشيخ مبهوتاً، وقال له: قد أحببتُ[2].

## ٨/١٤

## رأي الحَكَمين

٢٦٢٤ ـ تاريخ الطبري عن أبي جناب الكلبي: إنّ عمراً وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل، أخذ عمرو يقدّم أبا موسى في الكلام، يقول: إنّك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسنّ مني، فتكلَّمْ وأتكلَّمُ؛ فكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه في كلّ شيء، اغتزى بذلك كله أن يقدّمه، فيبدأ بخلع عليّ. قال: فنظر في أمرهما وما اجتمعا عليه، فأراده عمرو على معاوية فأبى، وأراده على ابنه فأبى، وأرادموسى عمراً على عبد الله بن عمر فأبى عليه، فقال له عمرو: خبّرني ما رأيك؟ قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين،

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) العقد الفريد: ٣/ ٣٤٠.

فيختار المسلمون لأنفسهم مَن أحبّوا. فقال له عمرو: فإنّ الرأي ما رأيت.

فأقبَلا إلى الناس وهم مجتمعون، فقال: يا أبا موسى، أعلِمْهم بأنّ رأينا قد اجتمع واتّفق، فتكلّم أبو موسى فقال: إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتّفق على أمر نرجو أن يُصلِح الله عزّ وجلّ به أمرَ هذه الأمة. فقال عمرو: صدق وبرّ، يا أبا موسى! تقدّم فتكلّم، فتقدّم أبو موسى ليتكلّم، فقال له ابنُ عبّاس: وَيْحَك! والله إنّي لأظنّه قد خدعك. إن كنتما قد اتّفقتما على أمر؛ فقدّمْه فليتكلّم بذلك الأمر قبلك، ثمّ تكلّم أنت بعده؛ فإنّ عمراً رجل غادر، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضى فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك ـ وكان أبو موسى مغفّلاً ـ فقال له: إنّا قد اتّفقنا. فتقدّم أبو موسى فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس! إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأُمة فلم نَرَ أصلح لأمرها، ولا ألمّ لشعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه؛ وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية، وتستقبل هذه الأُمّة هذا الأمر؛ فيولّوا منهم مَنْ أحبّوا عليهم، وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً. ثمّ تنحّى.

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه، فحمد اللهَ وأثنى عليه وقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأُثبتُ صاحبي معاوية؛ فإنّه وليّ عثمان بن عفّان، والطالب بدمه، وأحقّ الناس بمقامه.

فقال أبو موسى: ما لك لا وفّقك الله! غدرتَ وفجرتَ! إنّما مَثَلك ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إن تَحمِل عليه يَلْهَثْ أو تتركه يلْهث﴾[1]. قال عمرو: إنّما مَثَلك ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ

---

(١) الأعراف: ١٧٦.

أَسْفَارًا﴾[١]. وحَمَل شُرَيح بن هانئ على عَمرو فقنّعه بالسوط، وحَمَل على شُرَيح ابنٌ لعَمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهم. وكان شُرَيح بعد ذلك يقول: ما ندمتُ على شيء ندامتي على ضرب عَمرو بالسوط ألّا أكون ضربته بالسيف آتياً به الدهرُ ما أتى. والتمس أهلُ الشام أبا موسى، فركب راحلتَه ولحق بمكّة.

قال ابن عبّاس: قبّح الله رأى أبي موسى! حذّرته وأمرْته بالرأي فما عَقَل. فكان أبو موسى يقول: حذّرني ابنُ عبّاس غَدْرة الفاسق، ولكنّي اطمأننت إليه، وظننت أنّه لن يؤثِر شيئاً على نصيحة الأُمّة. ثمّ انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية، وسلّموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عبّاس وشريح بن هانئ إلى عليّ[٢].

**٢٦٢٥ـ تاريخ اليعقوبي**: تنادى الناس: حَكَم والله الحَكَمان بغير ما في الكتاب والشرط عليهما غير هذا. وتضارب القوم بالسياط، وأخذ قوم بشعور بعض، وافترق الناس.

ونادت الخوارج: كَفَر الحَكَمان، لا حُكْمَ إلّا لله[٣].

## ٩/١٤

## كلام الإمام لمّا بلغه أمر الحَكَمين

**٢٦٢٦ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من كلام له بعد التحكيم وما بلغه من أمر الحَكَمين ـ: أمّا

---

(١) الجمعة: ٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٦، الأخبار الطوال: ١٩٩ ـ ٢٠١ كلاهما نحوه؛ وقعة صفّين: ٥٤٤ ـ ٥٤٦ وراجع الفتوح: ٤ / ٢١٤ والإمامة والسياسة: ١ / ١٥٦ وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٠.

بعدُ ؛ فإنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرّب ، تورث الحسرة ، وتُعقب الندامة .

وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ، ونخلت لكم مخزون رأيي ، لو كان يُطاعُ لِقصيرٍ أمرٌ[1] ! فأبيتم عليَّ إباء المخالفين الجفاة ، والمنابذين العصاة . حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضنّ الزّنْد بقَدحه ، فكنت أنا وإيّاكم كما قال أخو هوازن :

أمـــرتكمُ أمـــري بـــمنعرج اللّـــوى ... فلم تستبينوا النصحَ إلّا ضحى الغدِ[2]

---

(١) هو مثل يضرب لمن خالف ناصحه ، وأصل المثل أنّ قصيراً كان مولى لجذيمة بن الأبرش ـ بعض ملوك العرب ـ وقد كان جذيمة قتل أبا الزبا ملكة الجزيرة ، فبعثت إليه ليتزوّج بها خدعة وسألته القدوم عليها ، فأجابها إلى ذلك وخرج في ألف فارس وخلّف باقي جنوده مع ابن أُخته وقد كان قصير أشار عليه بأن لا يتوجّه إليها فلم يقبل ، فلمّا قرب الجزيرة استقبلته جنود الزبا بالعدّة ولم يرَ منهم إكراماً له ، فأشار عليه قصير بالرجوع وقال : من شأن النساء الغدر ، فلم يقبل ، فلمّا دخل عليها قتلته . فعندها قال قصير : لا يُطاع لقصير أمر . فصار مثلاً لكلّ ناصح عصى (بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٢٢).

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٣٥، بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٢٢ / ٥٦٨ ؛ أنساب الأشراف : ٣ / ١٤٠ عن عامر الشعبي وجبر بن نوف ، جواهر المطالب : ١ / ٣١٧ كلاهما نحوه وراجع مروج الذهب : ٢ / ٤١٢ والإمامة والسياسة : ١ / ١٦٣.

نَظْرَةٌ عَامَّةٌ فِي حُرُوبِ الإِمَامِ

# بحث حول التحكيم

إنّ قضيّة التحكيم في معركة صفّين تُعدّ واحدة من أكثر الوقائع الباعثة على الأسف والأسى في عهد حكومة الإمام عليّ عليه السلام ؛ حيث جاءت هذه الحادثة المريرة في وقت شارَفَ فيه جيش الإمام على إحراز النصر النهائي ، فحالَ قبول التحكيم دون تحقيق ذلك الانتصار الساحق ، وليس هذا فحسب ، بل إنّه أفضى أيضاً إلى وقوع خلافات في جيشه عليه السلام وانهماكه في صراعات مع كوكبة واسعة من خيرة مقاتليه . ولغرض تسليط الأضواء على هذا الموضوع لابدّ أوّلاً من مناقشة عدّة أُمور :

## ١ ـ سبب قبول التحكيم

السؤال الأوّل الذي يتبادر إلى الأذهان هو : لماذا وافق الإمام على فكرة التحكيم ؟ فهل إنّه كان في شكّ من أمره ومواقفه ؟ بل ما معنى التحكيم بين الحقّ والباطل ؟ أوَلم تكن الحكمة والسياسة تقضيان أن يقاوم الإمام ضغوط رهْط من جيشه ، ولا ينصاع لفكرة التحكيم ؟

وفي معرض الإجابة عن هذه التساؤلات نقول: بلى، إنّ مقتضى الحكمة والسياسة ألّا يقبل الإمام بالتحكيم، إلّا أنّه ﷺ -كما تفيد الوثائق التاريخيّة القطعيّة- لم يقبل التحكيم بإرادته وإنّما فُرض عليه فرضاً، ولم تكن مقاومته أمام ذلك الرأي الساذج تُجديه نفعاً، بل كانت تؤدّي إلى وقوع معركة النهروان في صفّين، وسيضطرّ الإمام إلى محاربة قسم كبير من جيشه في ذات الميدان الذي كان يقاتل فيه جيش الشام.

عندما أدرك معاوية بأنّه لا طاقة له على الصمود أمام جيش الإمام، وأنّ الحرب لو استمرت لكان الانتصار الحاسم حليف الإمام، لجأ -بما لديه من معرفة بفريق واسع من جيش الإمام، وبناءً على اقتراح من عمرو بن العاص- إلى حيلتين شيطانيّتين خطيرتين: الأُولى هدفها إيقاف القتال مؤقّتاً، بينما ترمي الثانية إلى تمزيق أو إضعاف جيش الإمام. وقد آتت كلتا الحيلتين أُكلهما بمعاضدة العناصر المتغلغلة في جيش الإمام.

كانت الحيلة الأُولى رفع القرآن على الرماح، ودعوة الإمام إلى تحكيم القرآن، حتى أوقف القتال، أمّا الحيلة الثانية فكانت قضيّة التحكيم التي تمّ حبكها على نحو أكثر تعقيداً، ممّا أدّى في خاتمة المطاف إلى وقوف قطاع من خيرة جيشه في وجهه.

وهذا هو السبب الذي دفع الإمام لاحقاً إلى مقاتلة أنصاره في معركة النهروان. ولم يكن أمامه مناص في معركة صفّين سوى الانصياع لضغوطهم وقبول التحكيم. وهناك قول مشهور للإمام في وصف حالته أثناء قبول التحكيم: «لقد كنت أمسِ أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً! وكنتُ أمس ناهياً، فأصبحت

اليوم منهيّاً !». وهو يعبّر بكلّ وضوح عن هذا الواقع المرير.

### ٢ ـ لماذا أبو موسى؟

تفيد بعض الوثائق التاريخيّة أنّ أبا موسى الأشعري كان رجلاً منافقاً ؛ فقد نُسب إلى حذيفة وعمّار بن ياسر القول بذلك[1]. وهذا الادّعاء حتّى لو افترضناه غير صحيح، إلّا أنّ من المسلّم به أنّه كان رجلاً ساذجاً ومغفّلاً وكان مناهضاً لسياسة الإمام في التصدّي الحاسم لمثيري الفتنة الداخليّة. وموقفه هذا هو الذي جعله يثبّط الناس عن أمير المؤمنين عند قدومه البصرة، ويحثّهم على لزوم بيوتهم، وفي نهاية الأمر أرغمه مالك الأشتر على مغادرة قصر الإمارة.

وهنا يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال وهو: لماذا عيّن الإمام شخصاً ساذجاً له كهذا، مندوباً عنه في أمر التحكيم؟ ألم يعلم بما ستكون عليه نتيجة التحكيم فيما لو دخل أبو موسى فيه؟

والجواب هو: بلى، إنّ الإمام كان يعلم بالنتيجة ؛ فقد ذكر عبد الله بن أبي رافع كاتب الإمام عليّ عليه السلام بأنّ أبا موسى عندما أراد المسير إلى التحكيم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كأنّي به وقد خُدِع!»، غير أنّ الضغوط التي أرغمت الإمام على قبول التحكيم هي نفسها التي أرغمته على إرسال أبي موسى ممثّلاً عنه.

ومع أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حاول أن يبعث عبد الله بن عبّاس أو مالكاً الأشتر حكماً، إلّا أنّ محاولاته لم تُجْد نفعاً!

فقال عليه السلام: «إنّكم عصيتموني في أوّل الأمر ؛ فلا تعصوني الآن! إنّي لا أرى أن

---

(١) راجع: القسم السادس عشر / أبو موسى الأشعري.

أُولّي أبا موسى».

فقال الأشعث وزيد بن الحصين الطائي ومسعر بن فدكي: لا نرضى إلّا به؛ فإنّه ما كان يحذّرنا منه وقعنا فيه!

فقال عليّ عليه السلام: «فإنّه ليس لي به ثقة؛ قد فارقني وخذّل الناس عنّي، ثمّ هرب منّي حتّى آنسته بعد شهر...».

ولم يستطع الإمام أن يثنيهم عن رأيهم، فقال لهم في نهاية الأمر: «فاصنعوا ما أردتم!».

### ٣ـ موضوع التحكيم

لنتطلّع الآن في موضوع الحَكَميّة، وما الذي يجب أن يحكم فيه الحكمان؟

لا يلاحظ في وثيقة التحكيم ما يشير إلى موضوع التحكيم، ولا واجبات وصلاحيّات الحكَمَين، وإنّما اشتملت على واجب عامّ للحكَمَين وهو «أن ينزل الحَكَمان عند حكم القرآن، وما لم يجداه مسمّىً في الكتاب ردّاه إلى سنّة رسول الله».

لم يرد في نصّ الوثيقة ما يشير إلى موضوع التحكيم قطّ، أو أنّه يُعنى بالنظر في أمر قتَلة عثمان؛ كما أشار البعض إلى «أنّ الذي يُستشفّ من كتب وكلمات معاوية أنّ ما فُوّض إلى الحَكَمين هو النظر في أمر قتلة عثمان، وهل كانوا محقّين في عملهم أم لا؟»[١].

أوَهل كان موضوع التحكيم واضحاً بحيث لم تكن هناك ضرورة لإدراجه في

---

(١) علی از زبان علی «علي عن لسان علي»: ١٢٥.

نصّ الوثيقة ؟ أم يحتمل أنّ موضوع التحكيم كان موجوداً في الوثـيقة ، إلّا أنّـه حُذف أو حُرِّف لاحقاً ؟

الذي يبدو أنّ تحريف نصّ الوثيقة كان أمراً مستبعداً ، وكذلك لو كان موضوع التحكيم يختصّ بقتلة عثمان لأُشير إليه في نصّ الوثيقة . وما جاء في كلام الإمام أو في رسائله إلى معاوية لا يكشف عن أنّ مسألة قتلة عثمان كان أحد مواضيع التحكيم .

ويظهر أنّ موضوع التحكيم يختصّ بحلّ اخـتلافات الجـانبين ، ولا تـوجد حاجة لتعيينه ؛ فقد يكون الاختلاف تارة حول مسائل الزواج ، كما جاء في الآية (٣٥) من سورة النساء ، أو مسائل سياسيّة ، كما وقع في معركة صفّين ، أو مسائل أُخرى . وفي كلّ الحالات يجب على الحكمين البتّ في جميع المسائل المختلف عليها بين الفريقين المتنازعين ، وتوفير أجواء المصالحة بينهما .

ومعنى هذا الكلام عدم تخصيص موضوع الحكَميّة في معركة صفّين بمسألة قتلة عثمان ، وإنّما كان يشمل جميع الأُمور المتنازع عليها بين عليّ ﷺ ومعاوية . وهذا هو السبب الذي جعل الوثيقة خالية من ذكر أيّ موضوع خاصّ ، إلّا أنّ هذا المعنى لم يكن يشمل تعيين الخليفة ، وإنّما كان واجب الحكمين البتّ في تنازع جيش الكوفة والشام ووضع حدّ لحالة الحرب وسفك الدماء . والحقيقة هي أنّ ما أُعلن بوصفه رأياً نهائيّاً على أثر الخديعة التي حاكها عمرو بـن العـاص ، جـاء خارج موضوع التحكيم وفوق الصلاحيّات المفوّضة إلى الحَكَمين .

### ٤ ـ سبب انخداع جيش الإمام

والآن نُجيل النظر في أسباب انخداع جيش الإمام عليّ ﷺ ؛ ولماذا لم يدركوا

أو لم يريدوا أن يدركوا بأنّ رفع المصاحف على الرماح لم يكن إلّا مكيدة أراد بها الشاميّون إيقاف القتال ؟ ولماذا لم يُصغوا لكلام إمامهم، وأرغموه على قبول التحكيم ؟

ينبغي الإجابة عن هذا السؤال بالقول : إنّه وإن كان ثمّة أفراد في جيش الإمام كانوا طوع أمره، وأرادوا أن تستمرّ المعركة حتّى انتصار جيش الكوفة، إلّا أنّ الوثائق التاريخيّة تُثبت أنّ الأكثريّة العظمى من جيش الإمام كانت قد سئمت الحرب أوّلاً، وكانوا يعلمون أنّهم حتى لو انتصروا فلن يحصلوا على أيّة غنائم ـ مثلما حدث في معركة الجمل ـ ثانياً؛ ومن هنا فهم كانوا يفتقدون الدوافع المحفزة على مواصلة القتال. وعندما عرض عديّ بن حاتم على الإمام عليه السلام مواصلة الحرب قائلاً: يا أمير المؤمنين، ألا نقوم حتى نموت ؟

قال عليّ عليه السلام : «ادنُهْ»، فدنا حتّى وضع أُذنه عند أنفه، فقال: «ويحك! إنّ عامّة من معي يعصيني، ومعاوية فيمن يُطيعه ولا يعصيه».

نعم، فقد كان قرّاء الكوفة ـ الذين كان لهم دور أساسي في جيش الإمام ـ من جملة هذه الشِّرْذِمة، ونظراً لمكانتهم بين أهل الكوفة، فقد أصبح لهم الدور الأكبر في صياغة هذا المشهد الأليم، وكان جهلهم وغرورهم بمثابة الغشاء الذي حال بينهم وبين إدراك الخدعة التي لجأ إليها الشاميّون برفع المصاحف على الرماح لغرض إيقاف الحرب والحيلولة دون هزيمتهم المتوقّعة، وقد أدّى التطرّف الديني[1] ـ المقرون بالجهل والحماقة ـ بهؤلاء العبّاد الجهلة إلى إرغام إمامهم على قبول التحكيم.

---

(١) راجع: وقعة النهروان / دراسة حول المارقين وجذور انحرافهم.

وممّا دعم الموقف الأحمق للقرّاء في تلك الأثناء وساهم في نجاح مكيدة معاوية لإيقاف الحرب وبثّ الفرقة في جيش الإمام ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ هو موقف أُولئك الذين كانوا يتعاملون مع الإمام تعاملاً منافقاً ، ومن كانوا يمنّون أنفسهم بوعود معاوية ، وعلى رأسهم الأشعث بن قيس .

فالأشعث بن قيس من قبيلة كندة التي كانت تقطن جنوب الجزيرة العربيّة ، وقد وفد على الرسول ﷺ مع جماعة من قومه في السنة العاشرة للهجرة ، وأسلم ، ثمّ ارتدّ بعد وفاة الرسول ﷺ ، فبعث أبو بكر جيشاً لقتاله ، وأُسر واقتيد مكبّلاً بالأغلال إلى المدينة ، فعفا عنه أبو بكر وزوّجه أُخته !!

وبعد مقتل عثمان بايع عليّاً عليه السلام ، بيد أنّه لم يكن يتعامل معه بإخلاص ؛ فمواقفه إزاء الإمام وخاصّة فيما يتعلّق بالتحكيم ، وبثّ الفرقة بين صفوف جيش الإمام ، تشير إلى أنّه تحوّل إلى واحد من العناصر المندسّة في جيش الإمام لصالح معاوية . إلّا أنّ الإمام عليّ عليه السلام لم يكن قادراً على البتّ في أمره ؛ بسبب مكانته الاجتماعيّة وضخامة قبيلته التي كان لها دور مؤثّر في جيش الكوفة .

### ٥ ـ الحكمة من عدم اغتنام الفرصة بعد توبة الخوارج

وتوقّفت المعركة على أثر المكيدة التي ابتكرها عمرو بن العاص . ولكن ما لبث قرّاء الكوفة أن انتبهوا إلى أنّهم قد انطلت عليهم الخدعة ، وأنّهم قد أخطؤوا في حمل الإمام على قبول التحكيم . فجاؤوا إليه وأعربوا عن خطأ موقفهم ، وتوبتهم ممّا كان منهم ، وأنّه هو الآخر قد أخطأ في قبول رأيهم ، ويجب أن يتوب أيضاً ! واعتبروا الوثيقة التي صيغت على أساس المكيدة فاقدة لأيّة قيمة ، ولابدّ من نقضها واستئناف الحرب . إلّا أنّ الإمام رفض قبول هذه الاقتراحات ، وانتهى ذلك الرفض إلى انشقاق القُرّاء عن الإمام ووقوع معركة النهروان .

والسؤال الأساسي الأخير فيما يخصّ أمر التحكيم هو: لماذا رفض الإمام اقتراح القرّاء بنقض الوثيقة ومعاودة القتال؟ ألم يكن يعلم بما سيؤول إليه رفض تلك المقترحات؟ وما هي الحكمة الكامنة وراء عدم اغتنام الإمام لتلك الفرصة الذهبيّة لإنهاء فتنة القاسطين، وتوقّي وقوع فتنة المارقين؟

وجواب هذا السؤال: هو أنّ استجابة الإمام لتلك المقترحات تنطوي على ثلاثة أخطاء سياسيّة ودينيّة كبرى لم يكن الإمام على استعداد لاقترافها، وهي:

### أ ـ الاعتراف بخطأ القيادة

كان الطلب الأوّل للخوارج أن يعترف بأنّه قد أخطأ فيما يخصّ القبول بأمر التحكيم، غير أنّ الإمام لم يكن على استعداد للإعلان عن ارتكابه لأيّ خطأ؛ وذلك لأنّ القبول بالتحكيم لحلّ الاختلافات لا يُعدّ تصرّفاً خاطئاً، بل هو أمر محبّذ يؤيّده القرآن. والمؤاخذة الوحيدة في هذا السياق هي أنّ التحكيم في هذه الواقعة جاء خلافاً للحكمة والسياسة التي أعلنها الإمام صراحة، لكنّهم هم الذين استنكروا منه ذلك الموقف وأملوا عليه وعلى جيش الكوفة الرضوخ للتحكيم.

وفضلاً عن ذلك، فإنّ الإمام كان يميل إلى الاستقالة على نحو يُرضي الخوارج، غير أنّ الأشعث لم يقبل وأصرّ على أن يعترف الإمام بالخطأ على نحو يسيء إلى مكانته بوصفه قائداً.

### ب ـ نقض العهد

ولو افترضنا أنّ الإمام قد اعترف بخطأ؛ فإنّ الخوارج كان لديهم طلب آخر؛ وهو نقض الوثيقة بين جيش الشام والكوفة. بينما كان الإمام يرى أنّ التمسّك

بالمواثيق يعدّ واحداً من المبادئ الدوليّة في الإسلام، ولا ينبغي أن ينقض المواثيق تحت أيّة ذريعة كانت. ومن هنا فقد كتب في عهده إلى مالك الأشتر:

«وإن عقدتَ بينك وبين عدوّك عُقدة أو ألبستَه منك ذمّة، فحُطْ عهدك بالوفاء، وارْعَ ذمّتك بالأمانة، واجعل نفسك جُنّة دون ما أعطيت؛ فإنّه ليس من فرائض الله شيءٌ الناسُ أشدُّ عليه اجتماعاً، مع تفرّق أهوائهم وتشتّت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استَوبَلوا من عواقب الغدر؛ فلا تغدرنَّ بذمّتك، ولا تَخِيسَنّ بعهدك، ولا تَخْتِلنّ عدوّك؛ فإنّه لا يجترئ على الله إلّا جاهل شقيّ. وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى مَنَعته، ويستفيضون إلى جواره؛ فلا إدغالَ ولا مدالسة ولا خداع فيه»[1].

فإذا كان الإمام عليّ عليه السلام ينقض هذا المبدأ الإسلامي الأساسي، فما عسانا أن نتوقّع من غيره!

### ج ـ خطورة تسلّط الجهلة المتنسّكين

إنّ خطر تسلّط الجهلة المتنسّكين ـ في منظار الإمام عليه السلام ـ لا يقلّ عن خطر العلماء الفاسقين؛ فالاعتراف بخطأ، ونقض العهد في أمر التحكيم، كان يعني انصياع عليّ عليه السلام لتسلّط الجهلة المتنسّكين ـ المصابين بمرض العجب وحبّ الدنيا والتطرّف الديني لدى من اشتُهروا باسم «القرّاء» ـ على نفسه وعلى الأُمّة الإسلاميّة، وأنّه قد فوّض إليهم القرارات الأساسيّة في الحرب والسلام، ومن بعدهما في جميع الأُمور المهمّة والحسّاسة. وهذا ليس بالأمر الذي يمكن أن

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

يتقبّله أو يستسيغه قائد الأُمّة الإسلاميّة. وهذا ما جعل الإمام يقاوم طلباتهم بكلّ قوّة، ويقول:

«أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحدٌ غيري».

# الحرب الثالثة

# وقعة النهروان

## فتنة المارقين

وفيه فصول :

| | | |
|---|---|---|
| المدخل | : | دراسة حول المارقين وجذور إنحرافهم |
| الفصل الأوّل | : | نظرة عامّة |
| الفصل الثاني | : | مواصفات الحرب |
| الفصل الثالث | : | مسير المارقين إلى النهروان |
| الفصل الرابع | : | عزم الإمام على قتال معاوية ثانياً |
| الفصل الخامس | : | مسير جيش الإمام إلى النهروان |
| الفصل السادس | : | إقامة الحجّة في ساحة القتال |
| الفصل السابع | : | القتال |
| الفصل الثامن | : | خروج بقايا من الخوارج |
| الفصل التاسع | : | خروج الخرّيت بن راشد |



# المدخل

## دراسة حول المارقين وجذور إنحرافهم

إنّ ظهور حركة الخوارج وبالتالي قيام معركة النهروان يُعَدّ من الحوادث المليئة بالعبر في التاريخ الإسلامي وعصر حكومة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ ذلك أنّ طبيعة سلوكهم ، وسابقتهم الدينيّة ، وتمسّكهم القشري بالإسلام ، ثمّ مواجهتهم للإمام عليه السلام ، كلّ ذلك يعتبر من الأُمور المهمّة الحسّاسة في السيرة العلويّة . ويمكننا أن نقف على المخاطر والمحاذير إزاء مواجهة تيّارهم ومحاربتهم ، من خلال كلامٍ رفيعٍ للإمام عليه السلام قال فيه : « ... إنّي فقأتُ عين الفتنة ؛ ولم يكن ليجترئ عليها أحدٌ غيري »[1].

أجلْ ، كيف يتسنّى أن تُسلّ السيوف على وجوهٍ قرآنيّة الظاهر ، وجباهٍ ثَفِنَةٍ من كثرة السجود ، ومن ثَمّ قهرها وإبادتها ؟!

نحن في هذا الموضوع سوف نتوفر ـ وقبل كلّ شيء ـ على دراسة الوضع

---

(١) سيوافيك تفصيل النصوص التي أفاد منها هذا التحليل خلال البحوث القادمة ، ما عدا بعض الموارد الخاصّة حيث لم يرد لها ذكر هناك ؛ فعمدنا إلى تخريجها من مصادرها وذكرها هنا في الهامش .

النفسي والاجتماعي للخوارج اعتماداً عل الوثائق التاريخيّة والحديثيّة، ونستعرض كيفيّة تبلور أفكارهم، وماكان لهم من موقف متشدّد مَشُوب باللجاجة والجهل في قبال الإمامعليه السلام.

## الدين والاعتدال

الإسلام دينٌ وَسَط[1]، وتعاليمه زاخرة بالتأكيد على الاعتدال، وبالنظرة الشموليّة المستوعبة، وبضرورة الابتعاد عن الإفراط، والنظرة الضيّقة الأُحاديّة الجانب إلى الأُمور.

ورسول الله صلى الله عليه وآله ـ الذي كان يعرض الإسلام بوصفه منهاجاً للتكامل المادّي والمعنوي ويؤكّد شموليّته وكماله في استيعابه المصالح الفرديّة والاجتماعيّة ـ كان يرى الإفراط والنظرة الأُحاديّة الجانب أكبر خطر على أُمّته ودينه. ولم يزل ينبّه على هذه الحقيقة طيلة عمره المبارك، فقد كان صلى الله عليه وآله يقول:

«لا يقوم بدين الله إلّا من حاطه من جميع جوانبه»[2].

وكان صلى الله عليه وآله يرى أنّ الذين يحملون النظرة الشموليّة المستوعبة للدين، ويُحيطون بجميع التعاليم الدينيّة في مجال الفكر، والقول، والتكامل الفردي والاجتماعي هم وحدهم الذين تُثمر جهودهم في نصرة الدين، وكان يحرص على تعليم ذلك لأُمّته. ومن هنا كان صلى الله عليه وآله يقول:

«إنّ دين الله عزّوجلّ لن ينصره إلّا من حاطَهُ من جميع جوانبه»[3].

---

(١) قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

(٢) كنز العمّال: ٣ / ٨٤ / ٥٦١٢ نقلاً عن أبي نعيم؛ شرح الأخبار: ٢ / ٣٨٩.

(٣) الفردوس: ١ / ٢٣٤ / ٨٩٧ عن ابن عبّاس، كنز العمّال: ١٠ / ١٧١ / ٢٨٨٨٦.

ورسول الله ﷺ ـ إلى جوار ما كانت تعيشه الأُمّة من تعاليم سيرته الوضّاءة التي يُتحفها بها من أجل هدايتها واستقامتها على الطريقة، وجعلها الأُمّة الوسط ـ كان يدلّ على القدوة في هذا المجال، ويؤكّد تمسّك المسلمين بسيرة العترة التي كان يعرّفها للأُمّة بوصفها المثال البارز للاعتدال والوسطيّة[1]. وقد أشار الأئمّة عليهم السلام إلى منزلة أهل البيت ومكانتهم، من ذلك دعاء الإمام السجّاد عليه السلام في الصلوات الشعبانيّة، حيث جاء فيها:

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد الفُلك الجارية في اللُّجج الغامرة؛ يأمن من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدّم لهم مارق، والمتأخّر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق[2].

وهكذا نبّه أئمّة الدين الناسَ على لزوم الاعتدال في الفكر والحياة، وأكّدوا ذلك. ويمكننا أن نُدرك من هذا كلّه أنّ الخروج عن جادّة الاعتدال، والسقوط في حضيض الإفراط والتطرّف لا يستتبع إلّا الشذوذ، وربّما الانجراف مع تيّار الفساد.

ومثّل الخوارج ـ في نطاق الثقافة الإسلاميّة ـ تيّاراً متطرّفاً ذا مواقف حادّة متشنّجة بعيدة عن الاعتدال، ونُعتوا في الأحاديث النبويّة بصفة «التعمّق»:

«إنّ أقواماً يتعمّقون في الدين يمرقون كما يمرق السهم من الرمِيّة».

ونتناول هذا الاصطلاح فيما يأتي بإيجاز قبل أن نتحدّث عن جذور تيّار

---

(١) راجع: كتاب «أهل البيت في الكتاب والسنّة».

(٢) مصباح المتهجّد: ٣٦١ / ٤٨٥ عن الإمام الصادق عليه السلام وص ٨٢٨ / ٨٨٨، الإقبال: ٣ / ٣٠٠ كلاهما عن مجاهد، المزار الكبير: ٤٠١ / ١ عن العبّاس بن مجاهد، بحار الأنوار: ٩٠ / ٢٠.

# التَطَرُّفُ الدِّينِيّ فِي إِصْطِلَاحِ الْحَدِيْثِ

ذكرنا أنّ الإسلام دينٌ وسطٌ يرفض الإفراط، والتطرّف، والخروج عن الاعتدال، ولنا أن نلمس هذه الحقيقة في التعاليم الدينيّة بعناوين متنوّعة. منها: إنّنا نلحظ أنّ الإفراط والتطرّف وردا في لسان الأحاديث والروايات تحت عنوان «التعمّق»، قال رسول الله ﷺ:

«إيّاكم والتعمّق في الدين! فإنّ الله تعالى قد جعله سهلاً، فخذوا منه ما تطيقون؛ فإنّ الله يحبّ مادام من عمل صالح وإن كان يسيراً»[١].

ونُلقي فيما يأتي نظرة عابرة على هذه المفردة مستهدين بما ذكره أرباب المعاجم.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: المُتَعَمِّق: المبالغ في الأمر المنشود فيه الذي يُطلب أقصى غايته[٢].

---

(١) كنز العمّال: ٣/ ٣٥/ ٥٣٤٨ نقلاً عن أبي القاسم بن بشران في أماليه عن عمر، الجامع الصغير: ١/ ٤٥٢/ ٢٩٣٣.

(٢) كتاب العين: ٥٧٩.

وجاء في «لسان العرب» : المُتَعَمِّق : المبالغ في الأمر المتشدّد فيه الذي يطلب أقصى غايته[١].

ونجد هذا المعنى أيضاً في كلام المحدّثين ؛ فقد ذهبوا في شرح روايات جمّة إلى أنّ التعمّق هو الإغراق في الخروج عن الاعتدال ، والإفراط في مقابل الاعتدال[٢].

إنّ التنقيب عن مواضع استعمال «التعمّق» في المعاجم والأحاديث الإسلاميّة المنقولة في مصادر الفريقين لا يُريب الباحث في أنّ المراد من هذه الكلمة في الثقافة الإسلاميّة ليس إلّا الإفراط ، والتطرّف ، والخروج عن الاعتدال . وعلى أيّ حال لو لم يكن إلّا الحديث الذي أوردناه آنفاً لكفى به برهاناً على ما نقول .

وكان النبيّ ﷺ يوصي أصحابه دائماً ألّا يتجاوزوا حدّ الاعتدال في أُمور الدين ، ولا يُحرجوا أنفسهم ، ولا يفقدوا حماسهم ونشاطهم في العبادة ، وأن يُراعوا حدود السنّة ، ولأنّ المجال هنا يضيق عن ذكر جلّ وصاياه وتعاليمه التربويّة المليئة بالدروس والعبر ، الجديرة بالقراءة والتأمّل . فإننا نذكر نزداً يسيراً منها :

«ألا وإنّ لكلّ عبادة شِرّة ، ثمّ تصير إلى فترة ، فمن صارت شرّة عبادته إلى سنّتي فقد اهتدى ، ومن خالف سنّتي فقد ضلّ ، وكان عمله في تباب ، أما إنّي

---

(١) لسان العرب : ١٠ / ٢٧١ ، النهاية : ٣ / ٢٩٩ .

(٢) قال المجلسي في بيان ما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام : «لا تعمّق في الوضوء» : أي بإكثار الماء ، أو بالمبالغة كثيراً في إيصال الماء زائداً عن الإسباغ المطلوب» . بحار الأنوار : ٨٠ / ٢٥٨ وراجع وسائل الشيعة : ١ / ٤٣٤ «باب استحباب صفق الوجه بالماء قليلاً عند الوضوء وكراهة المبالغة في الضرب ، والتعمّق في الوضوء» وصحيح البخاري : ٦ / ٢٦٦١ «باب ما يكره من التعمّق والتنازع في العلم والغلوّ في الدين والبِدع» .

أُصلّي وأنام، وأصوم وأفطر، وأضحك وأبكي؛ فمن رغب عن منهاجي وسنّتي فليس منّي»[١].

وكان ﷺ ينظر في مرآة الزمان إلى أفراد من أُمّته يناهضون الحقّ لإفراطهم وتطرّفهم، ويصرّون على موقفهم إصراراً سُرعان ما يُبعدهم عن الدين وحقائقه، ولذا قال في حقّهم: «إنّ أقواماً يتعمّقون في الدين يمرقون كما يمرق السهم من الرميّة».

وقال مشيراً إلى علامات هؤلاء: «إنّ فيكم قوماً يعبدون ويدأبون يعني يُعجبون الناس وتُعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة».

فالتعمّق هو التطرّف والإفراط، وإذا ما جُعل ميزاناً لأفعال الآخرين فلا يُنتج إلّا الحكم الجائر؛ فيرى الحقّ دوماً في جانبه، وليس للآخرين حظٌّ منه، وهذا النوع من الرؤى هو الذي يسبّب الفرقة، ويستتبع الزيغ ويوجِد الشقاق، وبالتالي فيصبح دعامة للكفر، وحسبنا في المقام كلام أمير المؤمنين عليه السلام في بيان هذه الحقيقة، وأنّ التعمّق أحد أُسس الكفر، إذ يقول:

«والكفر على أربع دعائم: على التعمّق، والتنازع، والزيغ، والشقاق؛ فمن تعمّق لم يَنُب إلى الحقّ»[٢].

ومثل هؤلاء المتعمّقين بتماديهم في ظنونهم وأوهامهم، وإغراقهم في أفكارهم، ومن ثمّ أساليبهم المفرطة، لا يجدون مجالاً للإنابة إلى الحقّ، ومن

---

(١) الكافي: ٢ / ٨٥ / ١ وراجع كنز العمّال: ١٦ / ٢٧٦ / ٤٤٤٣٩.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣١، الكافي: ٢ / ٣٩٢ / ١ عن سليم بن قيس، الخصال: ٢٣٢ / ٧٤ عن الأصبغ بن نباتة، تحف العقول: ١٦٦ كلّها نحوه، روضة الواعظين: ٥٣ وفيه «ينسب» بدل «ينب».

هنا لا ينقادون للإسلام، وهل الإسلام إلّا التسليم للحقّ، والإقرار به، والخضوع له بعد فهمه؟

والمؤسف أنّ مشكلة الخوارج الكبرى قد تمثّلت في توجّهاتهم المتطرّفة المفرطة اللامتناهية، لذلك آلَ أمرهم إلى حكمهم بالكفر على كلّ من لا يرى رأيهم ولا يعمل عملهم!

## نقطة البداية في الانحراف

إنّ عدداً من المسلمين في عصر صدر الإسلام لم يتلقّ تحذير النبيّ ﷺ من «التعمّق» بكثيرٍ من الجِدّية؛ لأسباب سنعرضها عند الحديث عن جذور «التعمّق»؛ فهؤلاء قد تجاوزوا السنّة النبويّة، وأفرطوا في نزعاتهم حتى وقحُوا في بعض المرّات واجترؤوا يؤاخذون النبيّ ﷺ إذ كان ﷺ في أحد الأيّام مشغولاً بتوزيع الغنائم، وقسمتها بمراعاة مصالح معيّنة، فهبّ أحد هؤلاء «المتقدّسين»، وقد سوّلت له نفسه أنّه أعدل من رسول الله ﷺ في القسمة بزعمه، وطلب منه أن يعدل في التوزيع! وطعن في تقسيمه القائم على التعاليم القرآنيّة، وكان أثر السجود بائناً على جبهته، ورأسه محلوق على طريقة «المتقدّسين» يومئذٍ ورفع عقيرته بغلظة وفظاظة قائلاً: «محمّد، والله ما تعدل!» فقال له النبيّ ﷺ مُغضباً:

ويحك! فمن يعدل إذا لم أعدل؟!

وَهَمَّ الصحابةُ بقتله لموقفه الوقِح هذا، بَيْد أنّ النبيّ ﷺ منَعهم، وحكى لهم صورةً عن مستقبله، وأنبأهم بأنّه ورفقاءه بعيدون عن الحقّ من منطلق «التعمّق» وقال:

«سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتى يخرجوا منه».

وقال في خبر آخر: «إنّه يخرج هذا في أمثاله وفي أشباهه وفي ضُربائه يأتيهم الشيطان مِن قِبَل دينهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، لا يتعلّقون من الإسلام بشيءٍ».

والعجب أنّ هؤلاء قد تقمّصوا الزهد، وعليهم سيماء العابدين أو هيئة الزاهدين، بيْد أنّهم ـ من منظار رسول الله ﷺ ـ من الدين خارجون، وعن الحقّ والحقيقة بعيدون، وهم الذين كانوا يسمّون أنفسهم «القُرّاء» أيضاً، في حين أبان النبيّ ﷺ هذه الصفة وجلّى طبيعتها أيضاً، فقد قال ﷺ: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم!».

ويحسن بنا أن نتحدّث بإجمال عن مصطلح «القرّاء»؛ لِما كان له من أرضيّة اجتماعيّة في التاريخ الإسلامي.

## تيّار القرّاء وتبلوره

كان في المجتمع الإسلامي أشخاص مشهورون بحُسن القراءة، وحظي هؤلاء بشعبيّة لافتة للنظر، وإقبال حَسَن بين الناس، حتى غدا عنوان «القارئ» امتيازاً له أثر في تعيين المناصب أحياناً[1].

وقد ازداد عددهم بمرور الأيّام، وكانوا يحلقون رؤوسهم على طريقة خاصّة[2]، ويضعون عليها برانس خاصّة لتمييزهم عن غيرهم، فعُرفوا بـ«أصحاب البرانس».

---

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٩٩، الطبقات الكبرى: ٢ / ٣٥٢ و ج ١ / ٢٢٦، جوامع السيرة النبويّة لابن حزم: ٢٠٣، وراجع تفصيل ذلك في «تاريخ القرآن» للدكتور راميار: ٢٣١ ـ ٢٣٣.

(٢) قال ابن أبي الحديد: كان شعارهم أنّهم يحلقون وسط رؤوسهم ويبقى الشعر مستديراً حوله كالإكليل (شرح نهج البلاغة: ٨ / ١٢٣ وراجع بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٨٩).

وكان القرّاء متفرّقين في مكّة، والمدينة، والشام، والكوفة، لكنّ معظمهم كان في الكوفة[1]. ولم يشتركوا في الشؤون السياسيّة غالباً، بَيْد أنّهم طفقوا ينتقدون عثمان في أيّام خلافته، ولم يُطِق انتقادهم وتعنيفهم فنفاهم، ولهم في الثورة عليه وقتله دَورٌ أيضاً.

## دور القرّاء في جيش الإمام عليّ

كان القرّاء ـ بسابقتهم الفكريّة والسياسيّة والاجتماعيّة هذه ـ يشكّلون قسماً لافتاً للنظر من جيش الإمام، وعُرفوا بالشجاعة والإقدام والقتال، وكان لهم موقع في جيشه، بحيث إنّهم لمّا أُبيدوا في النهروان تركوا فراغاً مشهوداً في الجيش. ويدلّ على موقعهم أيضاً أنّ معاوية عندما شنّ غاراته، وحثَّ الإمامُ جُنده على الدفاع عن الثغور، فلم يسمع جواباً منهم، قال أحد أصحابه:

«ما أحوج أمير المؤمنين ومن معه إلى أصحاب النهروان!»[2].

## القرّاء وفرض التحكيم على الإمام

ممّا يؤسف له أنّ هؤلاء القرّاء بماضيهم المعروف قد خدعتهم ـ وهم في جيش الإمام ـ المكائد الخفيّة لمعاوية وعمرو بن العاص وعملائهما، بسبب تطرّفهم، وإفراطهم أو تعمّقهم على حدّ تعبير النبيّ، ففرضوا التحكيم على الإمام.

لقد احتال ابن العاص وسوّل للجيش مكيدته في وقتٍ أوشك أن يُطوى فيه

---

(١) حياة الشعر في الكوفة: ٢٤٤.

(٢) الأمالي للطوسي: ١٧٤ / ٢٩٣، الغارات: ٢ / ٤٨١؛ شرح نهج البلاغة: ٢ / ٩٠.

ملفّ الشام إلى الأبد، وتستريح الأُمّة من هذه الفتنة العمياء السوداء، وأمر برفع المصاحف على الرماح دلالةً على الكفّ عن القتال، وأمارةً على تحكيم كتاب الله فيه، فاتّخذ أُولئك القرّاء موقفهم المُشين المشهور، وهم المعروفون بسطحيّتهم ونظرهم إلى ظاهر الأُمور لا باطنها، ولم يروا وجه الحيلة، فأجبروا الإمامعليه السلام على قبول التحكيم، والإمساك عن القتال تعظيماً لحرمة القرآن بزعمهم، وأكرهوه على ذلك بالرغم من معارضتهعليه السلام ومعه الخاصّة من أصحابه، وهدّدوه بالقتل عند الرفض، ولم يكن لهعليه السلام سبيل إلّا الاستجابة لذلك المنطق المتعسّف الخاوي الجهول؛ لما كان لهم من تغلغل ونفوذ في جيشه، وقَبِل الإمامعليه السلام اقتراحهم، فاستدعى «مالكاً» الذي كان قد تقدّم في المعركة واقترب من فسطاط معاوية. وهكذا انطلت الخديعة، وواجهت حكومة الإمامعليه السلام مشكلة جدّية.

### انفصال القرّاء عن الإمام

ما لبث أن أُميط اللثام، وافتضحت خديعة معاوية، وأدرك القرّاء السطحيّون خطأهم وانخداعهم بمكيدة رفع المصاحف، ولكنّهم بدل أن يستفيقوا فيعيدوا الحقّ إلى نصابه، والماء إلى مسابه نراهم كابروا بمضاعفة تطرّفهم، وجهلهم، وإفراطهم، ونظرتهم الضيّقة المنغلقة، واجترحوا سيّئةً أكبر من سابقتها، فقالوا للإمامعليه السلام: لقد كفرنا بفعلنا هذا، وإنّا تائبون منه، وأنت كفرت أيضاً؛ فعليك أن تتوب مثلنا، وتنكث ما عاهدت عليه معاوية، وتعود إلى مقاتلته!

ولا ريب في أنّ نكث الإمام عهدَهُ ـ مضافاً إلى ما فيه من مخالفةٍ لسيرته وأُسلوبه وتعاليم دينه ـ يُفضي إلى تضيق هؤلاء «المتقدّسين» المتعنّتين الخناق على الإمامعليه السلام، وتحديد نطاق حكومته إلى درجة ينفلت معها زمام الأُمور،

ويفقدﷺ القدرة على صنع قراره في الحرب والسلم، والسياسة والإدارة؛ وتخرج الأُمور المهمّة من يده. فلذا واجهﷺ **هذا الطلب الجهول** بكلّ قوّة، لكنّ أُولئك القرّاء بدل أن يتأمّلوا في هشاشة موقفهم الأحمق هذا، افترقوا ـ عند الرجوع من صفّين ـ عن أمير المؤمنين وإمام المتديّنين؛ انطلاقاً من «التعمّق» في الدين والإفراط في السلوك المشين، وعسكروا في «حروراء» قريباً من الكوفة.

**انقلاب «القرّاء» إلى «المارقين»**

أجَل، تحقّقت نبوءة رسول اللهﷺ؛ وإذا الذين كانوا بالأمس وجوه المسلمين البارزة، وممّن جمعوا في حياتهم بين الجهاد والقتال، والزهد والعبادة، يقفون اليوم أمام الدين وإمام المسلمين بسبب إصابتهم بداء التعمّق والتطرّف؛ متذرّعين بذريعة الدفاع عن ساحة القرآن وحريم الدين. وهكذا أخرجهم داء الإفراط والتطرّف من الدين حتى لم يبق في نفوسهم للدين من أثر.

وهكذا استحقّوا عنوان «المارقين» الذي كان رسول اللهﷺ قد وصفهم به من قبل. وممّا كانﷺ قد قاله للإمامﷺ:

«يا عليّ! لولا أنت لما قوتل أهل النهر، قال: فقلتُ: يا رسول الله! ومَن أهل النهر؟ قال: قوم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة».

**الإمام ومباهاته باجتثاث فتنة «التعمّق»**

اتّضح ممّا ذكرناه إلى الآن حول تيّار «التعمّق» والوجوه المنتمية إليه أنّ الاصطدام به كان عملاً صعباً، وحقيقة الأمر أنّ استئصال جذور هذه الفتنة ـ التي كانت في ظاهرها تيّاراً وطيداً في التديّن ـ عملٌ في غاية الإعضال، وكان الإمامﷺ يرى أنّ إبادة هذا التيّار واقتلاع جذور الفتنة من مفاخر عصر خلافته،

فقد قال عليه السلام :

«إنّي فقأتُ عين الفتنة ، ولم يكن لِيَجْترئ عليها أحدٌ غيري» .

إنّ قتالَ أدعياء الحقّ ؛ القرّاء الذين كانت ترنيمات القرآن قد ملأت حياتهم ، وجرى على السنتهم نداء «لا حُكْمَ إلّا لله» وهم بِسيَرٍ ربّانيّة الظاهر ، عملٌ جدٌّ عسير ؛ فهؤلاء كانوا يُحيون الليل بالعبادة ، ويخرّون للأذقان سُجّداً سجدات طويلة ، وجباههم ثفنات من كثرة السجود . وكانوا لا يعرفون حدّاً لانتقاد غيرهم ، واشتُهروا بوصفهم رجالاً أُولي شأنٍ وقوّةٍ في الدين . لكن واأسفاه ! إذ كانوا مرضى القلوب ، ضيّقي الأفكار ، صغار العقول .

من هنا كان الاصطدام بتيّار «التعمّق» ـ بناءً على ما ذُكر ـ ممّا لم يقدر عليه يومئذ إلّا الإمام عليه السلام وكان قمعه يتطلّب بصيرة وحزماً خاصّاً متميّزاً لم يقدر عليه سوى عليّ عليه السلام . وهذه الكلمة كلمته المشهورة التي نطق بها بعد قتال الخوارج لم يَقُلها ـ لذلك ـ في حربه مع «الناكثين» و«القاسطين» فإنّه ما قال في قتال هاتين الطائفتين : «لم يكن ليجترئ عليها أحدٌ غيري» أو «لولا أنا ما قوتل ...» ، بيد أنّه قال ذلك في قتال الخوارج .



لننظر الآن من أين ظَهَر هذا التيّار، وكيف؟ ولماذا ظهر إنّ دراسة جذور هذا التيّار، والوقوف على بواعث انحراف أصحابه يعتبران من أهمّ موضوعاته وتتجلّى أهميّة هذه الدراسة بملاحظة إخبار النبيّ ﷺ والإمام عليّ عليه السلام باستمرار هذا التيّار عبر التاريخ الإسلامي، وأنّ مقارعة التطرّف والإفراط، واليقظة والحذر منهما حاجة لازمة للأُمّة الإسلاميّة.

قال النبيّ ﷺ في استمرار هذا التيّار الفكري:

«كلّما قُطع منهم قَرن نشأ قَرن ثمّ يخرج في بقيّتهم الدجّال».

وعندما أُبيد الخوارج في النهروان وقيل للإمام عليه السلام: هلك القوم بأجمعهم، قال عليه السلام:

«كلّا والله، إنّهم نُطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء؛ كلّما نَجَم منهم قَرن قُطع، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين».

من هنا، ينبغي التوفّر قبل كلّ شيء على دراسة نفسيّات المارقين، والتنقيب

عن جذور «التعمّق» ، واستقصاء ممهّدات هذا التطرّف ، لعلّ في ذلك عبرة لمعتبر في عصرنا هذا وجميع الأعصار .

### ١ ـ الجهل

لا مناصَ من عدّ الجهل أوّل عامل في دراسة جذور «التعمّق» وقد نصّت الأحاديث والروايات على هذه النقطة ؛ فإنّنا نلحظ عليّاً عليه السلام ينظر إلى الجهل مصدراً للإفراط والتفريط ، والتطرّف والتلكّؤ ، قال عليه السلام :

«لا ترى الجاهل إلّا مُفرِطاً أو مُفرِّطاً»[١] .

وهكذا نجده في كلام الإمام الباقر عليه السلام إذ عدّه أساس تطرّف الخوارج وموقفهم المفرِط ، فقد قال إسماعيل الجُعفي : سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذي لا يسعُ العبادَ جهلُه ؟ فقال :

«الدين واسع ، ولكن الخوارج ضيّقوا على أنفسهم من جهلهم»[٢] .

وهذه هي النقطة التي أكّدها أمير المؤمنين عليه السلام من قبل عند تحليله النفسي والفكري للخوارج وسبب تطرّفهم ونزعاتهم المفرطة ، فقال :

«... ولكن منيتُ بمعشرٍ أخِفّاء الهام ، سُفهاء الأحلام» .

وقال في كلام آخر يخاطبهم به :

«وأنتم ـ والله ـ معاشرُ أخِفّاءُ الهامِ سفهاءُ الأحلام»[٣] .

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٧٠ ، بحار الأنوار : ١ / ١٥٩ / ٣٥ .

(٢) الكافي : ٢ / ٤٠٥ / ٦ ، تهذيب الأحكام : ٢ / ٣٦٨ / ١٥٢٩ ، من لا يحضره الفقيه : ١ / ٢٥٧ / ٧٩١ .

(٣) تاريخ الطبري : ٥ / ٨٥ .

وفي كلام رفيع له عليه السلام كان يهدف منه إيقاظهم، أوصاهم في سياق توضيح بعض الحقائق أن يرعووا عن لجاجهم وعملهم الذي يسوّله لهم جهلهم، وأن يتبيّنوا طريق الاعتدال، وأشار فيه إلى خلقهم وجبلّتهم فقال عليه السلام:

«ثمّ أنتم شرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به تيهه. وسيهلك فيّ صنفان: مُحبّ مُفرِط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ؛ ومبغض مُفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ. وخير الناس فيَّ حالاً النَّمَط الأوسط؛ فالزموه»[1].

## العقل مقياس الأعمال

إنّ التعقّل، والانطلاق من العقل في العمل، وقياس السلوك بالفكر والتفكّر كلّ أُولئك في غاية الأهميّة من منظار الدين. وللدين تأكيد عجيب في هذا المجال، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل»[2].

من هنا، لا يقام وزن للأعمال التي لا تُمارَس من وحي العقل، ولا للجهود المنطلقة من الجهل والحمق. وهكذا كان الخوارج في خفّة عقولهم وجهلهم؛ فإنّهم لم يلجؤوا إلى ركن وثيق في الدين مع جميع ما كانوا عليه من العبادة وقيام الليل. والغريب أنّهم لم يظفروا بمعتقدات راسخة قطّ مع ما عرفوا به من استبسالهم في ساحات الوغى، وعباداتهم الطويلة، وتحمّلهم مشقّات في

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧، بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٧٣ / ٦٠٤.

(٢) الكافي: ١ / ١٢ / ١١، المحاسن: ١ / ٣٠٨ / ٦٠٩.

العبادة. وهذا كلّه لم يؤدّ دوراً تكاملياً في عقائدهم. وحين سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً من الحروريّة يتهجّد ويقرأ، قال: «نوم على يقين خيرٌ من صلاة على شكّ»[١].

## عمق جهل الخوارج

إنّ جهل الخوارج مُدهش إلى درجة أنّهم كانوا في مِرْيةٍ وشكّ من أمرهم حتى اللحظات الأخيرة من الحرب التي أوقدوها وزهقت فيها أرواحهم، بَيدْ أنّهم لم يرعووا عن مكابرتهم. وهذه من النقاط المهمّة في تحليل شخصيّتهم، أي أنّهم على الرغم من تطرّفهم الشديد في العمل لم يلجؤوا إلى ركن وثيق في العقيدة. وعلى سبيل المثال لمّا هلك أحدهم في النهروان قال: «حبّذا الروحة إلى الجنّة»، فقال قائدهم عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنّة أم إلى النار؟ فقال رجل من بني أسد كان يرى هذا المشهد:

«إنّما حضرتُ اغتراراً بهذا، وأراه قد شكّ!! وانخزل بجماعة من أصحابه ومال إلى ناحية أبي أيّوب الأنصاريّ».

ونُذكّر بأنّ جواب صادق آل محمّد عليهم السلام بشأن الخوارج جدير بالمطالعة والتأمّل. فقد سمّاهم «الشُّكّاك»، ونبّه أيضاً على مواقفهم من الوجهة النفسيّة، فعن جميل بن درّاج: قال رجل لأبي عبد الله [الإمام الصادق] عليه السلام:

الخوارج شُكّاك؟

فقال: نعم. قال: كيف وهم يدعون إلى البراز؟

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٩٧، غرر الحكم: ٩٩٥٨، عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٧ / ٩١٦٣.

قال: ذلك ممّا يجدون في أنفسهم[١].

والنقطة اللافتة للانتباه في هذا الحوار هي أنّ السائل يجد صعوبة في أن يقرّ بأنّ رجالاً يشهرون سيوفهم ويقاتلون دفاعاً عن عقيدةٍ مشوبة بالشّك والارتياب. وجواب الإمام عليه السلام هو أنّهم لا ينطلقون في تحرّكهم من وحي عقيدةٍ راسخة معيّنة، بل من وحي عواطف باطنيّة دعتهم إلى اتّخاذ مثل ذلك الموقف، وهذه النقطة شديدة الإثارة للتأمّل والدعوة إلى الاعتبار، فقد يحدث ـ بل كثيراً ما يحدث ـ أن يقع الإنسان دونما تفكير أسيراً لعواطفه دفعةً واحدة، في المواطن المثيرة والمواضع التي تحكمها اللحظة الحاضرة إلى درجة يتعطّل معها عقله بغتةً، وهو يعيش إعصار العاطفة، فإذا ما سكن هذا الإعصار وهدأت فورته يفهم الراكب موجته ماذا كان فعل، وكيف فَقَدَ كنزه! وكلام الإمام عليه السلام يدلّ على أنّ تحرّك المارقين لم يعتمد على عقيدة راسخة. وفيما ذكرناه ـ وفي غيره من الحقائق التي تصدق على حياة بعضهم ـ إنارة وبيان لهذه الحقيقة.

## ٢ ـ حبّ الدنيا

يمكن أن نعدّ حبّ الدنيا وتأثير مغرياتها العامل الثاني لانحراف الخوارج، مهما تعدّدت أشكال هذا الحبّ ومؤشّراته. وهذا الموضوع في الحقيقة أهمّ عامل في زيغ التيّارات الثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين. وقد تعرّض الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقة في كلام عميق له قال فيه:

«فلمّا نهضتُ بالأمر نكثت طائفة، ومرَقَت أُخرى، وقَسَط آخرون، كأنّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَايُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى

---

(١) تهذيب الأحكام: ٦ / ١٤٥ / ٢٥١.

ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]. بلى والله، لقد سمعوها ووَعَوْها، ولكنّهم حَلِيَت الدنيا في أعينهم، وراقهم زِبرِجُها[٢].

ولعلّ ما جاء في التاريخ حول الخوارج يجعل التصديق بهذا الموضوع عسيراً بعض العُسر، ذلك أنّ قوماً اتّخذوا الزهد شعاراً لهم، وظهروا بمظهر العازفين عن الدنيا، وأتعبوا أنفسهم في العبادة، وجاوزوا حدّ الاعتدال فيها، ورغبوا عن مادّيات هذه الحياة، وكانوا يُبلون بلاءً حسناً في ميادين القتال، كيف يكون لحبّ الدنيا من معنىً بالنّسبة إليهم؟! وهنا ينبغي أن نقول: «هاهنا ألف مسألة هي أدقّ من الشعرة»[٣]. فللإقبال على الدنيا معالم ووجوه، ذلك أنّ منهم مَن يتشدّد فيها على نفسه حيناً، ويعنُف بها؛ لكي يكون مشهوراً محبوباً بين الناس، ويذيع صيته، ويتحدّث المتحدّثون باسمه! أجل:

كلّ من في الوجود يطلب صيداً      إنّما الإختلاف في الشبكاتِ

وليس للمرء أن يُخلِصَ دخيلته فيها ما لم يَخلَصْ من حبالة النفس وفخّ الشيطان، ومن الواضح أنّ الإقبال على الدنيا ـ إذا كان في قالب التديّن ولباس أهل الآخرة ـ أخطر بكثيرٍ ممّا إذا كان في قالب حبّ الدنيا واللهث وراءها، وفي زيّ الإتراف. ذلك أنّ من العسير إدراك هذه الحقيقة من وراء ذلك الظاهر.

ولنا أن نلمس هذه الحقيقة بوضوح في تصوير شامل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتحدّث فيه عن أصناف الناس في عصره، قال عليه السلام:

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣، الإرشاد: ١ / ٢٨٩، الاحتجاج: ١ / ٤٥٧ / ١٠٥، الطرائف: ٤١٨.

(٣) ترجمة لمثل فارسي.

«ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامَنَ من شخصه، وقارَبَ من خَطوه، وشمّر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتّخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية»[1].

ومن الصعب تمييز النماذج الماثلة لطلّاب الدنيا بخاصّة طلّابها الذين عليهم مسحة التوجه إلى الآخرة، فهذا اللون من التوجّه لا يظهر إلّا عند محطّات الاختبار وفي منعطفات الحياة الوعرة، وهناك تنجلي جوهرة الباطن، ونِعمَ ما قاله الإمام عليه السلام في هذا المجال:

«في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال».[2]

إن إدراك الحقيقة المستخفية وراء حجاب الرياء والتدليس أمر لا يهتدي إليه كلّ أحد؛ فهو يتطلّب بصيرة عميقة ثاقبة كبصيرة مالك الأشتر، حتى يتسنّى أن يُرى حبّ الدنيا كامناً وراء السجدات الطويلة والنزعات الخادعة ببريق قداستها المفتعلة. لقد كان مالك على مشارف النصر في صفّين، وتقدّم حتى اقترب من خيمة طلّاب السلطة، لكنّه أُكره على التقهقر تحت ضغط «القرّاء». وحين عاد خاطبهم بحرقة وألم، فقال لهم:

«يا أصحاب الجباه السُّود! كنّا نظنّ صلاتكم زهادةً في الدنيا، وشوقاً إلى لقاء الله عزّوجلّ، فلا أرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت، ألا قبحاً يا أشباه النِّيب الجلّالة»[3].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٢، بحار الأنوار: ٧٨ / ٥ / ٥٤.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢١٧.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٥٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٨٧؛ وقعة صفّين: ٤٩١.

وهذا اللون من طلب الدنيا وضروب حبّها والركون إليها ورد أيضاً في كلام تربويّ للإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام يبعث على التذكير والتنبيه، فلنقرأه معاً:

«إذا رأيتم الرجل قد حَسُن سمته وهديه، وتماوَتَ في منطقه، وتخاضَع في حركاته، فرويداً لا يغرّنّكم؛ فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها لضعف نيّته، ومهانته، وجُبن قلبه؛ فنَصَبَ الدين فخّاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره؛ فإن تمكّن من حرامٍ اقتحمه. وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام فرويداً لا يغرّنّكم؛ فإنّ شهوات الخلق مختلفة؛ فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرّماً، فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك فرويداً لا يغرّكم حتى تنظروا ما عقده عقله، فما أكثر مَنْ ترك ذلك أجمع، ثمّ لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر ممّا يصلحه بعقله، فإذا وجدتم عقله متيناً، فرويداً لا يغرّكم حتى تنظروا: أمَع هواه يكون على عقله، أو يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبّته للرئاسات الباطلة وزهده فيها؟ فإنّ في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا، ويرى أنّ لذّة الرئاسة الباطلة أفضل من لذّة الأموال والنِّعم المباحة المحلّلة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة الباطلة، حتى إذا قيل له: اتّقِ الله، أخذته العزّة بالإثم، فحسبه جهنّم، ولبئس المهاد؛ فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يُحلّ ما حرّم الله، ويُحرّم ما أحلّ الله، لا يُبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد شقي من أجلها، فأُولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مُهيناً.

ولكن الرجل كلّ الرجل نِعْمَ الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه

مبذولة في رضى الله ، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ في الباطل ، ويعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النعيم في دارٍ لا تبيد ولا تنفد ، وأنّ كثير ما يلحقه من سرّائها إن اتّبع هواه يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال ، فذلكم الرجل نِعْم الرجل ، فبه فتمسّكوا ، وبسنّته فاقتدوا ، وإلى ربّكم به فتوسّلوا ؛ فإنّه لا تردّ له دعوة ، ولا تخيب له طلبة»[1] .

---

(١) الاحتجاج : ٢ / ١٥٩ / ١٩٢ ، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ٥٣ / ٢٧ كلاهما عن الإمام الرضا عليه السلام ، بحار الأنوار : ٢ / ٨٤ / ١٠ .

من المناسب أن نتحدّث عن آثار «التعمّق» بعد أن تعرّفنا على طبيعته وجذوره؛ فإنّا نلحظ أنّ الأحاديث التي أحصت أخطار الجاهل «المتنسّك» هي في الحقيقة قد صوّرت آثار «التعمّق» الضارّة. ونقرأ في هذه الأحاديث: أنّ النبيّ ﷺ أخبر بهلاك اُمّته على يد العلماء الفجّار، والعبّاد الجهّال. وقد تجسّد هذا الخبر في أيّام حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واتّخذ شكله يومئذٍ، قال عليه السلام:

«قصم ظهري عالم متهتّك، وجاهل متنسّك»[1].

وقال: «قطع ظهري اثنان: عالم فاسق... وجاهل ناسك»[2]

وقال في خطبة له عليه السلام:

«قطع ظهري رجلان من الدنيا: رجل عليم اللسان فاسق، ورجل جاهل القلب ناسك؛ هذا يصدّ بلسانه عن فسقه، وهذا بنُسكه عن جهله؛ فاتّقوا الفاسق

---

(١) منية المريد: ١٨١، غرر الحكم: ٩٦٦٥.

(٢) تنبيه الخواطر: ١ / ٨٢.

من العلماء، والجاهل من المتعبّدين، أُولئك فتنة كلّ مفتون»[1].

نلحظ هنا أنّ الإمام عليه السلام بكلماته هذه يذكّر بمشكلة حكومته في الحقيقة، وأنّه يلفتنا إلى أنّ حكومته قد تلقّت ضربتين قاصمتين من شريحتن، وأنّ عمودها الفقري قد أُصيب وتضعضع بذلك، وهاتان الشريحتان هما:

١ ـ العلماء المتهتّكون؛ وهم الوجوه البارزة الذين أوقدوا فتنة الجمل وصفّين (الناكثون والقاسطون) ومهّدوا سبل الفساد، وقسطوا ونكثوا عامِدين.

٢ ـ الجهّال العابدون الذين واجهوا الإمام عليه السلام في النهروان بسيماء الزاهدين وباسم الدين منطلقين من جهلهم وحمقهم.

وهكذا، فلا قيمة لعبادات الجاهل المتنسّك، ولا وزن لتهجّداته، ولا خلاقَ له منها. وليس هذا فحسب، بل إنّهم يشكّلون خطراً عظيماً على الإسلام والحكومة الإسلاميّة، وبعبارة أُخرى: مَثَلُ العالم المتهتّك في خطره على النظام الإسلامي كمثل الجاهل المتنسّك في خطره على الأُمّة الإسلاميّة والنظام الإسلامي أيضاً.

ولا غرْو أن تُختم حياة الإمام عليه السلام على يد هذه الشريحة الثانية، فدلّ واقع التاريخ على أنّ خطر العبّاد الجاهلين أشدّ وأنكى.

فاستبان ـ إذن ـ أنّ أمرّ ثمرةٍ وأضرّها لشجرة «التعمّق» الخبيثة ـ الضاربة جذورها في الجهل وحبّ الدنيا والمرتدية لباس الدين ـ هو تقويض أركان النظام الإسلامي. والآن نعرّج على أغصان هذه الشجرة بشيء من التوضيح:

---

(١) الخصال: ١٠٣/٦٩، مشكاة الأنوار: ٦٨٧/٢٣٨، روضة الواعظين: ١٠، بحار الأنوار: ٣/١٠٦/٢.

## ١ ـ العُجب

العُجُب، والزهو، والتعظّم، كلّ ذلك يمثّل أوّل غصن للتعمّق، والتطرّف، والتنسّك الجاهل. وقد مُني القرّاء بهذه الأدواء الوبيلة؛ لإفراطهم في تعبّدهم وتنسّكهم، ونظرهم إلى هذا المرض على أنّه قيمة مهمّة. وزعموا ـ بفعل هذا المرض ـ أنْ ليس في الناس من هو أفضل منهم. ومن هنا سأل رسولُ الله ﷺ أحدهم بغية كشف باطنه الخفيّ له ووضعه أمامه، فقال:

«أ قلت في نفسك حين وقفت على المجلس: ليس في القوم خيرٌ منّي؟ قال: نعم!».

فأراد ﷺ أن ينبّهه على إصابته بداء الزهو والعُجب. وقال فيه وفي نظائره:

«إنّ فيكم قوماً يدأبون ويعملون حتى يُعجبوا الناس وتُعجبهم أنفسهم»[1].

### خطر العُجب

العُجب أخطر الأمراض الأخلاقيّة، فإذا استفحل عند أحد غدا عُضالاً، وأودى بصاحبه. وكلام صادق آل محمّد ﷺ آية بيّنة على هذه الحقيقة، قال ﷺ:

«مَن أُعجب بنفسه هلك، ومَن أُعجب برأيه هلك، وإنّ عيسى بن مريم ﷺ قال: داويتُ المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأتُ الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق؛ فلم أقدر على إصلاحه! فقيل: يا روح الله، وما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه، الذي يرى الفضل كلّه له لا عليه، ويوجب الحقّ كلّه لنفسه، ولا يوجب عليها حقّاً، فذاك الأحمق

---

(١) فتح الباري: ١٢ / ٢٨٩ عن أنس.

الذي لا حيلة في مداواته»[١].

وقال السيّد الإمام الخميني في وصيّته لابنه:

«يا بُنيّ اعتُقْ نفسك من رقّ الزهو والعُجب؛ فإنّه إرث الشيطان الذي عصى الله تعالى في الخضوع لوليّه وصفيّه جلّ وعلا بسببه. واعلَمْ أنّ جميع بلايا الإنسان من هذا الإرث الشيطاني، فهو أصل أُصول الفتنة»[٢].

وإذا ترسّخ هذا الداء في نفس أحد، فلا ينفعه عندئذٍ أيّ عمل من أعماله في نجاته وتكامله. وقال الإمام الصادق:

«قال إبليس لعنة الله عليه لجنوده: إذا استمكنتُ من ابن آدم في ثلاث، لم أُبالِ ما عمل؛ فإنّه غير مقبول منه: إذا استكثر عمله، ونسي ذنبه، ودخله العُجب»[٣].

إنّ داء العجب في الحقيقة يحول دون استمتاع المرء ببركات أعماله الصالحة من جهة، ويُفضي إلى ضروب الانحرافات الأخلاقيّة من جهة أُخرى. وهكذا ينبغي أن نؤكّد أنّ سائر أعراض «التعمّق» التي سنُشير إليها لاحقاً ترشُف من هذه الرذيلة.

### ٢ ـ استدامة الجهل

وتُمثّل الغصن الآخر من أغصان شجرة «التعمّق»، ولها في العُجب جذور على نحوٍ ما؛ فحينما يُفرط الإنسان في عمله، وينطلق فيه بلا تعقّل، ويرى نفسه

---

(١) الاختصاص: ٢٢١ عن أبي الربيع الشامي، بحار الأنوار: ٧٢ / ٣٢٠ / ٣٥.

(٢) صحيفة النور «مجموعة كلمات الإمام الخميني»: ٢٢ / ٣٧١.

(٣) الخصال: ١١٢ / ٨٦ عن عبد الرحمن بن الحجّاج، روضة الواعظين: ٤١٨، بحار الأنوار: ٧٢ / ٣١٥ / ١٥.

أفضل من الآخرين من دون منازِع ؛ فإنّه لا يعيد النظر في فكره وعمله ، ويسعى في جهله ، ويَلجّ فيه ، ويَظلّ حبيسَ حبالته .

ومن هنا قال الإمام الهادي عليه السلام :

«العُجب صارف عن طلب العلم ، داعٍ إلى التخبّط في الجهل»[١] .

وفي الواقع أنّ داء العُجب يُلقي الإنسان في الجهل المركّب حقّاً ، و«المتعمّق» ـ كما قلنا ـ يرى أنّ ما يفعله هو الأفضل ، فلِمَ التأمّل وإعادة النظر فيه إذن ؟

وتحدّث القرآن الكريم عن أمثال هذا النموذج بنحو يدعو إلى الاعتبار والاتّعاظ . قال جلّ من قائل :

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٢] . وحين تُليت هذه الآية الكريمة عند الإمام عليه السلام ، قال :

«أهل حَروراء منهم» .

وهكذا يأسر العجب الإنسان في الجهل ، والمفتون بهذا الجهل لا يرى نفسه جاهلاً أبداً ، ولا ينفكّ من هذا القيد بتاتاً ، وكلام الإمام عليه السلام في هذا الشأن معبِّر ناطق بليغ ، فقد قال عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام :

«إنّ الجاهل مَنْ عدّ نفسه ـ بما جهل من معرفة العلم ـ عالماً ، وبرأيه مكتفياً ؛ فما يزال للعلماء مباعداً ، وعليهم زارياً ، ولمن خالفه مخطّئاً ، ولعالم يعرف من الأُمور مضلِّلاً ، فإذا ورد عليه من الأُمور ما لم يعرفه أنكره وكذّب به وقال

---

(١) نزهة الناظر : ١٤٠ / ١٦ ، بحار الأنوار : ٧٢ / ١٩٩ / ٢٧ وراجع الدرّة الباهرة : ٤٢ .

(٢) الكهف : ١٠٣ و ١٠٤ .

بجهالته : ما أعرف هذا، وما أراه كان، وما أظنّ أن يكون، وأنّى كان؟! وذلك لثقته برأيه، وقلّة معرفته بجهالته. فما ينفكّ ـ بما يرى ممّا يلتبس عليه رأيه ممّا لم يعرف ـ للجهل مستفيداً، وللحقّ منكراً، وفي الجهالة متحيّراً، وعن طلب العلم مستكبراً»[1].

### ٣ ـ التكفير والاتّهام

إنّ إحدى الثمار المرّة المضرّة للتطرّف المنطلق من الجهل، والإفراط الهشّ الخاوي، و«التعمّق» في الدين، وحبّ التمحور المنبثق منه هي اتّهام الآخرين بالخروج من الدين؛ فالسطحيّون المتحجّرون الزاهون بأنفسهم العادّون سلوكهم معياراً للحقّ يحكمون على الآخرين بلا أناةٍ ولا أساس، ويقصمون ظهر كلّ من لا يفكّر تفكيرهم بعصا التكفير. وهكذا كان الخوارج، فهم الذين كانوا قد فرضوا التحكيم على الإمام عليه السلام غير آذِنين لأنفسهم بالتفكير فيه والتأمّل فيما ابتدعوه ولو قليلاً، ثمّ حملوا عصا التكفير وكفّروا الإمام عليه السلام وهو الذي كان كيان الإيمان الماثل، وصورة الحقّ المتجسّد، ومظهر الربّانيّة الرفيعة. والعجب أنّهم قد أفتوا بقتل كلّ من لم يعتقد بعقيدتهم، وأقدموا على ذلك عمليّاً، فقتلوا أشخاصاً في هذا السبيل[2]. وواصلوا نهجهم على هذا المنوال، وشرّعوا التكفير، وقالوا بكفر كلّ من يرتكب الكبيرة. ومن هنا، لمّا سُئل أحد قادتهم؛ وهو قطري بن الفُجاءة، في إحدى المعارك : هل تقاتل أم لا؟ فأجاب بالنفي، ثمّ استدرك فعزم على القتال، قال جنده : كَذَبَ وكَفَرَ. وعرّضوا به قائلين : «دابّة الله»، فحكم عليهم

(١) تحف العقول : ٧٣، بحار الأنوار : ٧٧ / ٢٠٣ / ١ نقلاً عن كتاب الرسائل للكليني.

(٢) من جملتهم عبد الله بن خباب بن الأرت، وقصّته مشهورة.

بالكفر[١].

## ٤ ـ التعصّب واللجاج

اللجاج من وحي الجهل والتعصّب الأعمى إفراز آخر من الإفرازات الخطرة للتطرّف الديني والعُجب المنبثق منه. وهكذا فالشخص المتعمّق مرتهن بحبالة الزيغ والضلال بحيث تتعذّر نجاته. من هذا المنطلق، ولمّا اتّصف به الخوارج، خاطبهم الإمام عليه السلام قائلاً:

«أيّتها العصابة التي أخرجتها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمع بها النَّزَق[٢]، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم»[٣].

وهكذا «فالمتعمّقون» و «المتعصّبون» أولو اللجاجة لم ينظروا فيما يعتقدون به قطّ، ولم يحتملوا فيه الخطأ فيرونه بحاجةٍ إلى إعادة نظر وتمحيص. من هنا صمّوا عن سماع توجيهات الإمام عليه السلام الناصحة الشفيقة، ولم يعيدوا النظر في مواقفهم حين حاورهم ابن عبّاس وغيره من رُسُل الإمام عليه السلام حواراً استدلاليّاً واعياً، بل أنّهم قد تصامّوا عن الكلام؛ لئلّا يسمعوهُ فيؤثّر فيهم. قال عبد الله بن وهب، وهو يقاتل:

«ألقوا الرماح، وسلّوا سيوفكم من جفونها؛ فإنّي أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حَروراء!».

وصرخوا بعد مناظرةٍ للإمام عليه السلام معهم قائلين: «لا تخاطبوهم ولا تكلّموهم».

---

(١) راجع الكامل للمبرّد: ٣ / ١٣٣٤.

(٢) النَّزَق: خفّة في كلّ أمر وعجلة في جهل وحمق (لسان العرب: ١٠ / ٣٥٢).

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٤.

ولمّا سمعوا احتجاج ابن عبّاس الرصين، وقد أغلق عليهم منافذ التذرّع والتشبّث، مستهدياً بالقرآن الكريم، صاحوا:

«لا تجعلوا احتجاج قريش حجّةً عليكم؛ فإنّ هذا من القوم الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1]!

وحين سمعوا أجوبته القويّة في حوار آخر وعَيَوا عن ردّه، رفعوا عقيرتهم بوجهه مخاطبين إيّاه بقولهم:

«أمْسِكْ عنّا غَرْب لسانك يا ابن عبّاس؛ فانّه طلق ذلق غوّاص على موضع الحجّة!».

وعلى هذا فالخوارج ـ وبعنوان آخر «القرّاء»، وأخيراً «المتعمّقون» في الدين، وفيما نتج عنهم من الإفراط، والتطرّف، والجهل، واللجاجة ـ قد ظلّوا على كفرهم، وصاروا مصدراً للغيّ والضياع في المجتمع الإسلامي.

---

(١) الزخرف: ٥٨.

ينبغي في الختام ألّا نغفل عن نقطةٍ في تحليل فتنة الخوارج واستقصاء جذورها، وتتمثّل هذه النقطة في دور المتغلغلين بخاصّة «القاسطين» في انحراف «المارقين»، مع تذكيرنا بصعوبة العثور على وثائق تاريخيّة لإثبات هذا الموضوع نتيجةً للسرّيّة الموجودة في هذا المجال بشكل طبيعيّ، بَيْد أنّنا يتسنّى لنا أن نبلغ ما نصبوا إليه إلى حدٍّ ما عبر قرائن معيّنة، ومن هذه القرائن التي يمكن أن تساعد الباحث في هذا الحقل: دراسة دور الأشعث بن قيس في هذه الفتنة[١].

إنّ التأمّل في النصوص التاريخيّة، لاسيّما فيما ذكره كتاب «وقعة صفّين» الثمين حول الأشعث وموقفه في ذروة القتال يوم صفّين وما بعده لا يدع مجالاً للشكّ في أنّه لم يرتبط بالإمام عليه السلام ولم يُوالِه قطّ، وأنّه كان عنصراً متغلغلاً عميلاً لمعاوية في جيشه عليه السلام، ويعود ذلك إمّا لإقالته عن ولاية آذربايجان[٢]، وعزله عن

---

(١) راجع: القسم السادس عشر / الأشعث بن قيس.

(٢) وقعه صفّين: ٢١.

رئاسة قبيلته[١]، أو لتقلّباته الاعتقاديّة واضطراب عقائده الدينيّة، ممّا دفع ابن أبي الحديد أن يقول:

«كلّ فسادٍ كان في خلافة عليّ عليه السلام وكلّ اضطراب حدث فأصله الأشعث»[٢].

وكان الأشعث متّهماً بارتباطه بمعاوية، وهو نفسه كان منتبهاً إلى هذه النقطة، حذِراً منها، وكان يحاول ألّا يعمل ما يفضحه ويكشف للناس حقيقته، وقد راودته فكرة التوجّه إلى معاوية بعد عزله، فمنعه قومه من ذلك[٣]. وارتباطاته مع معاوية، وحواره مع رُسُله إليه دليل على نفاقه[٤].

وعندما احتدم القتال، وتضعضع جيش معاوية، ولاحت في الأُفق بشائر آيات النصر لجيش الإمام عليه السلام، خطب الأشعث بقبيلته، وأفزعهم ذاكراً ترمّل النساء ويُتم الأطفال، فبان وهن عجيب في صفوفهم[٥]. ولمّا رفع أصحاب معاوية المصاحف بمكيدة ابن العاص، خطب الأشعث وأكره الإمام عليه السلام على قبول التحكيم[٦]. وحينما وافق الإمام على التحكيم، واختار مالك الأشتر أو عبد الله بن عبّاس ممثّلاً عنه، عمل الأشعث بكلّ ماله من قوّة للحيلولة دون ذلك[٧]. ولمّا كُتِب نصّ التحكيم رفعه أمام الجيش، فصاح بعض الأفراد قائلين: لا حكم إلّا

---

(١) وقعة صفّين: ١٣٧ ـ ١٣٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٧٩ وليُتأمّل في تتمّة كلام ابن أبي الحديد.

(٣) وقعة صفّين: ٢١.

(٤) وقعة صفّين: ٤٠٨، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٨٨.

(٥) وقعه صفّين: ٤٨١.

(٦) وقعة صفّين: ٤٨٢.

(٧) وقعة صفّين: ٤٩٩.

لله[١]. و بعد أن انكشفت أسرار المؤامرة قليلاً هبّ أولئك المخدوعون فاتّهموا عليّاً عليه السلام بالإثم، وطلبوا منه أن يتوب. وعندما أراد عليه السلام أن يُخمد نار الفتنة بأُسلوب لطيف، ويُعبّئ الناس نحو الشام واصل الأشعث إثارته للفتنة، وحاول أن يُرجع المخدوعين الذين كانوا عازمين على الذهاب مذعنين بالحقّ إلى موضعهم الأوّل، فزاد بذلك إيقاد الفتنة[٢].

وهكذا زرع الأشعث بذرة الفتنة، واتّخذ سبيله مع أشخاص كثيرين، وخرج من جيش الإمام عليه السلام، وقصد الكوفة.

وكان الأشعث ملوّث النفس، سقيم الفكر، ذا موقفٍ معادٍ، واستطاع أن يمارس دوراً خبيثاً مؤثّراً في إثارة الفتنة إبّان حرب النهروان. وكان يتّخذ المواقف من منطلق الأهواء، والميول المادّية، والعصبيّات القَبَليّة متلبّساً برداء المعايير الإلهيّة والإنسانيّة، وحريّ بالذكر أيضاً أنّ الإمام عليه السلام عندما اختار عبد الله بن عبّاس للتحكيم قال الأشعث: لا والله، لا يحكم فيها مُضريّان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مُضَر، فقال عليّ: إنّي أخاف أن يُخدع يمنيُّكم؛ فإنّ عمراً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمرٍ هوى.

فقال الأشعث: واللهِ لأنْ يحكما ببعض ما نكره وأحدُهما من أهل اليمن، أحبُّ إلينا من أن يكون بعض ما نحبّ في حكمهما وهما مُضَريّان.

وهكذا فالعصبيّة القبليّة والعريكة الجاهليّة التي كان عليها الأشعث وعدد من

---

(١) وقعة صفّين: ٥١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٨٠.

أصحابه هي التي أوقدت فتنة النهروان بعد تلك الأحداث، ممّا أدّى إلى أن يُقرَن رجل أحمق غير واعٍ كأبي موسى الأشعري اليمني إلى رجل محتال ماكر مـثير للفتن كعمرو بن العاص، ويبدّل من بعدها مجرى التاريخ الإسلامي!

## ١ / ١

# أسماء مسعّري الحرب

وصفت النصوص التاريخيّة والحديثية مثيري حرب النهروان بخمس صفات، هي:

### ١ ـ المارقون

أوّل من نعتهم بهذا الاسم هو رسول الله ﷺ، وذلك أنّه كان يرى بالبصيرة الإلهيّة بأنّ هذه الفئة بسبب تطرّفها الديني تمرق من الدين بسرعة بحيث لا يبقى عليها أيّ أثر من الآثار الحقيقيّة للدين؛ فقال في هذا المجال: «يمرقون من الدين[1] مروق السهم من الرميّة؛ فينظر الرامي إلى سهمه، إلى نصله، إلى رصافه، فيتمارى

(١) «يمرقون من الدين ...» أي يجوزونه ويخرقونه ويتعدّونه كما يخرق السهم الشيء المرميّ به ويخرج منه. ومنه حديث عليّ: «أُمرت بقتال المارقين» يعني الخوارج (النهاية: ٤ / ٣٢٠).

في الفوقة هل علق بها من الدم شيء»[١].

## ٢ ـ الحروريّة

اما سبب تسميتهم بالحروريّة فقد أورد المبرّد في كتابه «الكامل» ما يلي:

وكان سبب تسميتهم الحروريّة أنّ عليّاً رضوان الله عليه لمّا ناظرهم ـ بعد مناظرة ابن عبّاس إيّاهم ـ كان فيما قال لهم:

«ألا تعلمون أنّ هؤلاء القوم لمّا رفعوا المصاحف قلتُ لكم: إنّ هذه مكيدة ووهن، وأنّهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني[٢]. ثم سألوني التحكيم، أفعلمتم أنّه ما كان منكم أحد أكره لذلك منّي؟ قالوا: اللهمّ نعم... فرجع معه منهم ألفان من حَرُوراء، وقد كانوا تجمّعوا بها. فقال لهم عليّ: ما نسمّيكم؟ ثمّ قال: أنتم الحروريّة؛ لاجتماعكم بحروراء»[٣].

## ٣ ـ الشُراة

وهذا الاسم يحمل معنيين متضادّين:

أ ـ مأخوذ من «شَرَى» بمعنى «غضب» وقيل في معناه: سُمّوا بذلك لأنَّهم غضبوا ولَجّوا[٤].

---

(١) صحيح البخاري: ٦ / ٢٥٤٠ / ٦٥٣٢، صحيح مسلم: ٢ / ٧٤٣ / ١٤٧ كلاهما عن أبي سعيد، سنن أبي داود: ٤ / ٢٤٣ / ٤٧٦٥ عن أبي سعيد وأنس بن مالك، مسند ابن حنبل: ٤ / ١٢١ / ١١٥٧٩ عن أبي سعيد ومالك وكلاهما نحوه.

(٢) في شرح نهج البلاغة: «لأتَوني».

(٣) الكامل للمبرّد: ٣ / ١٠٩٩، شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٧٤؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٥٠ وراجع مروج الذهب: ٢ / ٤٠٥.

(٤) تاج العروس: ١٩ / ٥٦٨، لسان العرب: ١٤ / ٤٢٩.

ب ـ مأخوذ من «شَرَى» بمعنى «باع». وكان الخوارج يعتبرون أنفسهم «شُراة» بهذا المعنى، بزعمهم أنّهم شروا دنياهم بالآخرة، وأنّهم مصداق للآية الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1][2].

وقال عليّ عليه السلام في ردّ هذه التصوّر الجاهل: بل إنّهم مصداق لهذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3].

## ٤ ـ الخوارج

وهذا الاسم من الأسماء المعروفة لمثيري حرب النهروان، وسمُّوا بهذا الاسم لخروجهم عن طاعة الإمام عليّ عليه السلام وتمرّدهم على حكمه[4].

## ٥ ـ البُغاة

البُغاة: مشتق من البغي بمعنى التعدّي والظلم والفساد. فعندما سُئِل عليّ عليه السلام عن أصحاب النهروان هل هم مشركون أم منافقون؟ سمّاهم بغاة. ولهذه التسمية جذر قرآني حيث يقول الباري تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[5].

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) تاج العروس: ١٩/ ٥٦٨، لسان العرب: ١٤/ ٤٢٩.

(٣) الكهف: ١٠٣ و ١٠٤.

(٤) مجمع البحرين: ١/ ٥٠٢.

(٥) الحجرات: ٩.

وممّا ينبغي الالتفات إليه في هذا المضمار أنّ الأسماء الثلاثة الأُول خاصّة بأصحاب النهروان، أمّا لفظتي: «الخوارج» و «البُغاة» فلا تختصّان بهم، وإنّما تشملان الناكثين والقاسطين أيضاً، وكلّ من يتمرّد على الإمام العادل.

## ١ / ٢

## إخبار النبيّ عن خصائصهم ومصيرهم

٢٦٢٧ ـ رسول الله ﷺ ـ في الحروريّة ـ: يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرَّمِيَّة[١][٢].

٢٦٢٨ ـ عنه ﷺ: إنَّ أقواماً يتعمّقونَ في الدِّين، يمرقونَ كما يمرقُ السَّهمُ مِن الرَّمِيَّة[٣].

٢٦٢٩ ـ صحيح البخاري عن أبي سلمة وعطاء بن يسار: إنّهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحَرُورِيّة: أسمعت النبيّ ﷺ؟ قال: لا أدري ما الحروريّة؟ سمعت النبيّ ﷺ يقول: يخرج في هذه الأُمّة ـ ولم يقل منها ـ قوم تحقرون صلاتكم، مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم، يمرقون

(١) الرَّمِيّة: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك. وقيل: هي كلّ دابّة مرميّة (النهاية: ٢ / ٢٦٨).

(٢) صحيح البخاري: ٦ / ٢٥٤٠ / ٦٥٣٣ عن عبد الله بن عمر، مسند ابن حنبل: ٤ / ٦٧ / ١١٢٨٥ و ص ١٣٧ / ١١٦٤٨ و ص ١٤٦ / ١١٦٩٥، سنن النسائي: ٥ / ٨٨، سنن أبي داود: ٤ / ٢٤٣ / ٤٧٦٤ والخمسة الأخيرة عن أبي سعيد الخدري و ص ٢٤٤ / ٤٧٦٧ عن سويد بن غفلة و ح ٤٧٦٨ عن زيد بن وهب الجهني وكلاهما عن الإمام عليّ ﷺ عنه ﷺ، سنن ابن ماجة: ١ / ٥٩ / ١٦٨ عن عبد الله بن مسعود؛ الإيضاح: ٤٩، العمدة: ٤٦٤ / ٩٧٣ عن سهل بن حنيف.

(٣) مسند ابن حنبل: ٤ / ٣١٨ / ١٢٦١٥ عن أنس بن مالك، كنز العمّال: ١١ / ٢٨٨ / ٣١٥٤٣ نقلاً عن ابن جرير.

من الدين مروق السهم من الرَّمِيّة فينظر الرامي إلى سهمه، إلى نَصْله، إلى رِصافِهِ[١]، فيتمارى[٢] في الفُوْقَة[٣]، هل علق بها من الدم شيء[٤][٥].

**٢٦٣٠ ـ صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري:** إنّ النبيّ ﷺ ذكر قوماً يكونون في أُمّته يخرجون في فرقة من الناس، سيماهم التحالُق، هم شرّ الخلق ـ أو من أشرّ الخلق ـ يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحقّ[٦].

**٢٦٣١ ـ صحيح مسلم عن أبي ذرّ:** قال رسول الله ﷺ: إنّ بعدي من أُمّتي ـ أو سيكون بعدي من أُمّتي ـ قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمِيّة، ثمّ لا يعودون فيه. هم شرّ الخلق والخليقة[٧][٨].

---

(١) الرِّصاف: عَقَبٌ يُلوى على مدخل النصل فيه (النهاية: ٢ / ٢٢٧).

(٢) تَماري: شكّ (لسان العرب: ١٥ / ٢٧٨).

(٣) الفُوْق من السهم: موضع الوتر (لسان العرب: ١٠ / ٣١٩).

(٤) أراد أنّه أنفذ سهمه في الرميّة حتى خرج منها ولم يعلق من دمها بشيء لسرعة مروقة (لسان العرب: ٣ / ٥٠٤).

(٥) صحيح البخاري: ٦ / ٢٥٤٠ / ٦٥٣٢، صحيح مسلم: ٢ / ٧٤٣ / ١٤٧، سنن أبي داود: ٤ / ٢٤٣ / ٤٧٦٥ عن أبي سعيد وأنس بن مالك، مسند ابن حنبل: ٤ / ١٢١ / ١١٧٥٩ عن أبي سعيد وكلاهما نحوه.

(٦) صحيح مسلم: ٢ / ٧٤٥ / ١٤٩، مسند ابن حنبل: ٤ / ١٢ / ١١٠١٨، صحيح ابن حبّان: ١٥ / ١٣٨ / ٦٧٤٠.

(٧) الخلق: الناس، والخليقة: البهائم، وقيل: هما بمعنى واحد، ويريد بهما: جميع الخلائق (النهاية: ٢ / ٧٠).

(٨) صحيح مسلم: ٢ / ٧٥٠ / ١٥٨، سنن ابن ماجة: ١ / ٦٠ / ١٧٠، سنن الدارمي: ٢ / ٦٦٠ / ٢٣٤٤، المعجم الكبير: ٥ / ٢٠ / ٤٤٦١ كلّها عن أبي ذرّ ورافع بن عمرو.

**٢٦٣٢ ـ رسول الله ﷺ** : تمرق مارقة في فُرقة من الناس ، فَيَلي قتلهم أوْلَى الطائفتين[١] بالحقّ[٢].

**٢٦٣٣ ـ عنه ﷺ** : تكون في اُمّتي فرقتان ؛ فتخرج من بينهما مارقة ، يلي قتلهم أولاهم بالحقّ[٣].

**٢٦٣٤ ـ عنه ﷺ** : إنّ فرقة تخرج عند اختلاف الناس ، تقتلهم أقرب الطائفتين بالحقّ[٤].

**٢٦٣٥ ـ سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك عن رسول الله ﷺ** : سيكون في اُمّتي اختلاف وفرقة ، قوم يُحسنون القيل ويُسيؤون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرَّمِيَّة ، لا يرجعون حتى يرتدّ على فُوْقِهِ ، هم شرّ الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يَدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم . قالوا :

---

(١) المقصود من الطائفتين هما الطائفتان المتحاربتان في صفّين.

(٢) صحيح مسلم : ٢ / ٧٤٦ / ١٥٢ وص ٧٤٥ / ١٥٠ ، سنن أبي داود : ٤ / ٢١٧ / ٤٦٦٧ ، مسند ابن حنبل : ٤ / ٦٥ / ١١٢٧٥ وص ٩٧ / ١١٤٤٨ وص ١٩٢ / ١١٩٢١ ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ٣٠١ / ١٦٧ وليس فيه «في فُرقة من الناس» وص ٣٠٢ / ١٧١ وح ١٧٠ و ١٧٢ ، السنن الكبرى : ٨ / ٢٩٤ / ١٦٦٩٥ وص ٣٢٤ / ١٦٧٧٩ كلّها عن أبي سعيد الخدري والأربعة الأخيرة نحوه.

(٣) صحيح مسلم : ٢ / ٧٤٦ / ١٥١ ، مسند ابن حنبل : ٤ / ١٥٨ / ١١٧٥٠ ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ٣٠١ / ١٦٩ كلاهما نحوه وكلّها عن أبي سعيد الخدري.

(٤) المصنّف لابن أبي شيبة : ٨ / ٧٣٧ / ٣٤ ، مسند أبي يعلى : ١ / ٢٤٩ / ٤٦٩ كلاهما عن أبي وائل عن الإمام عليّ ؑ ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ٣٠٤ / ١٧٣ عن أبي سعيد الخدري نحوه.

يا رسول الله ما سيماهم؟ قال: التحليق[١].

**٢٦٣٦ ـ رسول الله ﷺ**: يأتي في آخر الزمان قومٌ حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البريّة، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإنّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة[٢].

**٢٦٣٧ ـ المستدرك على الصحيحين عن أنس**: إنّ النبيّ ﷺ قال: سيكون في أُمّتي اختلاف وفرقة، وسيجيء قوم يُعجبونكم وتُعجبهم أنفسهم، الذين يقتلونهم أولى بالله منهم، يُحسنون القيل ويُسيؤون الفعل، ويدعون إلى الله وليسوا من الله في شيء، فاذا لقيتموهم فأنِيمُوهم[٣]. قالوا: يا رسول الله، أنْعِتهم لنا. قال: آيتهم الحلق والتسبيت. يعني استئصال التقصير، قال: والتسبيت استئصال الشعر[٤].

**٢٦٣٨ ـ مسند ابن حنبل عن سعيد بن جهمان**: كنّا نقاتل الخوارج وفينا عبد الله بن أبي أوفى وقد لحق له غلام بالخوارج، وهم من ذلك الشطّ ونحن من ذا الشطّ،

---

(١) سنن أبي داود: ٤ / ٢٤٣ / ٤٧٦٥، مسند ابن حنبل: ٤ / ٤٤٦ / ١٣٣٣٧ وزاد فيه «يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم» بعد «تراقيهم»، السنن الكبرى: ٨ / ٢٩٧ / ١٦٧٠٣، المستدرك على الصحيحين: ٢ / ١٦١ / ٢٦٤٩ نحوه؛ إعلام الورى: ١ / ٩٢ كلاهما عن أنس بن مالك.

(٢) صحيح البخاري: ٣ / ١٣٢٢ / ٣٤١٥، سنن أبي داود: ٤ / ٢٤٤ / ٤٧٦٧، السنن الكبرى: ٨ / ٣٢٥ / ١٦٧٨١، صحيح مسلم: ٢ / ٧٤٦ / ١٥٤، سنن النسائي: ٧ / ١١٩، مسند ابن حنبل: ١ / ١٧٧ / ٦١٦ كلّها عن سويد بن غفلة عن الإمام عليّ ؈، سنن الترمذي: ٤ / ٤٨١ / ٢١٨٨، سنن ابن ماجة: ١ / ٥٩ / ١٦٨، مسند أبي يعلى: ٥ / ١٧٧ / ٥٣٨٠ والثلاثة الأخيرة عن عبد الله بن مسعود والستّة الأخيرة نحوه.

(٣) أي اقتلوهم، وهو مجاز (تاج العروس: ١٧ / ٧١٧).

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٢ / ١٦٠ / ٢٦٤٨.

فناديناه : أبا فيروز ، أبا فيروز ! ويحك ! هذا مولاك عبد الله بن أبي أوفى ، قال : نِعم الرجل هو لو هاجر !

قال : ما يقول عدوّ الله ؟ قال : قلنا : يقول : نِعم الرجل لو هاجر ! قال : فقال : أ هجرة بعد هجرتي مع رسول الله ﷺ ؟ ثمّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : طوبى لمن قتلهم وقتلوه[1].

**٢٦٣٩ ـ صحيح البخاري عن يسير بن عمرو :** قلت لسهل بن حنيف : هل سمعت النبيّ ﷺ يقول في الخوارج شيئاً ؟ قال : سمعته يقول ـ وأهوى بيده قِبَل العراق ـ : يخرج منه قوم يقرؤون القرآن ، لا يُجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمِيّة[2].

**٢٦٤٠ ـ شرح نهج البلاغة :** قد تظافرت الأخبار ـ حتى بلغت حدّ التواتر ـ بما وعد الله تعالى قاتلي الخوارج من الثواب على لسان رسوله ﷺ[3].

## ١ / ٣

## روايات عائشة فيهم

**٢٦٤١ ـ السنّة عن أبي سعيد الرقاشي :** دخلت على عائشة فقالت : ما بالُ

---

(١) مسند ابن حنبل : ٧ / ٥٤ / ١٩١٧٠ وص ١٠٦ / ١٩٤٣١ ، السنّة لابن أحمد بن حنبل : ٢٧٠ / ١٤٤٧ ، الطبقات الكبرى : ٤ / ٣٠١ والثلاثة الأخيرة عن سعيد بن جمهان ، السنّة لابن أبي عاصم : ٤٢٤ / ٩٠٦ عن أبي حفص وكلّها نحوه .

(٢) صحيح البخاري : ٦ / ٢٥٤١ / ٦٥٣٥ ، صحيح مسلم : ٢ / ٧٥٠ / ١٥٩ ، مسند ابن حنبل : ٥ / ٤١٠ / ١٥٩٧٧ ، السنّة لابن أبي عاصم : ٤٢٥ / ٩٠٨ كلّها نحوه .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٦٥ .

أبي الحسن يقتل أصحابه القُرّاء ؟! قال : قلت : يا أُمّ المؤمنين ، إنّا وجدنا في القتلى ذا الثُّدَيَّة . قال : فشهقتْ أو تنفّستْ ثمّ قالت : كاتمُ الشهادة مع شاهدِ الزور ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقتل هذه العصابة خير أُمّتي[1] .

٢٦٤٢ ـ شرح نهج البلاغة عن مسروق : إنّ عائشة قالت له لمّا عرفتْ أنّ عليّاً ﷺ قتل ذا الثُّدَيّة : لعن الله عمرو بن العاص ! فإنّه كتب إليَّ يخبرني أنّه قتله بالإسكندريّة ، ألا إنّه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله ﷺ ، يقول : يقتله خير أُمّتي من بعدي[2] .

٢٦٤٣ ـ شرح نهج البلاغة عن مسروق : قالت لي عائشة : إنّك من وُلدي ، ومن أحبّهم إليَّ ، فهل عندك علم من المخدَج ؟

فقلت : نعم ، قتله عليّ بن أبي طالب على نهرٍ يقال لأعلاه : تامرّا ، ولأسفله : النهروان ، بين لَخاقيق[3] وطَرفاء .

قالت : ابغِني على ذلك بيّنة ، فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك .

فقلت لها : سألتكِ بصاحب القبر ، ما الذي سمعت من رسول الله ﷺ فيهم ؟

فقالت : نعم ، سمعته يقول : إنّهم شرّ الخلق والخليقة ، يقتلهم خير الخلق والخليقة ، وأقربهم عند الله وسيلة[4] .

---

(١) السنّة لابن أبي عاصم : ٥٨٥ / ١٣٢٧ ، المعجم الأوسط : ٧ / ٢١٠ / ٧٢٩٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٦٨ ؛ كشف الغمّة : ١ / ١٥٨ عن أبي اليسر الأنصاري نحوه ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٤٠ .

(٣) اللخاقيق : واحدها لُخقوق ؛ وهي شقوق في الأرض (لسان العرب : ١٩ / ٢٠٥) .

(٤) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٦٧ ، المناقب لابن المغازلي : ٥٦ / ٧٩ ؛ شرح الأخبار : ١ / ١٤١ / ٧٤ .

## ١ / ٤

# المارقون من وجهة نظر الإمام

**٢٦٤٤ ـ الإمام الحسين عن الإمام عليّ عليه السلام :** أنّه سئل عن أهل النهروان[١] أمشركين كانوا ؟ قال : من الشرك فرّوا ، فقيل : يا أمير المؤمنين ، منافقين كانوا ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلّا قليلاً ، فقيل له : فما هم ؟ قال : قوم بغَوا علينا ، فنصرَنا الله عليهم[٢].

**٢٦٤٥ ـ الفتوح عن حبيب بن عاصم الأزدي ـ للإمام عليّ عليه السلام ـ :** يا أمير المؤمنين ، هؤلاء الذين نقاتلهم ، أكفّارٌ هم ؟

فقال عليّ : من الكفر هربوا ، وفيه وقعوا . قال : أفمنافقون ؟ فقال عليّ : إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلّا قليلاً . قال : فما هم يا أمير المؤمنين حتى اُقاتلهم على

---

⇔ كشف الغمّة : ١ / ١٥٩ ، المناقب للكوفي : ٢ / ٣٦١ / ٨٣٩ وص ٥٣٤ / ١٠٣٥ كلّها نحوه وراجع فتح الباري : ١٢ / ٢٨٦ ومجمع الزوائد : ٦ / ٣٥٩ / ١٠٤٤٧ وبشارة المصطفى : ٢٤١ وعوالي اللآلي : ٤ / ٨٧ / ١١٠ والمسترشد : ٢٨١ / ٩٢ وشرح الأخبار : ٢ / ٥٩ / ٤٢١ وص ٦٤ / ٤٢٨ .

(١) نهروان : هي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدّها الأعلى متّصل ببغداد ، وفيها عدّة بلاد متوسّطة ، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع الخوارج مشهورة (معجم البلدان : ٥ / ٣٢٤).

(٢) الجعفريّات : ٢٣٤ ، مسند زيد : ٤١٠ وفيه «أهل الجمل وصفّين وأهل النهروان» بدل «أهل النهروان» ؛ السنن الكبرى : ٨ / ٣٠٢ / ١٦٧٢٢ عن شقيق بن سلمة ، المصنّف لابن أبي شيبة : ٨ / ٧٤٣ / ٦٢ عن طارق بن شهاب ، تفسير القرطبي : ١٦ / ٣٢٣ عن الحارث الأعور وفيه «أهل البغي من أهل الجمل وصفّين» بدل «أهل النهروان» ، البداية والنهاية : ٧ / ٢٩٠ عن علقمة بن عامر والأربعة الأخيرة من دون إسنادٍ إلى المعصوم وكلّها نحوه .

بصيرة ويقين ؟ فقال عليّ : هم قوم مرقوا من دين الإسلام، كما مرق السهم من الرمِيّة ؛ يقرؤون القرآن فلا يتجاوز تراقيهم، فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه[١].

٢٦٤٦ـ المستدرك على الصحيحين عن عامر بن واثلة : سمعت عليّاً عليه السلام قام فقال : سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي.

فقام ابن الكوّاء فقال : مَن ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[٢] ؟ قال : منافقو قريش قال : فمَن ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ؟[٣]

قال : منهم أهل حَرَوْراء[٤][٥].

٢٦٤٧ ـ الكامل للمبرّد : إنّ عليّاً عليه السلام تُلي بحضرته : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٦] فقال عليّ : أهل حَرَوْراء منهم[٧].

---

(١) الفتوح : ٤ / ٢٧٢.

(٢) إبراهيم : ٢٨.

(٣) الكهف : ١٠٤.

(٤) حَرَوْراء : قيل : هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل : موضع على ميلين منها ؛ نزل به الخوارج الذين خالفوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فنسبوا إليها (معجم البلدان : ٢ / ٢٤٥).

(٥) المستدرك على الصحيحين : ٢ / ٣٨٣ / ٣٣٤٢، السنّة لابن أحمد بن حنبل : ٢٧٨ / ١٤٤٣ نحوه، المناقب لابن المغازلي : ٥٨ / ٨٤ وفيه «ويلك هم أهل حَرَوراء» ؛ العمدة : ٤٦١ / ٩٦٧ كلّها نحوه وراجع تفسير الطبري : ٩ /الجزء ١٦ / ٣٤.

(٦) الكهف : ١٠٣ و ١٠٤.

(٧) الكامل للمبرّد : ٣ / ١١٠٧، المعيار والموازنة : ٢٩٩، تفسير الطبري : ٩ /الجزء ١٦ / ٣٤ عن أبي الطفيل نحوه ؛ بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٥٢.

**٢٦٤٨ـ نهج البلاغة**: سمع عليٌّ عليه السلام رجلاً من الحروريّة يتهجّد ويقرأ، فقال: نوم على يقين خير من صلاة في شكّ[1].

**٢٦٤٩ـ إرشاد القلوب**: إنّه [عليّاً عليه السلام] خرج ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجّهاً إلى داره وقد مضى ربع من الليل ومعه كميل بن زياد ـ وكان من خيار شيعته ومحبّيه ـ فوصل في الطريق إلى باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت، ويقرأ قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[2]، بصوت شجيّ حزين، فاستحسن ذلك كميل في باطنه، وأعجبه حال الرجل من غير أن يقول شيئاً، فالتفت إليه عليه السلام وقال: يا كميل، لا تعجبك طنطنة الرجل، إنّه من أهل النار وسأُنبّئك فيما بعد، فتحيّر كميل لمشافهته له على ما في باطنه، وشهادته للرجل بالنار مع كونه في هذا الأمر، وفي تلك الحالة الحسنة ظاهراً في ذلك الوقت، فسكت كميل متعجّباً متفكّراً في ذلك الأمر.

ومضى مدّة متطاولة إلى أن آل حال الخوارج إلى ما آل، وقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام، وكانوا يحفظون القرآن كما أُنزل، والتفت أمير المؤمنين إلى كميل بن زياد وهو واقف بين يديه والسيف في يده يقطر دماً، ورؤوس أُولئك الكفرة الفجرة محلّقة على الأرض، فوضع رأس السيف من رأس تلك الرؤوس، وقال: يا كميل ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ أي هو ذلك الشخص الذي

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٩٧، خصائص الائمّة عليهم السلام: ٩٥ وراجع عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٧/ ٩١٦٣ وغرر الحكم: ٩٩٥٨ وكنز العمّال: ٣/ ٨٠٠/ ٨٨٠١.

(٢) الزمر: ٩.

كان يقرأ في تلك الليلة فأعجبك حاله. فقبّل كميل مقدّم قدميه واستغفر الله[١].

**٢٦٥٠ ـ الإمام عليّ** عليه السلام : إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل[٢].

## ٥/١

## مباهات الإمام بقتالهم

**٢٦٥١ ـ الإمام عليّ** عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ... يا عليّ ! أنت منّي وأنا منك ، يا عليّ ! لولا أنت لَما قوتل أهل النهر ، فقلت : يا رسول الله ! ومن أهل النهر ؟ قال : قوم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة[٣].

**٢٦٥٢ ـ عنه** عليه السلام : أنا فقأت عين الفتنة[٤].

**٢٦٥٣ ـ عنه** عليه السلام : أمّا بعد حمد الله والثناء عليه ، أيّها الناس ! فإنّي فقأت عين الفتنة ، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري بعد أن ماج غَيْهَبُها ، واشتدّ كَلَبُها[٥] [٦].

---

(١) إرشاد القلوب : ٢٢٦ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٩٩ / ٦٢٠.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٢ ، الاحتجاج : ١ / ٤٤٠ / ١٠٠ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٦٩ / ٦٠٠.

(٣) الأمالي للطوسي : ٢٠٠ / ٣٤١ ، إرشاد القلوب : ٢٥٥ ، كشف الغمّة : ٢ / ٢٠ كلّها عن زيد بن عليّ عن آبائه عليهم السلام .

(٤) المصنّف لابن أبي شيبة : ٨ / ٦٩٨ / ٨١ عن المنهال بن عمرو ، تاريخ دمشق : ٤٢ / ٤٧٤ عن زاذان ، حلية الأولياء : ١ / ٦٨ عن ذرّ ؛ تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٩٣ ، الغارات : ١ / ٦ عن زرّ بن حبيش ، المناقب لابن شهر آشوب : ٢ / ١٤٤ وزاد في آخره «لم يكن ليفقأها غيري».

(٥) الكَلَب : داء معروف يصيب الكلاب ، فكلّ من عضّته أُصيب به فجُنّ ومات إن لم يبادر بالدواء (صحاح الصالح).

(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٩٣ ، بحار الأنوار : ٤١ / ٣٤٨ / ٦١ ؛ ينابيع المودّة : ٣ / ٤٣٣ / ٣.

**٢٦٥٤ ـ عنه** عليه السلام: أنا فقأت عين الفتنة، ولولا أنا ما قوتل أهل النهروان، وأهل الجمل، ولولا أنّي أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله عزّ وجلّ على لسان نبيّكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مبصراً لضلالهم عارفاً بالهدى الذي نحن عليه[1].

**٢٦٥٥ ـ الغارات عن زرّ بن حبيش:** خطب عليّ عليه السلام بالنهروان... فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس! أمّا بعد؛ أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن أحد ليجترئ عليها غيري... ولو لم أكُ فيكم ما قوتل أصحاب الجمل، وأهل النهروان. وآيم الله، لولا أن تتكلوا، وتَدَعوا العمل، لحدّثتكم بما قضى الله على لسان نبيّكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم، عارفاً للهدى الذي نحن عليه[2].

## ٦ / ١

## نهي الإمام عن قتالهم بعده

**٢٦٥٦ ـ نهج البلاغة:** قال عليه السلام: لا تُقاتلوا الخوارج بعدي؛ فليس مَن طلب الحقّ فأخطأه كمَنْ طَلَبَ الباطلَ فأدركه.

قال الشريف الرضي: يعني معاوية وأصحابه[3].

---

(١) خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٨٨/٣٢٤، السنّة لابن أحمد بن حنبل: ١٤٢١/٢٧٣، حلية الأولياء: ٤/١٨٦؛ الغارات: ١/١٦ كلّها عن زرّ بن حبيش.

(٢) الغارات: ١/٤، تاريخ اليعقوبي: ٢/١٩٣ نحوه وليس فيه من «وآيم الله...»، كشف الغمّة: ١/٢٤٤، كتاب سليم بن قيس: ٢/٧١٢/١٧ وزاد فيه «ولا أهل صفّين» بعد «أصحاب الجمل»، شرح الأخبار: ٢/٣٩/٤١٠ وزاد فيه «ولا أهل الشام» بعد «أصحاب الجمل» و ص ٢٨٦/٦٠١ عن أبي مريم الأنصاري؛ شرح نهج البلاغة: ٧/٥٧ وفيه من «ولم يكن أحد ليجترئ...».

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٦١، بحار الأنوار: ٣٣/٤٣٤. قال ابن أبي الحديد: «مرادهُ أنَّ الخوارج ضلّوا

⇔

**٢٦٥٧ ـ الإمام الباقر عليه السلام** : ذُكرت الحرورية عند عليّ عليه السلام قال : إن خرجوا مع جماعة أو على إمام عادل فقاتلوهم ، وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم ؛ فإنّ لهم في ذلك مقالاً(١).

**٢٦٥٨ ـ عبد الله بن الحارث عن رجلٍ من بني نضير بن معاوية** : كنّا عند عليّ فذكروا أهل النهر ، فسبّهم رجل فقال عليّ : لاتسبّوهم ، ولكن إن خرجوا على إمام عادل فقاتلوهم ، وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم ؛ فإنّ لهم بذلك مقالاً(٢).

## ١ / ٧

## هويّة رؤسائهم

انبثق الخوارج من قلب فئة كانت تسكن الكوفة وتعرف باسم «القراء». وجاءت نشأتهم في ظل مشاعر جيّاشة استفحلت في الأيّام الأخيرة من معركة صفّين، ولم تأتِ من نوازع قائمة على التفكير والتعقّل. كان زمام قيادتهم

---

⇐ بشبهةٍ دخلت عليهم ، وكانوا يطلبون الحقّ ، ولهم في الجملة تمسُّك بالدين ، ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها ، وإنْ أخطؤوا فيها ، وأمَّا معاوية فلم يكن يطلب الحقّ وإنّما كان ذا باطل ، لا يحامي عن اعتقاد قد بناه على شبهة . وأحواله كانت تدلُّ على ذلك . فإنَّه لم يكن من أرباب الدين ، ولا ظهر عنه نسك ، ولا صلاح حالٍ ، وكان مترفاً يُذهب مال الفيء في مآربه وتمهيد ملكه ، ويصانع به عن سلطانه .

وكانت أحواله كلُّها مؤذنة بانسلاخه عن العدالة ، وإصرار على الباطل ، وإذا كان كذلك لم يجز أنْ ينصر المسلمون سلطانه ، وتحارب الخوارج عليه وإنْ كانوا أهل ضلالٍ ، لأنَّهم أحسن حالاً منه ، فإنَّهم كانوا ينهون عن المنكر ، ويرون الخروج على أئمّة الجور واجباً» (شرح نهج البلاغة : ٥ / ٧٨).

(١) علل الشرائع : ٣ / ٦٠٣ / ٧١، تهذيب الأحكام : ٦ / ١٤٥ / ٢٥٢ كلاهما عن السكوني عن الإمام الصادق عليه السلام وفيه «على إمام عادل أو جماعة» بدل «مع جماعة أو على إمام عادل».

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة : ٨ / ٧٣٧ / ٣٦، كنز العمّال : ١١ / ٣٢٠ / ٣١٦٢١ نقلاً عن ابن جرير و ح ٣١٦٢٠ نقلاً عن خشيش في الاستقامة وابن جرير نحوه ؛ المناقب للكوفي : ٢ / ٣٣٢ / ٨٠٧.

العسكريّة بيد شبث بن ربعي، فيما كان زمام زعامتهم الدينيّة والفكريّة بيد عبد الله ابن الكوّاء.

وفي أعقاب تقلّص حدّة المشاعر، ومن بعد المناظرات والاحتجاجات التي أجراها معهم الإمام عليّ عليه السلام وعبد الله بن عبّاس، انشقَّ هذان الشخصان عن الخوارج وعادا إلى جيش الإمام عليّ عليه السلام، وكانا في عداد جيشه عند اضطرام معركة النهروان، وتولّى شبث بن ربعي قيادة ميسرة جيش الإمام. وأخذ بزمام قيادة الخوارج فيما بعد أفراد من عامّة الناس ومن مجاهيلهم، ولا تتوفّر بين أيدينا معلومات عنهم.

وقد وردت أسماء أشخاص مثل شريح بن أوفى، وزيد بن الحصين، وحمزة بن سنان في عداد الشخصيّات البارزة للخوارج، ولكن لا تتوفّر لدينا معلومات عن حياتهم وسيرتهم.

## ١ / ٧ ـ ١

## حرقوص بن زهير

كان حرقوص من الصحابة[١]، ولكنّه خاوٍ من الاعتقاد الراسخ. وقد ذكرنا كلمته البذيئة النابية لرسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة حنين، إذ قال له: اعدِلْ يا محمّد! وكذلك جواب النبيّ صلى الله عليه وآله له[٢]. أمره عمر بن الخطّاب بقمع التمرّد الذي قام به

---

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٧٦، أُسد الغابة: ١ / ٧١٤ / ١١٢٧ وج ٢ / ٢١٤ / ١٥٤١ وفيه «اسمه الآخر: ذو الخُوَيصرة، وذو الثدية»، الإصابة: ٢ / ٤٤ / ١٦٦٦ وفيه «عدّ هذين اسمين لشخصين». ولمزيد الاطّلاع على مختلف الأقوال في هذه المسألة راجع فتح الباري: ١٢ / ٢٩٢.

(٢) صحيح البخاري: ٣ / ١٣٢١ / ٣٤١٤، صحيح مسلم: ٢ / ٧٤٤ / ١٤٨.

الهرمزان في خوزستان، فنجح في مهمّته[١]. وشارك في الثورة على عثمان. وهمّ أصحاب الجمل بقتله، لكنّه استطاع الفرار من أيديهم[٢].

كان في عداد أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيّام خلافته، لكنّه انخدع بمكيدة عمرو بن العاص في صفّين، ووقف بوجه الإمام عليه السلام، وقام بدور مهمّ في فرض التحكيم، بما كان يحمله من أرضيّة فكريّة وروحيّة منحرفة كما أشرنا إلى ذلك سلفاً.

وكان عنصراً مؤثّراً أيضاً في تنظيم الخوارج لحرب الإمام عليه السلام.

كما كان متشدّداً في عدائه له وحقده عليه[٣]. وهو وإن رفض الإمارة على أصحاب النهروان، لكنّه كان على رجّالتهم في تلك المعركة[٤]. ثمّ قتله الإمام عليه السلام فيها[٥]. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبر بهلاكه في النهروان، وعن كيفيّة ذلك. وبعد معركة النهروان قال الإمام عليه السلام: اطلبوه، فلم يجدوه، فقال عليه السلام مؤكّداً: ارجِعوا، فوالله ما كَذبتُ ولا كُذِّبتُ مرّتين أو ثلاثاً ثمّ وجدوه في خربة[٦].

فهذا التأكيد دليل على حقّانيّة الإمام عليه السلام من جهة، وعلى انحراف الخوارج وضلالهم الثابت من جهة أُخرى، وهو خطوة لتثبيت قلوب أصحاب الإمام عليه السلام

---

(١) أُسد الغابة: ١ / ٧١٤ / ١١٢٧، الإصابة: ٢ / ٤٤ / ١٦٦٦، تاريخ الطبري: ٤ / ٧٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٧٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٥، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٥، الأخبار الطوال: ٢١٠، البداية والنهاية: ٧ / ٢٨٩.

(٥) كشف الغمّة: ١ / ٢٦٦؛ الفتوح: ٤ / ٢٧٣.

(٦) صحيح مسلم: ٢ / ٧٤٩ / ١٥٧، تاريخ بغداد: ١٠ / ٣٠٥ / ٥٤٥٣، البداية والنهاية: ٧ / ٢٩٢.

الذين كان قد شقّ عليهم قتال أُناس يتظاهرون بالزهد والعبادة. وهكذا أصحر الإمامعليه السلام بحقّه وثبات خُطاه هو وأصحابه مراراً في معركة النهروان.

**٢٦٥٩ ـ الإرشاد:** لمّا قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم حنين، أقبل رجل طوال آدَم أجنأ[١]، بين عينيه أثر السجود، فسلّم ولم يخصّ النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم. قال: وكيف رأيت؟ قال: لم أرَك عدلت! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ويلك! إذا لم يكن العدل عندي فعند مَن يكون؟! فقال المسلمون: ألا نقتله؟ فقال: دعوه؛ سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، يقتلهم الله على يد أحبّ الخلق إليه من بعدي. فقتله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج[٢].

**٢٦٦٠ ـ صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله:** أتى رجل رسولَ الله صلى الله عليه وآله بالجِعْرانة منصرَفَه من حنين وفي ثوب بلال فضّةٌ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقبض منها، يُعطي الناس، فقال: يا محمّد! اعدل. قال: ويلك! ومن يعدل إذا لم أكُن أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر بن الخطّاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال: معاذ الله أن يتحدّث الناس أنّي أقتل أصحابي، إنّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرميّة[٣].

---

(١) الأُدمة: السُّمرة. وأجنأ: أي أحدب الظهر (لسان العرب: ١٢ / ١١ وج ١ / ٥٠).

(٢) الإرشاد: ١ / ١٤٨، إعلام الورى: ١ / ٣٨٧، كشف الغمّة: ١ / ٢٢٥.

(٣) صحيح مسلم: ٢ / ٧٤٠ / ١٤٢، السنن الكبرى للنسائي: ٥ / ٣١ / ٨٠٨٧، المعجم الأوسط: ٩ / ٣٤ / ٩٠٦٠، مسند ابن حنبل: ٥ / ١٢٨ / ١٤٨١٠، صحيح ابن حبّان: ١١ / ١٤٨ / ٤٨١٩ كلاهما نحوه.

**٢٦٦١ ـ السنّة عن عبد الله بن عمرو بن العاص :** أتاه رجل ـ يعني النبيّ ﷺ ـ وهو يقسم تبراً يوم حنين ، فقال : يا محمّد ! اعدل ، فقال : ويحك ! إن لم أعدل عند من يُلتمس العدل ؟ ثمّ قال : يوشك أن يأتي قوم مثل هـذا يسألون كـتاب الله وهـم أعداؤه ، يقرؤون كتاب الله ، محلّقة رؤوسهم ، إذا خرجوا فاضربوا أعناقهم[1].

**٢٦٦٢ ـ صحيح البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن :** إنّ أبا سعيد الخدري قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قَسْماً ، أتاه ذو الخويصرة ـ وهو رجل من بني تميم ـ فقال : يا رسول الله ! اعدل ، فقال : ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خِبت وخسرت إن لم أكُن أعدل .

فقال عمر : يا رسول الله ، ائذن لي فيه فأضرب عنقه ؟

فقال : دعْه ؛ فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صـلاتهم ، وصـيامه مـع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السـهم من الرميّة .

ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثمّ ينظر إلى رِصافه فما يوجد فيه شيء ، ثمّ ينظر إلى نضيّه ـ وهو قِدْحه[2] ـ فلا يوجد فيه شيء ، ثمّ ينظر إلى قذذه[3] فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم .

آيتهم رجل أسود ، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تـدردر ، ويخرجون على حين فرقة من الناس .

---

(١) السنّة لابن أبي عاصم : ٤٤٦ / ٩٤٤ ، المستدرك عـلى الصـحيحين : ٢ / ١٥٩ / ٢٦٤٤ نـحوه ، كـنز العمّال : ١١ / ٣١٦ / ٣١٦١٠ نقلاً عن ابن جرير .

(٢) القِدْح : السهم (النهاية : ٤ / ٢٠) .

(٣) القُذَذ : ريش السهم (لسان العرب : ٣ / ٥٠٤) .

قال أبو سعيد: فأشهد أنّي سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمِس، فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت النبيّ ﷺ الذي نعته[1].

**٢٦٦٣ ـ الكامل للمبرّد**: يُروى أنّ رجلاً أسود شديد بياض الثياب وقف على رسول الله ﷺ وهو يقسم غنائم خيبر ـ ولم تكن إلّا لمن شهد الحديبية ـ فأقبل ذلك الأسود على رسول الله ﷺ، فقال: ما عدلتَ منذ اليوم!

فغضب رسول الله ﷺ حتى رؤي الغضب في وجهه، فقال عمر بن الخطّاب: ألا أقتله يا رسول الله؟

فقال: إنّه سيكون لهذا ولأصحابه نبأ.

قال أبو العباس: وفي حديث آخر: إنّ رسول الله ﷺ قال له: ويحك! فمن يعدل إذا لم أعدل؟

ثمّ قال لأبي بكر: اقتله، فمضى ثمّ رجع، فقال: يا رسول الله، رأيته راكعاً.

ثمّ قال لعمر: اقتله، فمضى ثمّ رجع، فقال: يا رسول الله، رأيته ساجداً.

ثمّ قال لعليّ: اقتله، فمضى ثمّ رجع، فقال: يا رسول الله، لم أرَه[2].

**٢٦٦٤ ـ مسند أبي يعلى عن أنس بن مالك**: كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يغزو مع رسول الله ﷺ، فإذا رجع وحطّ عن راحلته، عمد إلى مسجد الرسول، فجعل

---

(١) صحيح البخاري: ٣/١٣٢١/٣٤١٤، صحيح مسلم: ٢/٧٤٤/١٤٨، أُسد الغابة: ٢/٢١٤/١٥٤١ كلاهما عن أبي سلمة والضحّاك، مسند ابن حنبل: ٢/٦٨٠/٧٠٥٩، السيرة النبويّة لابن هشام: ٤/١٣٩ كلاهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه.

(٢) الكامل للمبرّد: ٣/١١٠٨؛ دعائم الإسلام: ١/٣٨٩ نحوه.

يُصلّي فيه فيطيل الصلاة، حتى جعل بعض أصحاب النبيّ ﷺ يرون أنّ له فضلاً عليهم. فمرّ يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في أصحابه. فقال له بعض أصحابه: يا نبي الله، هذا ذاك الرجل ـ فإمّا أرسل إليه نبي الله ﷺ، وإمّا جاء من قبل نفسه ـ فلمّا رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: والذي نفسي بيده إنّ بين عينيه سفعة[1] من الشيطان. فلمّا وقف على المجلس قال له رسول الله ﷺ: أ قلت في نفسك حين وقفت على المجلس: ليس في القوم خيرٌ منّي؟. قال: نعم![2]

## ١ / ٧ ـ ٢

## عبدالله بن وهب

تولّى قيادة الخوارج في فتنة النهروان. وليس في أيدينا معلومات تُذكَر عن ماضيه. علماً أنّه لم يَقُم بالأمر في بداية تبلور التيّار الخارجي؛ فقد كان ابن الكوّاء أمير الصلاة، وشَبَث بن رِبعيّ أمير الحرب[3]. ثمّ انفصلا عن الخوارج فيما بعد[4]، ممّا دفعهم إلى البحث عن قائد جديد لهم. وكان المرشّحون للقيادة: هم زيد بن حُصَين، وحرقوص بن زُهير، وحمزة بن سِنان، وشُريح بن أوفى، بَيْد أنّهم رفضوا ذلك، فتأمّر عبد الله بن وهب عليهم[5]. ونظّمهم من أجل الحرب، ودعاهم إليها في خُطَبه الحماسيّة، وحذّرهم من التحدّث إلى الإمام

---

(١) أي علامة (النهاية: ٢ / ٣٧٥).

(٢) مسند أبي يعلى: ٤ / ١٥٤ / ٤١١٣ وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٨٧.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٦٣، مروج الذهب: ٢ / ٤٠٥، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٣، أنساب الأشراف: ٣ / ١٢٧ وفيه «عليهم ابن الكوّاء» ولم يذكر شبث بن ربعيّ.

(٤) أنساب الأشراف: ٣ / ١٣٦، الفتوح: ٤ / ٢٥٤.

(٥) أنساب الأشراف: ٣ / ١٣٤ و ص ١٣٧، تاريخ الطبري: ٥ / ٧٥، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٩؛ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩١، كشف الغمّة: ١ / ٢٦٥.

أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب﵇، والاستماع إلى خُطَبِهِ[١].

وتدلّ بعض النصوص التاريخيّة على أنّه لم يكن ثابت العقيدة في طريقه الذي كان قد اختاره لنفسه[٢].

ونقل المؤرّخون أنّه دعا الإمام عليّاً﵇ إلى البِراز بكلّ وقاحة وصلافة، ولكنّه قُتل في اللحظات الأُولى التي واجه فيها ليث الوغى الذي لا نِدّ له[٣].

(١) صحيح مسلم: ٢ / ٧٤٨ / ١٥٦، سنن أبي داود: ٤ / ٢٤٥ / ٤٧٦٨، السنن الكبرى: ٨ / ٢٩٥ / ١٦٧٠٠؛ العمدة: ٤٦٤ / ٩٧٢.

(٢) الكامل للمبرّد: ٣ / ١١٠٥، أنساب الأشراف: ٣ / ١٤٦.

(٣) راجع: القتال / مقاتلة الإمام عبد الله بن وهب.

## ١ / ٢
# تاريخها

بعدما يقرب من سنة واحدة على واقعة صفّين، وفي وقت لم تكن قد أُخمدت فيه نيران هذه الحرب الدامية، اندلع لهيب ثالث حرب داخليّة منطلقاً هذه المرّة من داخل جيش الإمام وبزعامة المتطرّفين من المسلمين.

وهكذا كان الإمام منذ تسلّمه لزمام السلطة السياسية يواجه في كلّ عام حرباً أهليّة.

إنّ تاريخ وقوع معركة النهروان غير محدّد على وجه الدقّة؛ فقد ذكر بعض المؤرّخين أنّها وقعت سنة ٣٨ ه[1]، بينما ذكر آخرون أنّها وقعت سنة ٣٧ ه[2]،

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٩١ وفيه «وهذا القول عليه أكثر أهل السير»، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٧، مروج الذهب: ٢ / ٣٦١ وص ٤١٥، أنساب الأشراف: ٢ / ٣٦٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٥٨٨.

(٢) أُسد الغابة: ١ / ٧١٤ / ١١٢٧، التنبيه والإشراف: ٢٥٦.

وأشار غيرهم الى وقوعها سنة ٣٩ هـ[١].

ويبدو أنّ الرأي الأوّل أقرب إلى الصواب؛ فبالإضافة إلى أنّ الكثير من أصحاب السيَر ـ أو أكثرهم كما يقول الطبري ـ يذهبون إلى هذا القول؛ فإنَّ التتبّع الدقيق لمجريات الأحداث في عهد حكومة الإمام عليّ عليه السلام يؤيّد هذا الرأي أيضاً.

وأمّا الشهر الذي وقعت فيه معركة النهروان فلم يُشِر إليه أكثر المؤرّخين إلّا أنّ البعض منهم يرى أنّها حدثت في شهر صفر[٢] سنة ٣٨ هـ ويرى آخرون أنّها كانت في شهر شعبان سنة ٣٨ هـ[٣] ويبدو أنّ القول الصحيح هو الأوّل أي في شهر صفر سنة ٣٨ هـ؛ لأنّ وقت التحكيم كان قد عُيّن في شهر رمضان، ومن بعده جهّز الإمام جيشاً وسار به نحو الشام، وإذا به يواجه تمرّد الخوارج عليه.

وكانت مدّة الحرب قصيرة جدّاً وما لبثت أن خمدت على وجه السرعة[٤].

## ٢ / ٢

## مكانها

دارت رحى الحرب في النهروان وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٣.

(٢) أنساب الأشراف: ٣ / ١٣٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٥٨٨.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٥٨٨.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٦ وفيه «فأُهمِدوا في الساعة»، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٦ وفيه «فـأُهلكوا في ساعة»، الأخبار الطوال: ٢١٠ وفيه «وقتلت الخوارج كلّها ربضة واحدة»، الفتوح: ٤ / ٢٧٤ وفيه «لم تكن إلّا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم»؛ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٣ وفيه «الْتَحَمَت الحرب بينهم مع زوال الشمس؛ فأقامت مقدار ساعتين من النهار»، كشف الغمّة: ١ / ٢٦٧ وفيه «لم يكن إلّا ساعة حتى قتلوا».

الجانب الشرقي[١] على أربعة فراسخ من بغداد[٢].

## ٢ / ٣

## عدد المشاركين فيها

شكّل جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من ثمانية وستين ألفاً؛ وذلك أنّ الإمام عليه السلام تهيّأ لقتال أهل الشام، ولم يكن عزم على قتال الخوارج[٣]. وأمّا جيش الخوارج فكان أربعة آلاف[٤]، أو ألفين وثمانمائة[٥].

**٢٦٦٥ـ تاريخ الطبري عن جبر بن نوف:** جمع [الإمام علي عليه السلام] إليه رؤوس أهل الكوفة، ورؤوس الأسباع، ورؤوس القبائل، ووجوه الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أهل الكوفة! أنتم إخواني، وأنصاري، وأعواني على الحقّ، وصحابتي على جهاد عدوّي المحلّين بكم، أضرب المدبر، وأرجو تمام طاعة المقبل، وقد بَعثتُ إلى أهل البصرة فاستنفرتُهم إليكم فلم يأتِني منهم إلّا ثلاثة آلاف ومائتا رجل، فأعينوني بمناصحة جليّة، خليّة من الغش، إنكم[٦] مخرجنا إلى صفّين، بل استجمعوا بأجمعكم، وإنّي أسألكم أن يكتب لي رئيس كلّ قوم ما

---

(١) معجم البلدان: ٥ / ٣٢٥.

(٢) مجمع البحرين: ٣ / ١٦٨٩.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٠، مروج الذهب: ٢ / ٤١٥.

(٤) مروج الذهب: ٢ / ٤١٥، أنساب الأشراف: ٣ / ١٤٦، الفتوح: ٤ / ٢٧٠ وفيه «فاستأمن إليه [الإمام عليّ عليه السلام] منهم ثمانية آلاف وبقي على حربه أربعة آلاف»؛ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٣ وفيه «فرجع يومئذٍ من الخوارج ألفان وأقام أربعة آلاف».

(٥) الكامل للمبرّد: ٣ / ١١٠٥، تاريخ الطبري: ٥ / ٨٦ وفيه بعد رفع راية الأمان بأمر الإمام عليّ عليه السلام «كان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب ألفين وثمانمائة».

(٦) في هامش المصدر: سقطت كلمات في الأصل.

في عشيرته من المقاتلة، وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال، وعبدان عشيرته ومواليهم، ثمّ يرفع ذلك إلينا.

فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال: يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة، ووداً ونصيحة، أنا أوّل الناس جاء بما سألت وبما طلبت.

وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له نحواً من ذلك. وقام عديّ بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عديّ وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك.

ثمّ إنّ الرؤوس كتبوا من فيهم، ثمّ رفعوهم إليه، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم، وألّا يتخلف منهم عنهم أحد، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممّن أدرك، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم، وقالوا: يا أمير المؤمنين أمّا من عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممّن قد بلغ الحلم وأطاق القتال فقد رفعنا إليك منهم ذوي القوّة والجَلَد، وأمرناهم بالشخوص معنا، ومنهم ضعفاء وهم في ضياعنا وأشياء ممّا يصلحنا. وكانت العرب سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة، ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف، وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستّين ألفاً وثلاثة آلاف ومائتي رجل من أهل البصرة، وكان جميع من معه ثمانية وستين ألفاً ومائتي رجل[1].

**٢٦٦٦ ـ تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري ـ في ذكر ما بقي من أصحاب النهروان بعد إعطاء الإمام لهم الأمان ـ:**

كانوا أربعة آلاف، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة[2].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٦، الإمامة و السياسة: ١ / ١٦٩ نحوه وراجع أنساب الأشراف: ٣ / ١٤٦.

## ٢ / ٤

## قادة جيش الإمام

قائد الميمنة : حجر بن عديّ الكندي .

قائد الميسرة : شبث بن ربعي أو معقل بن قيس الرياحي .

قائد الخيالة : أبو أيّوب الأنصاري .

قائد الرجّالة : أبو قتادة الأنصاري .

قائد أهل المدينة : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري[1] .

## ٢ / ٥

## قادة جيش المارقين

قائد الميمنة : زيد بن حصين الطائي .

قائد الميسرة : شريح بن أوفى العبسي .

قائد الخيالة : حمزة بن سنان الأسدي .

قائد الرجّالة : حرقوص بن زهير السعدي[2] .

وقيل : قائد الميمنة : يزيد بن حصين ، وقائد الخيل : عبد الله بن وهب[3] .

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ / ١٤٦ ، تاريخ الطبري : ٥ / ٨٥ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٥ ، الأخبار الطوال : ٢١٠ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٦٩ وزاد في آخره «ووقف عليّ في القلب في مضر» ، البداية والنهاية : ٧ / ٢٨٩ .

(٢) تاريخ الطبري : ٥ / ٨٥ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٥ ، البداية والنهاية : ٧ / ٢٨٩ .

(٣) الأخبار الطوال : ٢١٠ .



## ٣ / ١

## بداية الفرقة

**٢٦٦٧ـ تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة ـ في صفة جيش الإمام عليه السلام ـ:** خرجوا مع عليّ إلى صفّين وهم متوادّون أحبّاء، فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من عسكرهم بصفّين حتى فشا فيهم التحكيم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كلّه، ويتشاتمون، ويضطربون بالسياط؛ يقول الخوارج: يا أعداء الله! أدهنتم في أمر الله عزّ وجلّ، وحكّمتم!

وقال الآخرون: فارقتم إمامنا، وفرّقتم جماعتنا!

فلمّا دخل عليّ الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: إنّ أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّاء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عزّ وجلّ،

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

٢٦٦٨ ـ الكامل في التاريخ: لمّا رجع عليّ من صفّين فارقه الخوارج وأتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديهم: إنّ أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّا اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فلمّا سمع عليّ ذلك وأصحابه قامت الشيعة، فقالوا له: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليتَ، وأعداء من عاديتَ.

فقالت الخوارج: استَبقتُم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرَسَي رِهان[٢]؛ بايع أهل الشام معاوية على ما أحبّوا وكرهوا، وبايعتُم أنتم عليّاً على أنّكم أولياء من والَى، وأعداء من عادى.

فقال لهم زياد بن النضر: والله، ما بسط عليّ يده فبايعناه قطّ إلّا على كتاب الله، وسنّة نبيّه، ولكنّكم لمّا خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له: نحن أولياء من واليتَ، وأعداء من عاديتَ، ونحن كذلك، وهو على الحقّ والهدى، ومن خالفه ضالّ مضلّ[٣].

٢٦٦٩ ـ تاريخ الطبري عن الزهري: تفرّق أهل صفّين حين حكّم الحكمان... فلمّا انصرف عليّ خالفت الحروريّة وخرجت ـ وكان ذلك أوّل ما ظهرت ـ فآذنوه بالحرب، وردّوا عليه أنّ حكم بني آدم في حكم الله عزّ وجلّ، وقالوا:

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٦٣، أنساب الأشراف: ٣ / ١١٤ نحوه.

(٢) هما كفَرَسَي رِهان: يُضرب لاثنين يستبقان إلى غاية فيستويان (تاج العروس: ٨ / ٣٩٤).

(٣) الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٣، تاريخ الطبري: ٥ / ٦٣ و ص ٦٤ عن عمارة بن ربيعة.

لا حكم إلّا لله سبحانه! وقاتلوا[1].

## ٣ / ٢

# احتجاجات الإمام علي على زرعة وحرقوص

**٢٦٧٠ ـ تاريخ الطبري عن عون بن أبي جحيفة:** إنّ عليّاً لمّا أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي، فدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلّا لله!

فقال عليّ: لا حكم إلّا لله.

فقال له حرقوص: تُب من خطيئتكَ، وارجع عن قضيّتكَ، واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا!

فقال لهم عليّ: قد أردتُكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: **﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَاتَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾**[2].

فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه.

فقال عليّ: ما هو ذنب، ولكنّه عجز من الرأي، وضعف من الفعل، وقد تقدّمتُ إليكم فيما كان منه، ونهيتُكم عنه.

فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا عليّ لئن لم تدَع تحكيم الرجال في كتاب

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٥٧ وراجع الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٠.

(٢) النحل: ٩١.

الله عزّ وجلّ قاتلتك ؛ أطلب بذلك وجه الله ورضوانه !

فقال له عليّ : بؤساً لك ، ما أشقاك ! كأنّي بك قتيلاً تُسفي عليك الريح .

قال : وددتُ أن قد كان ذلك .

فقال له عليّ : لو كنت محقّاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا ، إنّ الشيطان قد استهواكم ، فاتّقوا الله عزّ وجلّ ، إنّه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها .

فخرجا من عنده يحكّمان[1] .

## ٣ / ٣

## إشخاص عبد الله بن عبّاس إليهم

**٢٦٧١ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من وصيّته لعبد الله بن العبّاس لمّا بعثه للاحتجاج على الخوارج ـ : لا تخاصمهم بالقرآن ؛ فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه ؛ تقول ويقولون ، ولكن حاجِجهم بالسُّنّة ، فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً[2] .

**٢٦٧٢ ـ الفتوح** ـ في ذكر ابتداء أخبار الخوارج من الشراة وخروجهم على عليّ عليه السلام ـ : بينا عليّ كرّم الله وجهه مقيم بالكوفة ينتظر انقضاء المدّة التي كانت بينه وبين معاوية ثمّ يرجع إلى محاربة أهل الشام ، إذ تحركت طائفة من خاصّة أصحابه في أربعة آلاف فارس ، وهم من النسّاك العبّاد أصحاب البرانس ، فخرجوا عن الكوفة وتحزّبوا ، وخالفوا عليّاً كرّم الله وجهه وقالوا : لا حُكم إلّا لله ،

---

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٧٢ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٩٨ وليس فيه من «لو كنت محقّاً» إلى «تقاتلون عليها» ، أنساب الأشراف : ٣ / ١٢٩ عن الزهري ؛ المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ١٨٨ كلاهما نحوه .

(٢) نهج البلاغة : الكتاب ٧٧ ، بحار الأنوار : ٢ / ٢٤٥ / ٥٦ ؛ ربيع الأبرار : ١ / ٦٩١ وفيه «خاصِمهم» بدل «حاجِجهم» .

ولا طاعة لمن عصى الله .

قال : وانحاز إليهم نيّف عن ثمانية آلاف رجل ممن يرى رأيهم . قال : فصار القوم في اثني عشر ألفاً ، وساروا حتى نزلوا بحروراء ، وأمّروا عليهم عبد الله بن الكوّاء .

قال : فدعا عليّ عليه السلام بعبد الله بن عبّاس ، فأرسله إليهم ، وقال : يابن عبّاس امضِ إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه ، ولماذا اجتمعوا .

قال : فأقبل عليهم ابن عبّاس ، حتى إذا أشرف عليهم ونظروا إليه ناداه بعضهم وقال : ويلك يابن عبّاس ، أكفرتَ بربّك كما كفر صاحبك عليّ بن أبي طالب ؟

فقال ابن عبّاس : إنّي لا أستطيع أن أُكلّمكم كلّكم ، ولكن انظروا أيّكم أعلم بما يأتي ويذَر فليخرج إليّ ؛ حتى أُكلّمه .

قال : فخرج إليه رجل منهم يقال له : عتاب بن الأعور الثعلبي حتى وقف قبالته ـ وكأنّ القرآن إنّما كان ممثّلاً بين عينيه ـ فجعل يقول ويحتجّ ويتكلّم بما يريد ، وابن عبّاس ساكت لا يكلّمه بشيء ، حتى إذا فرغ من كلامه أقبل عليه ابن عبّاس فقال : إنّي أُريد أن أضرب لك مثلاً ، فإن كنت عاقلاً فافهم .

فقال الخارجي : قل ما بدا لك .

فقال له ابن عبّاس : خبّرني عن دار الإسلام هذه هل تعلم لمن هي ، ومن بناها ؟

فقال الخارجي : نعم ، هي لله عزّ وجلّ ، وهو الذي بناها على أنبيائه وأهل طاعته ، ثمّ أمر من بعثه إليها من الأنبياء أن يأمروا الأُمم أن لا تعبدوا إلّا إيّاه ، فآمن قوم ، وكفر قوم ، وآخر من بعثه إليها من الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله .

فقال ابن عبّاس: صدقت. ولكن خبّرني عن محمّد حين بَعث إلى دار الإسلام فبناها ـ كما بناها غيره من الأنبياء ـ هل أحكمَ عمارتَها، وبيّن حدودها، وأوقف الأُمّة على سبلها وعملها وشرائع أحكامها ومعالم دينها؟

قال الخارجي: نعم، قد فعل محمّد ذلك.

قال ابن عبّاس: فخبّرني الآن عن محمّد هل بقي فيها، أو رحل عنها؟

قال الخارجي: بل رحل عنها.

قال ابن عبّاس: فخبّرني رحل عنها وهي كاملة العمارة بيّنة الحدود، أم رحل عنها وهي خربة لا عمران فيها؟

قال الخارجي: بل رحل عنها وهي كاملة العمارة، بيّنة الحدود، قائمة المنَار.

قال ابن عبّاس: صدقت الآن، فخبّرني هل كان لمحمّد ﷺ أحد يقوم بعمارة هذه الدار من بعده أم لا؟

قال الخارجي: بلى، قد كان له صحابة وأهل بيت ووصيّ وذريّة يقومون بعمارة هذه الدار من بعده.

قال ابن عبّاس: ففعلوا أم لم يفعلوا؟

قال الخارجي: بلى، قد فعلوا وعمّروا هذه الدار من بعده.

قال ابن عبّاس: فخبّرني الآن عن هذه الدار من بعده هل هي اليوم على ما تركها محمّد ﷺ من كمال عمارتها وقوام حدودها، أم هي خربة عاطلة الحدود؟

قال الخارجي: بل هي عاطلة الحدود خربة.

قال ابن عبّاس: أفذريّته وَليت هذه الخراب، أم أُمّته؟

قال: بل أُمّته.

قال: قال ابن عبّاس: أفأنت من الأُمّة أو من الذرّيّة؟

قال: أنا من الأُمّة.

قال ابن عبّاس: يا عتاب فخبّرني الآن عنك كيف ترجو النجاة من النار وأنت من أُمّة قد أخربت دار الله ودار رسوله، وعطّلت حدودها؟

فقال الخارجي: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ويحك يابن عبّاس! احتلتَ والله حتى أوقعتَني في أمر عظيم، وألزمتَني الحجّة، حتى جعلتَني ممّن أخرب دار الله. ولكن ويحك يابن عبّاس فكيف الحيلة في التخليص مما أنا فيه؟

قال ابن عبّاس: الحيلة في ذلك أن تسعى في عمارة ما أخربته الأُمة من دار الإسلام.

قال: فدلّني على السعي في ذلك.

قال ابن عبّاس: إنّ أوّل ما يجب عليك في ذلك أن تعلم من سعى في خراب هذه الدار فتعاديه، وتعلم من يريد عمارتها فتواليه.

قال: صدقت يابن عبّاس، والله ما أعرف أحداً في هذا الوقت يحبّ عمارة دار الإسلام غير ابن عمّك عليّ بن أبي طالب لولا أنّه حكّم عبد الله بن قيس في حقّ هو له.

قال ابن عبّاس: ويحك يا عتاب، إنّا وجدنا الحكومة في كتاب الله عزّ وجلّ؛ إنّه قال تعالى: ﴿فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[٢].

---

(١) النساء: ٣٥.

(٢) المائدة: ٩٥.

قال: فصاحت الخوارج من كلّ ناحية وقالوا: فكأنّ عمرو بن العاص عندك من العدول، وأنت تعلم أنّه كان في الجاهليّة رأساً، وفي الإسلام ذنباً، وهو الأبتر ابن الأبتر، ممّن قاتل محمّداً ﷺ، وفتن اُمّته من بعده!

قال: فقال ابن عبّاس: يا هؤلاء! إنّ عمرو بن العاص لم يكن حَكَماً، أفتحتجّون به علينا؟ إنّما كان حكماً لمعاوية، وقد أراد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أن يعبثني أنا فأكون له حكماً، فأبيتُم عليه وقلتُم: قد رضينا بأبي موسى الأشعري، وقد كان أبو موسى - لعمري - رضي في نفسه وصحبته وإسلامه وسابقته، غير أنّه خُدع فقال ما قال، وليس يلزمنا من خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى، فاتّقوا ربّكم، وارجعوا إلى ما كنتُم عليه من طاعة أمير المؤمنين، فإنّه وإن كان قاعداً عن طلب حقّه فإنّما ينتظر انقضاء المدّة ثمّ يعود إلى محاربة القوم، وليس عليّ عليه السلام ممن يقعد عن حقّ جعله الله له.

قال: فصاحت الخوارج؛ قالوا: هيهات يابن عبّاس! نحن لا نتولّى عليّاً بعد هذا اليوم أبداً، فارجع إليه وقل له فليخرج إلينا بنفسه؛ حتى نحتجّ عليه، ونسمع كلامه، ويسمع من كلامنا، فلعلّنا إن سمعنا منه شيئاً يعلق إمّا[1] أن نرجع عمّا اجتمعنا عليه من حربه.

قال: فخرج عبد الله بن عبّاس إلى عليّ عليه السلام فخبّره بذلك[2].

**٢٦٧٣** - شرح نهج البلاغة عن عمر مولى غفرة: لمّا رجع عليّ عليه السلام من صفّين إلى الكوفة، أقام الخوارج حتى جمّوا[3]، ثمّ خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمّى

(١) كذا في المصدر، ولعل «إمّا» زائدة.

(٢) الفتوح: ٤/٢٥١ وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ٣/١٨٨.

(٣) جمّ الشيء: كثر (لسان العرب: ١٢/١٠٥).

حروراء، فنادوا: لا حكم إلّا لله ولو كره المشركون. ألا إنّ عليّاً ومعاوية أشركا في حكم الله.

فأرسل عليّ عليه السلام إليهم عبد الله بن عبّاس، فنظر في أمرهم، وكلّمهم، ثمّ رجع إلى عليّ عليه السلام، فقال له: ما رأيتَ؟

فقال ابن عبّاس: والله، ما أدري ما هم!

فقال له عليّ عليه السلام: رأيتَهم منافقين؟

قال: والله، ما سيماهم بسيما المنافقين، إنّ بين أعينهم لأثر السجود، وهم يتأوّلون القرآن.

فقال عليّ عليه السلام: دعوهم ما لم يسفكوا دماً، أو يغصبوا مالاً. وأرسل إليهم: ما هذا الذي أحدثتُم، وما تريدون؟

قالوا: نريد أن نخرج نحن وأنت ومن كان معنا بصفّين ثلاث ليالٍ، ونتوب إلى الله من أمر الحَكَمين، ثمّ نسير إلى معاوية فنقاتله، حتى يحكم الله بيننا وبينه.

فقال عليّ عليه السلام: فهلّا قلتم هذا حين بعثنا الحكمين، وأخذنا منهم العهد، وأعطيناهموه! ألا قلتم هذا حينئذٍ!

قالوا: كنّا قد طالت الحرب علينا، واشتدّ البأس، وكثر الجراح، وخلا الكُراع والسلاح.

فقال لهم: أفحين اشتدّ البأس عليكم عاهدتُم، فلمّا وجدتُم الجَمام[1] قلتُم: ننقض العهد! إنّ رسول الله كان يفي للمشركين، أفتأمرونني بنقضه![2]

---

(١) الجَمام: الراحة (لسان العرب: ١٢/ ١٠٥).

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٣١٠؛ بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٤٣/ ٥٨٧.

**٢٦٧٤ ـ الكامل للمبرّد**: ذكر أهل العلم من غير وجه أنّ عليّاً عليه السلام لمّا وجّه إليهم عبد الله بن العبّاس ليناظرهم، قال لهم: ما الذي نقمتُم على أمير المؤمنين؟

قالوا: قد كان للمؤمنين أميراً، فلمّا حكّم في دين الله خرج من الإيمان، فليتُب بعد إقراره بالكفر نَعُد له.

فقال ابن عبّاس: ما ينبغي لمؤمن لم يشُب إيمانه شكّ أن يُقرّ على نفسه بالكفر.

قالوا: إنّه قد حكّم.

قال: إنّ الله عزّ وجلّ قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد، فقال عزّ وجلّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين؟!

فقالوا: إنّه قد حكّم عليه فلم يرضَ.

فقال: إنّ الحكومة كالإمامة، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته، وكذلك الحكمان، لمّا خالفا نُبذت أقاويلهما.

فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجّةً عليكم؛ فإنّ هذا من القوم الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[2][3].

**٢٦٧٥ ـ الكامل للمبرّد**: كان أصحاب النخيلة[4] قالوا لابن عبّاس: إن كان عليّ

---

(١) الزخرف: ٥٨.

(٢) مريم: ٩٧.

(٣) الكامل للمبرّد: ٣ / ١٠٧٩، شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٧٣؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٤٩.

(٤) النُّخَيلَة ـ تصغير نخلة ـ: موضع قرب الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الذي خرج إليه الإمام عليّ عليه السلام (معجم البلدان: ٥ / ٢٧٨).

على حقّ لم يُشكّك فيه وحكّم مضطرّاً، فما باله حيث ظفر لم يَسْبِ؟

فقال لهم ابن عبّاس: قد سمعتُم الجواب في التحكيم، فأمّا قولكم في السباء أفكنتم سابين أُمّكم عائشة؟! فوضعوا أصابعهم في آذانهم، وقالوا: أمسك عنّا غَرْب لسانك[1] يابن عبّاس؛ فإنّه طَلْق ذَلْق[2]، غوّاص على موضع الحجّة[3].

**٢٦٧٦ـ تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة ـ في ذكر الخوارج ـ:** بعث عليٌّ ابنَ عبّاس إليهم، فقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم حتى أتاهم، فأقبلوا يكلّمونه، فلم يصبر حتى راجعهم فقال: ما نقمتُم من الحكمين؛ وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾، فكيف بأُمّة محمّد ﷺ

فقالت الخوارج: قلنا: أمّا ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له، فهو إليهم كما أمر به، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه؛ حكم في الزاني مائة جلدة، وفي السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا في هذا.

قال ابن عبّاس: فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

فقالوا: أوَتجعل الحكم في الصيد، والحَدَث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين!

وقالت الخوارج: قلنا له: فهذه الآية بيننا وبينك، أعَدلٌ عندك ابن العاص وهو

---

(١) غرب اللسان: حدّته (لسان العرب: ١/ ٦٤١).

(٢) لسان ذَلْقٌ طَلْق: فصيح (لسان العرب: ١٠/ ١١٠).

(٣) الكامل للمبرّد: ٣/ ١١٦٢.

بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا! فإن كان عدلاً فلسنا بعدول، ونحن أهل حربه، وقد حكّمتم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله عزّ وجلّ حكمه في معاوية وحزبه أن يُقتلوا أو يرجعوا، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ فأبوه، ثمّ كتبتم بينكم وبينه كتاباً، وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة، وقد قطع عزّ وجلّ الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة، إلّا من أقرّ بالجزية[1].

**٢٦٧٧ ـ شرح الأخبار عن عبد الله بن عبّاس**: أرسلني عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخوارج الحروريّة لأُكلّمهم، فكلّمتهم. فقالوا: لا حكم إلّا لله. فقلت: أجل، ولكن أما تقرؤون القرآن وقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[3]، وقوله: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[4]! وقد شهد من شهد منكم رسولَ الله صلى الله عليه وآله إذ حكّم سعداً في بني قريظة، فلمّا حكم فيهم بالحقّ أجاز حكمه، وقال: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعة، فهل تقولون إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخطأ في تحكيم سعد في بني قريظة؟! وأيّهم عندكم أوجب أن يحكم فيه: أمر ما بين رجل وبين امرأته، أو جزاء صيد يصيبه محرم، أو الحكم في أُمّة قد اختلفت وقتل بعضها بعضاً؛ ليرجع منها إلى حكم الكتاب من خالفه، فتحقن دماء الأُمّة ويلمّ شعثها؟

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٦٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٣، أنساب الأشراف: ٣ / ١٢٢، المعيار والموازنة: ١٩٤ كلاهما نحوه.

(٢) المائدة: ٩٥.

(٣) المائدة: ٤٩.

(٤) النساء: ٣٥.

فقال لهم ابن الكوّا: دعوا ما يقول هذا وأصحابه، واقبلوا على ما أنتم عليه؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد أخبر أنّ هؤلاء قوم خصِمون[1].

## ٣ / ٤

## خروج الإمام إلى حروراء وتوبة جماعة من الخوارج

**٢٦٧٨ـ** الفتوح ـ بعد ذكر رجوع عبد الله بن عبّاس من حروراء وإخباره الإمام بما جرى بينه وبين الخوارج ـ: ركب عليّ إلى القوم في مائة رجل من أصحابه، حتى وافاهم بحروراء، فلمّا بلغ ذلك الخوارج ركب عبد الله بن الكوّاء في مائة رجل من أصحابه حتى واقفه.

فقال له عليّ: يابن الكوّاء إنّ الكلام كثير، ابرز إليّ من أصحابك حتى أكلّمك. قال ابن الكوّاء: وأنا آمن من سيفك.

قال عليّ: نعم، وأنت آمن من سيفي.

قال: فخرج ابن الكوّاء في عشرة من أصحابه ودنوا من عليّ عليه السلام. قال: وذهب ابن الكوّاء ليتكلّم فصاح به رجل من أصحاب عليّ وقال: اسكت؛ حتى يتكلّم من هو أحقّ بالكلام منك.

قال: فسكت ابن الكوّاء، وتكلّم عليّ بن أبي طالب، فذكر الحرب الذي كان بينه وبين معاوية، وذكر اليوم الذي رفعت فيه المصاحف، وكيف اتّفقوا على الحكمين، ثمّ قال له عليّ: ويحك يابن الكوّاء، ألم أقُل لكم في ذلك اليوم الذي رفعت فيه المصاحف: كيف أهل الشام يريدون أن يخدعوكم بها؟ ألم أقُل لكم

---

(١) شرح الأخبار: ٢ / ٤٦ / ٤١٣ وراجع تاريخ دمشق: ٤٢ / ٤٦٦.

بأنّهم قد عضّهم السلاح وكاعوا[1] عن الحرب، فذروني أُناجزهم، فأبيتُم عليَّ وقلتم: إنّ القوم قد دعونا إلى كتاب الله عزّ وجلّ فأجبهم إلى ذلك، وإلّا لم نقاتل معك، وإلّا دفعناك إليهم! فلما أجبتُكم إلى ذلك وأردتُ أن أبعث ابن عمّي عبد الله بن عبّاس ليكون لي حكماً، فإنّه رجل لا يبتغي بشيء من عرض هذه الدنيا ولا يطمع أحد من الناس في خديعته، فأبى عليَّ منكم من أبى، وجئتموني بأبي موسى الأشعري وقلتم: قد رضينا بهذا. فأجبتكم إليه وأنا كاره، ولو أصبت أعواناً غيركم في ذلك الوقت لما أجبتكم. ثمّ إنّي اشترطت على الحكمين بحضرتكم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته أو السنّة الجامعة، فإن هما لم يفعلا ذلك فلا طاعة لهما عليَّ، أكان ذلك أم لم يكن؟

فقال ابن الكوّاء: صدقت، قد كان هذا بعينه، فلم لا ترجع إلى حرب القوم إذ قد علمت إنّ الحكمين لم يحكما بالحقّ، وأنّ أحدهما خدع صاحبه؟

فقال عليٌّ: إنّه ليس إلى حرب القوم سبيل إلى انقضاء المدّة التي ضُربت بيني وبينهم.

قال ابن الكوّاء: فأنت مُجمع على ذلك؟

قال: وهل يسَعني إلّا ذلك؟ انظر يابن الكوّاء أنّي أصبت أعواناً وأقعد عن حقّي؟

قال: فعندها بَطَن[2] ابن الكوّاء فرسَه وصار إلى عليّ مع العشرة الذين كانوا معه، ورجعوا عن رأي الخوارج، وانصرفوا مع عليّ إلى الكوفة، وتفرّق الباقون

---

(١) كاعَ: جبُن (لسان العرب: ٨/ ٣١٧).

(٢) بَطَنَه: ضرب بطنه (لسان العرب: ١٣/ ٥٤).

وهم يقولون : لا حكم إلّا لله ، ولا طاعة لمن عصى الله [١].

**٢٦٧٩ ـ الأخبار الطوال** ـ في ذكر احتجاجات الإمام عليّ عليه السلام الخوارج ـ: قال : ليخرج إليّ رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول ، فإن وجبت عليّ الحجّة أقررت لكم وتبت إلى الله ، وإن وجبت عليكم فاتّقوا الذي مردّكم إليه .

فقالوا لعبد الله بن الكوّاء ـ وكان من كبرائهم ـ : اخرج إليه حتى تحاجّه ، فخرج إليه . فقال عليّ : هل رضيتم ؟ قالوا : نعم . قال : اللهمّ اشهد ؛ فكفى بك شهيداً .

فقال عليّ عليه السلام : يابن الكوّاء ، ما الذي نقمتُم عليّ بعد رضاكم بولايتي ، وجهادكم معي ، وطاعتكم لي ؟ فهلّا برئتم منّي يوم الجمل ؟

قال ابن الكوّاء : لم يكُن هناك تحكيم .

فقال عليّ : يابن الكوّاء ، أنا أهدى أم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال ابن الكوّاء : بل رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : فما سمعت قول الله عزّ وجلّ : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[٢] ، أكان الله يشكّ أنّهم هم الكاذبون ؟

قال : إنّ ذلك احتجاج عليهم ، وأنت شككتَ في نفسك حين رضيت بالحكمين ، فنحن أحرى أن نشكّ فيك .

قال : وإنّ الله تعالى يقول : ﴿فَأْتُواْ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ﴾[٣].

---

(١) الفتوح : ٤ / ٢٥٣ وراجع المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ١٨٩ وكشف الغمّة : ١ / ٢٦٤ .

(٢) آل عمران : ٦١.

(٣) القصص : ٤٩.

قال ابن الكوّاء: ذلك أيضاً احتجاج منه عليهم.

فلم يزَل عليّ عليه السلام يحاجّ ابن الكوّاء بهذا وشبهه، فقال ابن الكوّاء: أنت صادق في جميع ما تقول، غير أنّك كفرت حين حكّمت الحكمين.

قال عليّ: ويحك يابن الكوّاء، إنّي إنّما حكّمت أبا موسى وحده، وحكّم معاوية عمراً.

قال ابن الكوّاء: فإنّ أبا موسى كان كافراً.

قال عليّ: ويحك، متى كفر، أحين بعثتُه، أم حين حكم؟

قال: لا، بل حين حكم.

قال: أفلا ترى أنّي إنّما بعثته مسلماً، فكفر - في قولك - بعد أن بعثته، أرأيت لو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث رجلاً من المسلمين إلى أُناس من الكافرين ليدعوهم إلى الله، فدعاهم إلى غيره، هل كان على رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك شيء؟

قال: لا.

قال: ويحك، فما كان عليّ إن ضلّ أبو موسى؟ أفيحلّ لكم بضلالة أبي موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعترضوا بها الناس؟!

فلمّا سمع عظماء الخوارج ذلك قالوا لابن الكوّاء: انصرف، ودَع مخاطبة الرجل.

فانصرف إلى أصحابه، وأبى القوم إلّا التمادي في الغيّ[1].

**٢٦٨٠ - الكامل للمبرّد** - في ذكر الخوارج -: يروى أنّ عليّاً في أوّل خروج القوم

(١) الأخبار الطوال: ٢٠٨.

عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدي ـ وقد كان وجّهه إليهم ـ وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العبّاس ، فقال لصعصعة : بأيّ القوم رأيتهم أشدّ إطافة ؟

فقال : بيزيد بن قيس الأرحبي .

فركب عليّ إليهم إلى حروراء ، فجعل يتخلّلهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس ، فصلّى فيه ركعتين ، ثمّ خرج فاتّكأ على قوسه ، وأقبل على الناس ، ثمّ قال : هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة ، أنشدكم الله ، أعلمتُم أحداً منكم كان أكره للحكومة منّي ؟

قالوا : اللهمّ لا .

قال : أ فعلمتم أنّكم أكرهتموني حتى قبلتها ؟

قالوا : اللهمّ نعم .

قال : فعلامَ خالفتموني ونابذتموني ؟

قالوا : إنّا أتينا ذنباً عظيماً ، فتبنا إلى الله ، فتب إلى الله منه واستغفره نُعد لك .

فقال عليّ : إنّي أستغفر الله من كلّ ذنب . فرجعوا معه ، وهم ستّة آلاف . فلمّا استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ عليّاً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً ، وقالوا : إنّما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع ، ويُجبى المال ، فينهض إلى الشام .

فأتى الأشعث بن قيس عليّاً فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رأيتَ الحكومة ضلالاً ، والإقامة عليها كفراً !

فخطب عليّ الناس فقال : من زعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالاً فهو أضلّ . فخرجت الخوارج من المسجد ، فحكّمت ، فقيل لعليّ : إنّهم خارجون عليك .

فقال : لا أُقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون[١] .

**٢٦٨١ ـ تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة ـ في ذكر الخوارج ـ:** بعث عليٌّ زيادَ ابن النضر إليهم فقال : انظر بأيّ رؤوسهم هم أشدّ إطافة . فنظر ، فأخبره أنّه لم يَرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس .

فخرج عليّ في الناس حتى دخل إليهم ، فأتى فسطاط يزيد بن قيس ، فدخله فتوضّأ فيه ، وصلّى ركعتين ، وأمّره على أصبهان[٢] والريّ[٣] . ثمّ خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عبّاس ، فقال : انتهِ عن كلامهم ، أ لم أنهَك رحمك الله ! ثمّ تكلّم فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه ، ثمّ قال : اللهمّ إنّ هذا مقام من أفلج فيه كان أولى بالفَلَج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث[٤] فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً . ثمّ قال لهم : من زعيمكم ؟

قالوا : ابن الكوّاء .

قال عليّ : فما أخرجكم علينا ؟

قالوا : حكومتكم يوم صفّين .

قال : أنشدكم بالله ، أ تعلمون أنّهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتُم : نُجيبهم إلى

---

(١) الكامل للمبرّد : ٣ / ١١٣٠ ، شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٧٨ نحوه ؛ بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٥٣ وراجع أنساب الأشراف : ٣ / ١٣٠ .

(٢) إصبهان : هي مركز محافظة اصفهان وتعدّ واحدة من المدن الكبيرة والقديمة في إيران ، تقع هذه المدينة على بعد ٤٠٠ كيلو متر من جنوب طهران . وكانت عاصمة ايران إبّان العهد الصفوي .

(٣) الرّي : واحدة من المدن الإيرانية القديمة وتعدّ الآن إحدى مناطق مدينة طهران ، وكان لها في السابق مكانة متميّزة وقد تخرّج منها عدد وفير من العلماء الأفاضل .

(٤) أوعثَ فلان : إذا خلّطَ ، والوعث : فساد الأمر واختلاطه (لسان العرب : ٢ / ٢٠٢) .

كتاب الله ، قلتُ لكم : إنّي أعلم بالقوم منكم ، إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إنّي صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً ، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال . امضوا على حقّكم وصدقكم ، فإنّما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً[1] ومكيدة ، فرددتم عليَّ رأيي ، وقلتم : لا ، بل نقبل منهم . فقلت لكم : اذكروا قولي لكم ، ومعصيتكم إيّاي ، فلمّا أبيتم إلّا الكتاب اشترطتُ على الحكمين أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يُميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حَكَماً يحكم بما في القرآن ، وإن أبَيا فنحن من حكمهما برآء .

قالوا له : فخبّرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟

فقال : إنّا لسنا حكّمنا الرجال ، إنّما حكّمنا القرآن ، وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين دفّتين لا ينطق ، إنّما يتكلّم به الرجال .

قالوا : فخبّرنا عن الأجل ، لِمَ جعلته فيما بينك وبينهم ؟

قال : ليعلم الجاهل ، ويتثبّت العالم ، ولعلّ الله عزّ وجلّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأُمّة . ادخلوا مصركم رحمكم الله . فدخلوا من عند آخرهم[2] .

**٢٦٨٢ ـ العقد الفريد** ـ في ذكر كلام الإمام مع ابن الكوّاء ـ : فقال له عليّ : يابن الكوّاء ، إنّه من أذنب في هذا الدين ذنباً يكون في الإسلام حدثاً استتبناه من ذلك الذنب بعينه ، وإنّ توبتك أن تعرف هدى ما خرجتَ منه ، وضلال ما دخلتَ فيه .

قال ابن الكوّاء : إنّنا لا ننكر أنّا قد فُتنّا . فقال له عبد الله بن عمرو بن جرموز :

---

(١) دَهَنَ الرجل : إذا نافق (لسان العرب : ١٣ / ١٦٢) .

(٢) تاريخ الطبري : ٥ / ٦٥ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٩٣ ؛ الإرشاد : ١ / ٢٧٠ نحوه وفيه من «فحمد الله عزّ وجلّ ...» .

أدرَكنا والله هذه الآيـة : ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[١] ـ وكان عبد الله من قرّاء أهل حروراء ـ. فرجعوا فصلّوا خلف علـيّ الظهر، وانصرفوا معه إلى الكوفة. ثمّ اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم، ولامَ بعضهم بعضاً[٢].

## ٥ / ٣

## صبر الإمام على أذاهم ورفقه بهم

**٢٦٨٣** ـ تاريخ الطبري عن أبي رزين: لمّا وقع التحكيم ورجع عليّ من صفّين رجعوا مباينين له، فلمّا انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل عليّ في الناس الكوفة، ونزلوا بحروراء، فبعث إليهم عبد الله بن عبّاس، فرجع ولم يصنع شيئاً. فخرج إليهم عليّ فكلّمهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم، فدخلوا الكوفة.

فأتاه رجل فقال: إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رجعت لهم عن كفرك.

فخطب الناسَ في صلاة الظهر، فذكر أمرهم، فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حُكم إلّا لله.

واستقبله رجل منهم واضع إصبعيه في أُذنيه، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٣].

فقال عليّ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[٤] [٥].

---

(١) العنكبوت: ١ و٢.

(٢) العقد الفريد: ٣ / ٣٤٥، جواهر المطالب: ٢ / ٦٩.

(٣) الزمر: ٦٥.

(٤) الروم: ٦٠.

(٥) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٣، البداية والنهاية: ٧ / ٢٨٥.

**٢٦٨٤ ـ الإمام الصادق** عليه السلام : إنّ عليّاً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوّا وهو خلفه : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ . فأنصتَ عليّ عليه السلام ؛ تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ، ثمّ عاد في قراءته ، ثمّ أعاد ابن الكوّا الآية ، فأنصت عليّ عليه السلام أيضاً ، ثمّ قرأ ، فأعاد ابن الكوّا فأنصت عليّ عليه السلام ، ثمّ قال : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ، ثمّ أتمّ السورة ، ثمّ ركع[1] .

**٢٦٨٥ ـ** مروج الذهب عن الصلت بن بهرام : لمّا قدم عليّ الكوفة جعلت الحروريّة تناديه وهو على المنبر : جزعتَ من البليّة ، ورضيتَ بالقضيّة ، وقبلتَ الدنيّة ، لا حكم إلّا لله . فيقول : حكم الله أنتظر فيكم .

فيقولون : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ .

فيقول عليّ : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[2] .

**٢٦٨٦ ـ** تاريخ الطبري عن كثير بن بهز الحضرمي : قام عليّ في الناس يخطبهم ذات يوم ، فقال رجل ـ من جانب المسجد ـ : لا حكم إلّا لله . فقام آخر فقال مثل ذلك ، ثمّ توالى عدّة رجال يحكّمون .

فقال عليّ : الله أكبر ، كلمة حقّ يلتمس بها باطل ! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما

---

(١) تهذيب الأحكام : ٣ / ٣٥ / ١٢٧ عن معاوية بن وهب ، المناقب لابن شهر آشوب : ٢ / ١١٣ من دون إسناد إلى المعصوم ؛ المستدرك على الصحيحين : ٣ / ١٥٨ / ٤٧٠٤ ، السنن الكبرى : ٢ / ٣٤٨ / ٣٣٢٧ كلاهما عن أبي يحيى نحوه وليس فيهما «ابن الكوّاء» .

(٢) مروج الذهب : ٢ / ٤٠٦ ، أنساب الأشراف : ٣ / ١٢٨ وراجع تاريخ الطبري : ٥ / ٧٣ والبداية والنهاية : ٧ / ٢٨٢ .

صحبتمونا : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا . ثمّ رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته[1].

٢٦٨٧ ـ دعائم الإسلام : خطب [عليّ ﷺ] بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال : لا حكم إلّا لله . فسكت عليّ ، ثمّ قام آخر وآخر ، فلمّا أكثروا عليه قال : كلمة حقّ يراد بها باطل ، لكم عندنا ثلاث خصال : لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها ، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به ، وأشهد لقد أخبرني النبيّ الصادق عن الروح الأمين عن ربّ العالمين أنّه لا يخرج علينا منكم فرقة ـ قلّت أو كثرت إلى يوم القيامة ـ إلّا جعل الله حتفها على أيدينا ، وأنّ أفضل الجهاد جهادكم ، وأفضل الشهداء مَن قتلتموه ، وأفضل المجاهدين من قتلكم ؛ فاعملوا ما أنتم عاملون ، فيوم القيامة يخسر المبطلون ، و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[2][3].

٢٦٨٨ ـ تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي : إنّ عليّاً خرج ذات يوم يخطب ، فإنّه لفي خطبته إذ حكّمت المحكّمة في جوانب المسجد ، فقال عليّ : الله أكبر ، كلمة حقّ يُراد بها باطل ! إن سكتوا عممناهم ، وإن تكلّموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم .

---

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٧٣ ، السنن الكبرى : ٨ / ٣١٩ / ١٦٧٦٣ عن كثير بن نمر ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٩٨ ، البداية والنهاية : ٧ / ٢٨٢ ؛ الإيضاح : ٤٧٤ ، المناقب للكوفي : ٢ / ٣٤١ / ٨١٨ عن كثير بن نمر وكلّها نحوه وراجع البداية والنهاية : ٧ / ٢٨٥ .

(٢) الأنعام : ٦٧ .

(٣) دعائم الإسلام : ١ / ٣٩٣ وراجع تاريخ ابن خلدون : ٢ / ٦٣٧ .

فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال: الحمد لله غير مودَّع ربّنا، ولا مستغنىً عنه. اللهمّ، إنّا نعوذ بك من إعطاء الدنيّة في ديننا؛ فإنّ إعطاءً الدنيّة في الدين إدهان في أمر الله عزّ وجلّ، وذلّ راجع بأهله إلى سخط الله. يا عليّ، أبالقتل تخوّفنا؟ أما والله، إنّي لأرجو أن نضربكم بها عمّا قليل غير مصفحات، ثمّ لتعلمنّ أيّنا أولى بها صلياً. ثمّ خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم فأُصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأُصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة[1].

**٢٦٨٩ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من كلام له في الخوارج لمّا سمع قولهم: لا حكم إلّا لله ـ: كلمة حقّ يراد بها باطل! نعم، إنّه لا حكم إلّا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلّا لله، وإنّه لابدّ للناس من أمير؛ برٍّ أو فاجر؛ يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلّغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدوّ، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القويّ، حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر[2].

**٢٦٩٠ ـ نهج البلاغة**: روي أنّه عليه السلام كان جالساً في أصحابه، فمرّت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وإنّ ذلك سبب هِبابها[3]، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنّما هي امرأة كامرأته.

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله، كافراً ما أفقهه!

فوثب القوم ليقتلوه. فقال عليه السلام: رويداً؛ إنّما هو سبٌّ بسبّ، أو عفوٌ عن ذنب[4].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠، بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٥٨ / ٥٩٣ وراجع أنساب الأشراف: ٣ / ١٣٥.

(٣) الهِبّة ـ بالكسر ـ: هياج الفحل، وهَبَّ التيس هِبابا: هاجَ ونَبَّ للسّفاد (لسان العرب: ١ / ٧٧٨).

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٠، المناقب لابن شهر آشوب: ٢ / ١١٣ وفيه «هناتها» بدل «هِبابها».

## ٣ / ٦

# بيعتهم عبد الله بن وهب

**٢٦٩١ ـ تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة :** إنّ عليّاً لمّا بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله عبدُ الله بن وهب وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فوَالله ماينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا ـ التي الرضا بها والركون بها والإيثار إيّاها عناء وتبار ـ آثر عندهم من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بالحقّ ، وإن منّ وضُرّ فإنّه مَن يُمنّ ويُضرّ في هذه الدنيا فإنّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله عزّ وجلّ والخلود في جنّاته . فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلّة .

فقال له حرقوص بن زهير : إنّ المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإنّ الفراق لها وشيك ، فلا تدعونّكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتنّكم عن طلب الحقّ ، وإنكار الظلم ، فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون .

فقال حمزة بن سنان الأسدي : يا قوم ! إنّ الرأي ما رأيتم ، فولّوا أمركم رجلاً منكم ، فإنّه لابدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفّون بها ، وترجعون إليها . فعرضوها على زيد بن حصين الطائي ، فأبى ، وعرضوها على حرقوص بن زهير ، فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي ، فأبيا ، وعرضوها على عبد الله بن وهب ، فقال : هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا

أدَعها فَرَقاً[1] مِنَ الموت . فبايعوه لعشرٍ خلونَ من شوّال، وكان يقال له : ذو الثفنات .

ثمّ اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقال ابن وهب : اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله ، فإنّكم أهل الحقّ .

قال شريح : نخرج إلى المدائن فننزلها ، ونأخذ بأبوابها ، ونُخرج منها سكّانها ، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا .

فقال زيد بن حصين : إنّكم إن خرجتم مجتمعين اتُّبعتم ، ولكن اخرجوا وحداناً مستخفين ، فأمّا المدائن فإنّ بها من يمنعكم ، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان وتُكاتِبوا إخوانكم من أهل البصرة . قالوا : هذا الرأي .

وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يُعلمهم ما اجتمعوا عليه ، ويحثّهم على اللحاق بهم ، وسيّر الكتاب إليهم ، فأجابوه أنّهم على اللحاق به .

فلمّا عزموا على المسير تعبّدوا ليلتهم ؛ وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، وساروا يوم السبت ، فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ* وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2] [3] .

---

(١) الفَرَق : الخوف (لسان العرب : ١٠ / ٣٠٤).

(٢) القصص : ٢١ و ٢٢.

(٣) تاريخ الطبري : ٥ / ٧٤، الكامل في التاريخ : ٢ / ٣٩٨، الأخبار الطوال : ٢٠٢ نحوه وفيه «حمزة بن سيّار ويزيد بن حصين» بدل «حمزة بن سنان وزيد بن حصين» وراجع أنساب الأشراف : ٣ / ١٣٧.

## ٣ / ٧

# قتلهم ابن خباب وامرأته وهي حبلى

**٢٦٩٢ ـ مسند ابن حنبل عن أيّوب عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان** من الخوارج ثمّ فارقهم قال : دخلوا قرية ، فخرج عبد الله بن خبّاب ، ذعراً يجرّ رداءه ، فقالوا : لم تُرَعْ ؟ قال : والله لقد رعتموني !

قالوا : أنت عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ ؟

قال : نعم . قالوا[١] : فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدّثه عن رسول الله ﷺ تحدّثناه ؟

قال : نعم ، سمعته يحدّث عن رسول الله ﷺ أنّه ذكر فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . قال : فإن أدركتَ ذلك فكُن عبد الله المقتول ـ قال أيّوب : ولا أعلمه إلّا قال : ولا تكُن عبد الله القاتل ـ .

قالوا : أأنت سمعت هذا من أبيك يحدّثه عن رسول الله ﷺ ؟

قال : نعم .

قال : فقدّموه على ضفّة النهر ، فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنّه شراك نعل ما ابذقرّ[٢] ، وبقروا أُمّ ولده عمّا في بطنها[٣] .

---

(١) في المصدر : «قال» ، والتصحيح من تاريخ الطبري .

(٢) ما ابذقرّ دمُه : ما تفرّق ولا تمذّر (لسان العرب : ٤ / ٥١) .

(٣) مسند ابن حنبل : ٧ / ٤٥٢ / ٢١١٢١ ، تاريخ الطبري : ٥ / ٨١ ، الطبقات الكبرى : ٥ / ٢٤٥ وفيه ⇔

**٢٦٩٣ـ تاريخ الطبري عن حميد بن هلال:** إنّ الخارجة التي أقبلت من البصرت جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوف بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه، فتهدّدوه وأفزعوه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ. ثمّ أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض، وكان سقط عنه لمّا أفزعوه.

فقالوا له: أفزعناك؟

قال: نعم.

قالوا له: لا رَوع عليك، فحدّثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبيّ ﷺ؛ لعلّ الله ينفعنا به.

قال: حدّثني أبي عن رسول الله ﷺ أنّ فتنة تكون، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويُصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً.

فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟

فأثنى عليهما خيراً.

قالوا: ما تقول في عثمان، في أوّل خلافته وفي آخرها؟

قال: إنّه كان محقّاً في أوّلها وفي آخرها.

---

⇐ «أيّوب بن حميد بن هلال»، مسند أبي يعلى: ٦/ ٣٧٤/ ٧١٨٠، أنساب الأشراف: ٣/ ١٤٣ نحوه، تاريخ بغداد: ١/ ٢٠٥/ ٤٦ نحوه وذكر فيه أيضاً «إنّ عبد الله بن خبّاب ولد في زمان رسول الله ﷺ؛ وكان موصوفاً بالخير والصلاح والفضل» وفي ج ٧/ ٢٣٧: إنّ عبد الله بن خبّاب كان عامل الإمام عليّ عليه السلام على النهروان.

قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟

قال: إنّه أعلم بالله منكم، وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة.

فقالوا: إنّك تتّبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنّك قتلة ما قتلناها أحداً. فأخذوه فكتّفوه، ثمّ أقبلوا به وبامرأته وهي حُبلى متمّ[1]، حتى نزلوا تحت نخل مواقر، فسقطت منه رطبة، فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه، فقال أحدهم: بغير حلّها وبغير ثمن! فلفظها وألقاها من فمه. ثمّ أخذ سيفه؛ فأخذ يمينه فمرّ به خنزير لأهل الذمّة، فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض! فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره.

فلمّا رأى ذلك منهم ابن خبّاب قال: لئن كنتُم صادقين فيما أرى فما عليَّ منكم بأسٌ، إنّي لمسلم، ما أحدثتُ في الإسلام حَدَثاً، ولقد أمّنتموني؛ قلتم: لا رَوع عليك.

فجاؤوا به فأضجعوه، فذبحوه، وسال دمه في الماء. وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: أنّي إنّما أنا امرأة، ألا تتّقون الله! فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا اُمّ سنان الصيداويّة[2].

---

(١) أتمّت الحُبلى فهي مُتِمٌّ: إذا تمّت أيّام حملها (لسان العرب: ١٢ / ٦٨).

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٨١، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٣، أنساب الأشراف: ٣ / ١٤٢ عن أبي مجلز، الإمامة والسياسة: ١ / ١٦٧ كلاهما نحوه.

## ٤ / ١

## خطبة الإمام قبل المسير إلى الشام

٢٦٩٤ ـ تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة : لمّا خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكّة وردّ عليٌّ ابنَ عبّاس إلى البصرة ، قام في الكوفة فخطبهم ، فقال :

الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل ، وأشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله .

أمّا بعد ، فإنّ المعصية تورث الحسرة ، وتُعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري ، ونحلتكم رأيي ، لو كان لقصير أمر ! ولكن أبيتم إلّا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

أمَرتُهم أمري بمُنعرجِ اللوى ... فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلّا ضُحَى الغَدِ

ألا إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجّة بيّنة، ولا سنّة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبرئ اللهُ منهما ورسولُه وصالحُ المؤمنين. استعدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الإثنين[1].

## ٤ / ٢

## استنصار الإمام الخوارج في قتال معاوية

**٢٦٩٥ـ تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة: كتب [عليّ عليه السلام] إلى الخوارج بالنهر:**

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين، وعبد الله بن وهب، ومن معهما من الناس.

أمّا بعد، فإنّ هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله، واتّبعا أهواءهما بغير هدىً من الله، فلم يعملا بالسنّة، ولم يُنفذا للقرآن حكماً، فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبِلوا؛ فإنّا سائرون إلى عدوّنا وعدوّكم، ونحن على الأمر الأوّل الذي كنّا عليه. والسلام.

وكتبوا إليه: أمّا بعد، فإنّك لم تغضب لربّك، إنّما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلّا فقد نابذناك على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٧، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٠، أنساب الأشراف: ٣ / ١٤٠ عن عامر الشعبي وجبر بن نوف وغيرهما، مروج الذهب: ٢ / ٤١٢، البداية والنهاية: ٧ / ٢٨٧ عن الشعبي وفيه إلى «ضحى الغد»؛ نهج البلاغة: الخطبة ٣٥ وفيه من «الحمد لله» إلى «ضحى الغد» والأربعة الأخيرة نحوه.

فلمّا قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدَعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم[1].

**٢٦٩٦ ـ أنساب الأشراف عن أبي مجلز:** بعث عليّ إلى الخوارج أن سيروا إلى حيث شئتم، ولا تفسدوا في الأرض؛ فإنّي غير هائجكم ما لم تحدثوا حدثاً.

فساروا حتى أتوا النهروان، وأجمع عليّ على إتيان صفّين، وبلغ معاوية فسار حتى أتى صفّين.

وكتب عليّ إلى الخوارج ـ بالنهروان ـ: أمّا بعد، فقد جاءكم ما كنتم تريدون، قد تفرّق الحكمان على غير حكومة ولا اتّفاق، فارجعوا إلى ما كنتم عليه، فإنّي أُريد المسير إلى الشام.

فأجابوه: أنّه لا يجوز لنا أن نتّخذك إماماً وقد كفرت حتى تشهد على نفسك بالكفر، وتتوب كما تبنا، فإنّك لم تغضب لله، إنّما غضبت لنفسك.

فلمّا قرأ جواب كتابه إليهم يئس منهم، فرأى أن يمضي من معسكره بالنخيلة وقد كان عسكرَ بها حين جاء خبر الحكمين إلى الشام، وكتب إلى أهل البصرة في النهوض معه[2].

## ٣/٤

## نزول عسكر الإمام بالنّخيلة

**٢٦٩٧ ـ الأخبار الطوال** ـ بعد ذكر رسالة الإمام عليه السلام إلى الخوارج وجوابهم له ـ: لمّا قرأ عليّ كتابهم يئس منهم، ورأى أن يَدعهم على حالهم، ويسير إلى الشام؛

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ٧٧، الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٠١، الأخبار الطوال: ٢٠٦ نحوه وراجع البداية والنهاية: ٧/ ٢٨٧.

(٢) أنساب الأشراف: ٣/ ١٤١.

ليعاود معاوية الحرب، فسار بالناس حتى عسكر بالنخيلة، وقال لأصحابه: تأهّبوا للمسير إلى أهل الشام، فإنّي كاتب إلى جميع إخوانكم ليقدموا عليكم، فإذا وافوا شخَصنا إن شاء الله.

ثمّ كتب كتابه إلى جميع عمّاله أن يخلّفوا خلفاءهم على أعمالهم، ويقدموا عليه[1].

**٢٦٩٨ ـ تاريخ الطبري عن جبر بن نوف:** إنّ عليّاً لمّا نزل بالنخيلة وأيس من الخوارج، قام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هُلْكِه، إلّا أن يتداركه الله بنعمة، فاتّقوا الله، وقاتلوا من حادّ الله، وحاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الخاطئين الضالّين، القاسطين المجرمين، الذين ليسوا بقرّاء للقرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام. والله، لو ولَوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل؛ تيسّروا وتهيّؤوا للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخَصنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وكتب عليّ إلى عبد الله بن عبّاس ـ مع عتبة بن الأخنس بن قيس من بني سعد بن بكر ـ: أمّا بعد، فإنّا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة، وقد أجمعنا على المسير إلى عدوّنا من أهل المغرب، فاشخص بالناس حتى يأتيك رسولي، وأقِم حتى يأتيك أمري. والسلام[2].

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٠٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٨، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠١ وراجع الأخبار الطوال: ٢٠٦.

## ٤ / ٤

# إصرار الجيش على قتال الخوارج قبل المسير

**٢٦٩٩ـ مروج الذهب** : نزل عليّ الأنبار[1] ، والتأمت إليه العساكر ، فخطب الناس ، وحرّضهم على الجهاد ، وقال : سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار قدماً ؛ فإنّهم طالما سعوا في إطفاء نور الله ، وحرّضوا على قتال رسول الله ﷺ ومن معه .

ألا إنّ رسول الله أمرني بقتال القاسطين ؛ وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم ، والناكثين ؛ وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم ، والمارقين ؛ ولم نلقَهم بعد .

فسيروا إلى القاسطين ؛ فهم أهمّ علينا من الخوارج ، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين ، يتّخذهم الناس أرباباً ، ويتّخذون عباد الله خَولاً[2] ، ومالهم دولاً .

فأبوا إلّا أن يبدؤوا بالخوارج ، فسار عليّ إليهم[3] .

**٢٧٠٠ـ تاريخ الطبري عن أبي الصلت التيمي** : بلغ عليّاً أنّ الناس يقولون : لو سار بنا إلى هذه الحروريّة فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجّهنا من وجّهنا ذلك إلى المحلّين . فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّه قد بلغني

---

(١) الأنبار : من نواحي بغداد على شاطئ الفرات على بعد عشرة فراسخ، كان بها مقام السفّاح أوّل خلفاء بني العبّاس (تقويم البلدان : ٣٠١).

(٢) أي خَدَماً وعبيداً (لسان العرب : ١١ / ٢٢٥).

(٣) مروج الذهب : ٢ / ٤١٥ ، مسند ابن حنبل : ١ / ١٩٨ / ٧٠٦ وفيه «عن زيد بن وهب : لمّا خرجت الخوارج بالنهروان قام عليّ ؑ في أصحابه فقال : إنّ هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا في سَرْح الناس ، وهم أقرب العدوّ إليكم ، وإن تسيروا إلى عدوّكم أنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم» .

قولكم : لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجّهنا إلى المحلّين ، وإنّ غير هذه الخارجة أهمّ إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين ملوكاً ، ويتّخذوا عباد الله خَوَلاً .

فتنادى الناس من كلّ جانب : سِر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت[١] .

**٢٧٠١ ـ الإمامة والسياسة** : قام عليّ فيهم [أهل الكوفة] خطيباً ، فقال : أمّا بعد ، فقد بلغني قولكم : لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا ، فبدأنا بهم ، إلّا أنّ غير هذه الخارجة أهمّ على أمير المؤمنين ، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الأرض جبّارين ملوكاً ، ويتّخذهم المؤمنون أرباباً ، ويتّخذون عباد الله خَوَلاً ، ودعوا ذكر الخوارج .

قال : فنادى الناس من كلّ جانب : سِر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت ، فنحن حزبك وأنصارك ؛ نعادي من عاداك ، ونُشايع من أناب إليك وإلى طاعتك ، فسِر بنا إلى عدوّك كائناً من كان ، فإنّك لن تؤتى من قلّة ولا ضعف ؛ فإنّ قلوب شيعتك كقلب رجل واحد في الاجتماع على نصرتك ، والجدّ في جهاد عدوّك ، فأبشر يا أمير المؤمنين بالنصر ، واشخص إلى أيّ الفريقين أحببت ، فإنّا شيعتك التي ترجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله ، تخاف من الله في خذلانك والتخلّف عنك شديد الوبال .

فبايعوه على التسليم والرضا ، وشرط عليهم كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله[٢] .

---

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٨٠ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٢ .

(٢) الإمامة والسياسة : ١ / ١٦٦ .

## ١ / ٥

# ما أدّى إلى تطوّر موقف الإمام في مواجهة الخوارج

**٢٧٠٢ـ** تاريخ الطبري عن حميد بن هلال ـ بعد أن ذكر أنّ الخوارج قتلوا عبد الله ابن خبّاب وامرأته ـ: وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا أُمّ سنان الصيداويّة، فبلغ ذلك عليّاً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خبّاب واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه، ولا يكتمه.

فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسائلهم، فخرج القوم إليه فقتلوه. وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين علامَ تدَع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا؟! سِر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم سرنا إلى عدوّنا من أهل الشام.

وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فكلّمه بمثل ذلك ـ وكان الناس يرون أنّ الأشعث يرى رأيهم ؛ لأنّه كان يقول يوم صفّين أنصفنا قومٌ يدعون إلى كتاب الله ، فلمّا أمر عليّاً بالمسير إليهم علم الناس أنّه لم يكن يرى رأيهم ـ فأجمع على ذلك ، فنادى بالرحيل[١].

## ٥ / ٢

## إشخاص الإمام قيس بن سعد إليهم قبل المسير

**٢٧٠٣ ـ تاريخ الطبري عن عبد الله بن عوف :** لمّا أراد عليّ المسير إلى أهل النهر من الأنبار قدّم قيس بن سعد بن عبادة ، وأمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره . ثمّ جاء مقبلاً إليهم ، ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر ، وبعث إلى أهل النهر : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثمّ أنا تارككم وكافّ عنكم حتى ألقى أهل الشام ، فلعلّ الله يقلّب قلوبكم ، ويردّكم إلى خير ممّا أنتم عليه من أمركم .

فبعثوا إليه ، فقالوا : كلّنا قتلتهم ، وكلّنا نستحلّ دماءهم ودماءكم[٢] .

**٢٧٠٤ ـ تاريخ الطبري عن عبد الرحمن بن أبي الكنود :** إنّ قيس بن سعد بن عبادة قال لهم [أهل النهروان] : عباد الله ! أخرجوا إلينا طلبتنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم ، وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم ، فإنّكم ركبتم عظيماً من الأمر ؛ تشهدون علينا بالشرك ، والشرك ظلم عظيم ، وتسفكون دماء

---

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٨٢ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٣ ، أنساب الأشراف : ٣ / ١٤٢ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٦٨ كلاهما نحوه وراجع الأخبار الطوال : ٢٠٧ والبداية والنهاية : ٧ / ٢٨٨ .

(٢) تاريخ الطبري : ٥ / ٨٣ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٤ ، مروج الذهب : ٢ / ٤١٥ ، الإمامة والسياسة : ١ / ١٦٨ و فيها من «بعث إلى أهل النهر ...» ، البداية والنهاية : ٧ / ٢٨٨ .

المسلمين وتعدّونهم مشركين.

فقال عبد الله بن شجرة السلمي: إنّ الحقّ قد أضاء لنا فلسنا نتابعكم، أو تأتونا بمثل عمر. فقال: ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ وقال: نشدتكم بالله في أنفسكم أن تهلكوها: فإنّي لأرى الفتنة قد غلبت عليكم.

وخطبهم أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري، فقال: عباد الله! إنّا وإيّاكم على الحال الأُولى التي كنّا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلامَ تقاتلوننا؟

فقالوا إنّا لو بايعناكم اليوم حكمتم غداً.

قال: فإنّي أنشدكم الله أن تعجّلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل[1].

## ٣/٥

# نزول الإمام على فرسخين من النهروان

**٢٧٠٥ ـ الفتوح**: سار عليّ عليه السلام حتى نزل على فرسخين من النهروان، ثمّ دعا بغلامه فقال له: اركب إلى هؤلاء القوم، وقل لهم عنّي: ما الذي حملكم على الخروج عليَّ، ألم أقصد في حكمكم؟ ألم أعدل في قسمكم؟ ألم أقسم فيكم فيئكم؟ ألم أرحم صغيركم؟ ألم أُوقّر كبيركم؟ ألم تعلموا أنّي لم أتّخذكم خَولاً، ولم أجعل مالكم نفلاً؟ وانظر ماذا يردّون عليك، وإن شتموك فاحتمل، وإيّاك أن تردّ على أحد منهم شيئاً.

فأقبل غلام عليّ حتى أشرف على القوم بالنهروان، فقال لهم ما أمره به، فقالت له الخوارج: ارجع إلى صاحبك؛ فلسنا نجيبه إلى شيء يريده أبداً، وإنّا

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٣، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٤، الأخبار الطوال: ٢٠٧ نحوه.

نخاف أن يردّنا بكلامه الحسن كما ردّ إخوانـنا بـحروراء عـبد الله بـن الكـوّاء وأصحابه، والله تعالى يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1]، ومـولاك عـليّ مـنهم، فارجع إليه وخبّره بأنّ اجتماعنا هاهنا لجهاده ومحاربته، لا لغير ذلك[2].

## ٥ / ٤

## إخبار الإمام بما سيقع في الحرب

**٢٧٠٦ ـ الكامل في التاريخ**: إنّ الخوارج قصدوا جسر النهر وكانوا غربه، فقال لعليّ أصحابُه: إنّهم قد عبروا النهر!

فقال: لن يعبروا.

فأرسلوا طليعة، فعاد وأخبرهم أنّهم عبروا النهر، وكان بينهم وبينه نطفة مـن النهر، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم، فعاد فقال: إنّهم قد عبروا النهر.

فقال عليٌّ: والله ما عبروه، وإنّ مصارعهم لدون الجسر، ووالله لا يُقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة.

وتقدّم عليّ إليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه، وكان الناس قـد شكّـوا فـي قوله، وارتاب به بعضهم، فلمّا رأوا الخوارج لم يـعبروا كـبّروا، وأخـبروا عـليّاً بحالهم.

فقال: والله، ما كذبتُ ولا كُذّبت[3].

**٢٧٠٧ ـ الإمام عليّ** ﷺ ـ لمّا عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إنّ القوم عبروا

---

(١) الزخرف: ٥٨.

(٢) الفتوح: ٤ / ٢٦١.

(٣) الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٥. راجع: القتال / استبشار الناس بظهور آية من آيات النبوّة.

جسر النهروان ـ: مصارعهم دون النطفة[١]، والله، لا يُفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة[٢].

**٢٧٠٨ ـ الكامل للمبرّد**: قد قال عليٌّ وقيل له: إنّهم يريدون الجسر، فقال: لن يبلغوا النطفة. وجعل الناس يقولون له في ذلك، حتى كادوا يشكّون، ثمّ قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين! فقال: والله، ما كذبتُ ولا كُذّبت.

ثمّ خرج إليهم في أصحابه وقد قال لهم: إنّه والله ما يُقتل منكم عشرة، ولا يُفلت منهم عشرة. فقُتل من أصحابه تسعة، وأفلت منهم ثمانية[٣].

**٢٧٠٩ ـ كنز العمّال عن أبي سليمان المرعش**: لمّا سار عليٌّ إلى النهروان سرت معه، فقال عليٌّ: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لا يقتلون منكم عشرةً، ولا يبقى منهم عشرةٌ. فلمّا سمع الناس ذلك حملوا عليهم، فقتلوهم[٤].

**٢٧١٠ ـ الإرشاد عن جندب بن عبد الله الأزدي**: شهدت مع عليّ عليه السلام الجمل وصفّين لا أشكّ في قتال من قاتله، حتى نزلنا النهروان، فدخلني شكّ، وقلت: قرّاؤنا وخيارنا نقتلهم؟! إنّ هذا لأمر عظيم.

فخرجت غدوة أمشي ومعي إداوة[٥] ماء، حتى برزت عن الصفوف، فركزت رمحي، ووضعت تُرْسي إليه، واستترت من الشمس، فإنّي لجالس حتى ورد

---

(١) قال الشريف الرضي: يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء، وإن كان كثيراً جمّاً.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥٩، كشف الغمّة: ١ / ٢٦٧، المناقب لابن شهر آشوب: ٢ / ٢٦٣، إعلام الورى: ١ / ٣٣٨ كلّها نحوه وليس فيها «مصارعهم دون النطفة».

(٣) الكامل للمبرّد: ٣ / ١١٠٥ وراجع مروج الذهب: ٢ / ٤١٦.

(٤) كنز العمّال: ١١ / ٣٢٢ / ٣١٦٢٥ نقلاً عن يعقوب بن شيبة في كتابه «مسير عليّ».

(٥) الإداوة: إناء صغير من جلد يتّخذ للماء كالسطيحة ونحوها (لسان العرب: ١٤ / ٢٥).

عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لي : يا أخا الأزد ، أمعك طَهور ؟ قلت : نعم ، فناولته الإداوة ، فمضى حتى لم أرَه ، ثمّ أقبل وقد تطهّر فجلس في ظلّ التُّرس ، فإذا فارس يسأل عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا فارس يريدك ، قال : فأشر إليه ، فأشرت إليه ، فجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عبر القوم وقد قطعوا النهر !

فقال : كلّا ، ما عبروا .

قال : بلى ، والله لقد فعلوا .

قال : كلّا ، ما فعلوا .

قال : فإنّه لكذلك إذ جاء آخر فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عبر القوم !

قال : كلّا ، ما عبروا .

قال : والله ، ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب ، والأثقال .

قال : والله ما فعلوا ، وإنّه لمصرعهم ومهراق دمائهم .

ثمّ نهض ونهضت معه ، فقلت في نفسي : الحمد لله الذي بصّرني هذا الرجل ، وعرّفني أمره ، هذا أحد رجلين : إمّا رجل كذّاب جريء ، أو على بيّنة من ربّه وعهدٍ من نبيّه ، اللهمّ ! إنّي أُعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أوّل من يقاتله ، وأوّل من يطعن بالرمح في عينه ، وإن كانوا لم يعبروا أن أُقيم على المناجزة والقتال .

فدفعنا[1] إلى الصفوف ، فوجدنا الرايات والأثقال كما هي ، قال : فأخذ بقفاي ودفعني ، ثمّ قال : يا أخا الأزد ، أتَبيّنَ لك الأمر ؟ قلت : أجل يا أمير المؤمنين .

---

(١) دَفَع إلى المكان ودُفِع : انتهى (لسان العرب : ٨ / ٨٩) .

قال: فشأنك بعدوّك. فقتلت رجلاً، ثمّ قتلت آخر، ثمّ اختلفت أنا ورجل آخر أضربه ويضربني فوقعنا جميعاً، فاحتملني أصحابي، فأفقت حين أفقت وقد فرغ القوم[1].

٢٧١١ ـ شرح نهج البلاغة: لمّا خرج عليّ عليه السلام إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مقدّمته يركض، حتى انتهى إلى عليّ عليه السلام فقال: البشرى يا أمير المؤمنين!

قال: ما بشراك؟

قال: إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك، فأبشر؛ فقد منحك الله أكتافهم.

فقال له: آلله أنت رأيتهم قد عبروا!

قال: نعم.

فأحلفه ثلاث مرّات، في كلّها يقول: نعم. فقال عليّ: والله، ما عبروه، ولن يعبروه، وإنّ مصارعهم لدون النطفة، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث ولا قصر بوازن حتى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى.

قال: ثمّ أقبل فارس آخر يركض، فقال كقول الأوّل، فلم يكترث عليّ عليه السلام بقوله وجاءت الفرسان تركض، كلّها تقول مثل ذلك.

فقام عليّ عليه السلام فجال في متن فرسه.

قال: فيقول شابّ من الناس: والله، لأكوننّ قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر

---

(١) الإرشاد: ١/ ٣١٧، إعلام الورى: ١/ ٣٣٩ وراجع الكافي: ١/ ٣٤٥/ ٢، والمناقب لابن شهر آشوب: ٢/ ٢٦٨ والمعجم الأوسط: ٤/ ٢٢٧/ ٤٠٥١.

لأجعلنّ سنان هذا الرمح في عينه ؛ أيدّعي علم الغيب ! فلمّا انتهى ﷺ إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم ، وعرقبوا خيلهم ، وجثوا على ركبهم ، وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل.[١]

فنزل ذلك الشابّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي كنت شككت فيك آنفاً ، وإنّي تائب إلى الله وإليك ، فاغفر لي !

فقال عليّ ﷺ : إنّ الله هو الذي يغفر الذنوب ، فاستغفره[٢].

راجع: القسم الثالث عشر / اخباره بالأمور الغيبيّة /مصير الخوارج.

---

(١) الزَّجَل : رفع الصوت الطَّرِب (لسان العرب : ١١ / ٣٠٢).

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٧١ ؛ بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٤٨ / ٥٨٧.

## ٦ / ١

# احتجاجات الإمام عليهم

٢٧١٢ ـ نهج البلاغة :من كلام له ﷺ قاله للخوارج ،وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال ﷺ : أكُلّكم شهد معنا صفّين ؟

فقالوا : منّا من شهد ، ومنّا من لم يشهد .

قال : فامتازوا فرقتين ؛ فليكن من شهد صفّين فرقة ، ومن لم يشهدها فرقة ، حتى أُكلّم كلًّا منكم بكلامه . ونادى الناس ، فقال : أمسكوا عن الكلام ، وأنصتوا لقولي ، وأقبِلوا بأفئدتكم إليَّ ، فمن نشدناه شهادة فليقُل بعلمه فيها .

ثمّ كلّمهم ﷺ بكلام طويل ، من جملته أن قال ﷺ : ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكراً وخديعة : إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه ، فالرأي القبول منهم ، والتنفيس عنهم ؟

فقلت لكم : هذا أمر ظاهره إيمان ، وباطنه عدوان ، وأوّله رحمة ، وآخره ندامة ، فأقيموا على شأنكم ، والزموا طريقتكم ، وعضّوا على الجهاد بنواجذكم ، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق ؛ إن أُجيبَ أضلّ ، وإن تُرك ذلّ .

وقد كانت هذه الفَعلة ، وقد رأيتُكم أعطيتُموها . والله لئن أبَيتُها ما وجبت عليَّ فريضتها ، ولا حمّلني الله ذنبها . ووالله ، إن جئتُها إنّي للمحقّ الذي يُتّبع ، وإنّ الكتاب لمعي ، ما فارقته مذ صحبته ، فلقد كنّا مع رسول الله ﷺ وإنّ القتل ليدور على الآباء والأبناء ، والإخوان والقرابات ، فما نزداد على كلّ مصيبة وشدّة إلّا إيماناً ، ومضيّاً على الحقّ ، وتسليماً للأمر ، وصبراً على مَضَض[1] الجراح .

ولكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج ، والشبهة والتأويل . فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا ، ونتدانى بها إلى البقيّة فيما بيننا ، رغبنا فيها ، وأمسكنا عمّا سواها[2] .

**٢٧١٣ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ من كلام له يكشف للخوارج الشبهة ـ : فإن أبيتم إلّا أن تزعموا أنّي أخطأت وضللت ، فلِمَ تُضلّلون عامّة أُمّة محمّد ﷺ بضلالي ، وتأخذونهم بخطئي ، وتُكفّرونهم بذنوبي ؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البُرء والسقم ، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب ! وقد علمتم أنّ رسول الله ﷺ رجم الزاني المحصن ، ثمّ صلّى عليه ، ثمّ ورّثه أهله ، وقتل القاتل ، وورّث ميراثه أهله ، وقطع السارق ، وجلد الزاني غير المحصن ، ثمّ قسم عليهما من الفيء ، ونكحا المسلمات ؛ فأخذهم رسول الله ﷺ بذنوبهم ، وأقام حقّ الله

---

(١) مَضَّني الجُرح : آلَمَني وأوجعني (لسان العرب : ٧ / ٢٣٣) .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٢ ، الاحتجاج : ١ / ٤٣٩ / ١٠٠ وفيه من «ألم تقولوا ...» ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٣٦٨ / ٦٠٠ وراجع الإرشاد : ١ / ٢٧٠ .

فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يُخرج أسماءهم من بين أهله.

ثمّ أنتم شرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به تِيهَه[١]! وسيهلك فيَّ صنفان: محبٌّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ، وخير الناس فيَّ حالاً النمط الأوسط، فالزموه، والزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة، وإيّاكم والفرقة؛ فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب.

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هذه، فإنّما حكّم الحكمان ليُحيِيا ما أحيا القرآن، ويُميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه، وإماتته الافتراق عنه. فإن جرّنا القرآن إليهم اتّبعناهم، وإن جرّهم إلينا اتّبعونا. فلم آتِ ـ لا أبا لكم ـ بُجْراً[٢]، ولا خَتَلتكم[٣] عن أمركم، ولا لبّسته عليكم، إنّما اجتمع رأي مِلْئكم على اختيار رجلين، أخذنا عليهما ألّا يتعدّيا القرآن، فتاها عنه، وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما فمضيا عليه. وقد سبق استثناؤنا عليهما ـ في الحكومة بالعدل، والصمد للحقّ ـ سوءَ رأيهما، وجورَ حكمهما[٤].

٢٧١٤ ـ التوحيد عن الأصبغ بن نباتة: لمّا وقف أمير المؤمنين عليّ بن

---

(١) ضرب في الأرض: أسرع وسار وأرض تيه: مظلّة أي يتيه فيها الإنسان (لسان العرب: ١/ ٥٤٤ وج١٣/ ٤٨٢). يعني سلك بهم في ضلالة.

(٢) البُجر: الداهية والأمر العظيم (النهاية: ١/ ٩٧).

(٣) ختله: خدعه عن غفلة (لسان العرب: ١١/ ١٩٩).

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧.

أبي طالب عليه السلام على الخوارج، ووعظهم، وذكّرهم، وحذّرهم القتال، قال لهم: ما تنقمون منّي؟ ألا إنّي أوّل من آمن بالله ورسوله؟!

فقالوا: أنت كذلك، ولكنّك حكّمت في دين الله أبا موسى الأشعري.

فقال عليه السلام: والله، ما حكّمت مخلوقاً، وإنّما حكّمت القرآن، ولولا أنّي غُلبت على أمري وخولفت في رأيي لما رضيتُ أن تضع الحرب أوزارها بيني وبين أهل حرب الله، حتى أُعلي كلمة الله، وأنصر دين الله، ولو كره الكافرون والجاهلون[1].

٢٧١٥ـ تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري: إنّ عليّاً قال لأهل النهر: يا هؤلاء! إنّ أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أنّ القوم سألوكموها مكيدة ودهناً، فأبيتم عليَّ إباء المخالفين، وعدلتم عنّي عدول النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم، وأنتم والله معاشر أخفّاء الهام، سفهاء الأحلام، فلم آتِ ـ لا أبا لكم ـ حراماً.

والله، ما خَبَلَتكم[2] عن أُموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة[3]، ولا دنّيت لكم الضرّاء، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً، فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدواه، فتاها، وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما. وقد

---

(١) التوحيد: ٢٢٥ / ٦، بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٨١ / ٦١٠.

(٢) خَبَلَه: أفسد عقلَه (لسان العرب: ١١ / ١٩٨).

(٣) أوطأني عَشْوةً: لَبّس عليَّ، والمعنى فيه: أنّه حمله على أن يركب أمراً غير مستبين الرشد، فربّما كان فيه عطبه (لسان العرب: ١٥ / ٥٩).

سبق استيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل والصدّ للحقّ سوءَ رأيهما، وجورَ حكمهما. والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ، وأتيا بما لا يعرف.

فبيّنوا لنا: بماذا تستحلّون قتالنا، والخروج من جماعتنا؟ إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم، ثمّ تستعرضوا الناس تضربون رقابهم، وتسفكون دماءهم! إنّ هذا لهو الخسران المبين. والله، لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلُها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام!

فتنادوا: لا تخاطبوهم، ولا تكلّموهم، وتهيؤوا للقاء الربّ، الرواح الرواح إلى الجنّة[1].

**٢٧١٦ ـ** تاريخ الطبري عن زيد بن وهب: إنّ عليّاً أتى أهل النهر فوقف عليهم، فقال:

أيّتها العصابة التي أخرجتها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمح بها النزق[2]، وأصبحت في اللَّبس والخطب العظيم، إنّي نذير لكم أن تصبحوا تلفيكم الأُمّة غداً صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط[3]، بغير بيّنة من ربّكم، ولا برهان بيّن.

ألم تعلموا أنّي نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيّاها منكم

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٤؛ نهج البلاغة: الخطبة ١٧٧ وفيه من «فأجمع رأي ملئكم» إلى «وأتيا بما لا يعرف» وكلاهما نحوه.

(٢) النَّزَق: خِفّة في كلّ أمر وعجلة في جهل وحمق (لسان العرب: ١٠ / ٣٥٢).

(٣) الهِضم: ما تَطَامَنَ من الأرض، وجمعه أهضام، والغائط: المتّسع من الأرض مع طمأنينة (لسان العرب: ١٢ / ٦١٥، ٧ / ٣٦٤).

دهن ومكيدة لكم ، ونبّأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنّي أعرف بهم منكم ، عرفتهم أطفالاً ورجالاً ، فهم أهل المكر والغدر ، وأنّكم إن فارقتم رأيي جانبتُم الحزم ! فعصيتموني ، حتى أقررتُ بأن حكّمت .

فلمّا فعلت شرطت واستوثقت ، فأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا ، وخالفا حكم الكتاب والسنّة ، فنبذنا أمرهما ، ونحن على أمرنا الأوّل ، فما الذي بكم ؟ ومن أين أُتيتم ؟

قالوا : إنّا حكّمنا ،فلمّا حكّمنا أثمنا ، وكنّا بذلك كافرين ، وقد تُبنا ، فإن تبتَ كما تبنا فنحن منك ومعك ، وإن أبيت فاعتزلنا ؛ فإنّا منابذوك على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين .

فقال عليّ : أصابكم حاصب ، ولا بقي منكم وابر ! أبعدَ إيماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهدُ على نفسي بالكفر ! لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . ثمّ انصرف عنهم[١] .

**٢٧١٧ ـ تاريخ بغداد عن جابر :** إنّي لشاهد عليّاً يوم النهروان لمّا أن عاين القوم قال لأصحابه : كفّوا . فناداهم أن أقيدونا[٢] بدم عبد الله بن خبّاب ـ وكان عامل عليّ على النهروان ـ .

قالوا : كلّنا قتله[٣] .

---

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٨٤، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٤، الأخبار الطوال : ٢٠٧ نحوه وراجع المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ١٨٩ .

(٢) القَوَد : القِصاص ، وقتل القاتل بدل القتيل ، وقد أقدتُه به أُقيدُه (النهاية : ٤ / ١١٩).

(٣) تاريخ بغداد : ٧ / ٢٣٧ / ٣٧٢٩ وراجع السنن الكبرى : ٨ / ٣٢٠ / ١٦٧٦٧ وأنساب الأشراف : ٣ / ١٣٦ وتاريخ الطبري : ٥ / ٨٣ والكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٤ والبداية والنهاية : ٧ / ٢٨٨ .

## ٦ / ٢

# خطبة الإمام بين الصفّين

**٢٧١٨ ـ الأخبار الموفّقيّات عن عليّ بن صالح:** لمّا استوى الصفّان بالنهروان تقدّم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بين الصفّين، ثمّ قال:

أمّا بعد، أيّتها العصابة التي أخرجتها عادة المراء والضلالة، وصدف بها عن الحقّ الهوى والزيغ، إنّي نذير لكم أن تصبحوا غداً صرعى بأكناف هذا النهر، أو بملطاط[1] من الغائط، بلا بيّنة من ربّكم ولا سلطان مبين. ألم أنهكم عن هذه الحكومة وأُحذّركموها، وأُعلمكم أنّ طلب القوم لها دَهنٌ منهم ومكيدة؟! فخالفتم أمري وجانبتم الحزم فعصيتموني حتى أقررت بأن حكّمت، وأخذت على الحكمين فاستوثقت، وأمرتهما أن يحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، فخالفا أمري وعملا بالهوى، ونحن على الأمر الأوّل، فأين تذهبون؟ وأين يتاه بكم؟

فقال خطيبهم: أمّا بعد، يا عليّ! فإنّا حين حكّمنا كان ذلك كفراً منّا، فإن تبتَ كما تبنا فنحن معك ومنك، وإن أبيت فنحن منابذوك على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين.

فقال عليّ: أصابكم حاصب[2] ولا بقي منكم وابر[3]، أبعد إيماني بالله،

---

(١) الملطَاط: ساحل البحر (لسان العرب: ٧ / ٣٩٠).

(٢) حاصِب: أي عذاب من الله، وأصلُه رُميتُم بالحصْباء من السماء (النهاية: ١ / ٣٩٤).

(٣) يقال: ما بالدار وابر؛ أي ما بها أحد (لسان العرب: ٥ / ٢٧٣).

وجهادي في سبيل الله، وهجرتي مع رسول الله ﷺ أقرّ بالكفر؟! لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين، ولكن مُنيتُ بمعشر أخفّاء الهام، سفهاء الأحلام، والله المستعان[١].

## ٦ / ٣

## رفع راية الأمان

**٢٧١٩ ـ تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري:** رفع عليّ راية أمان مع أبي أيّوب، فناداهم أبو أيّوب: من جاء هذه الراية منكم ممّن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنّه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم.

فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله، ما أدري على أيّ شيء نقاتل عليّاً؟! لا أرى إلّا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو اتّباعه، وانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجَيْن[٢] والدَّسْكرة، وخرجت طائفة أُخرى متفرّقين فنزلت الكوفة، وخرج إلى عليّ منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة[٣].

**٢٧٢٠ ـ الأخبار الطوال:** رفع عليّ راية، وضمّ إليها ألفي رجل، ونادى:

---

(١) الأخبار الموفّقيّات: ٣٢٥ / ١٨١.

(٢) بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل، وهي من أعمال بغداد (معجم البلدان: ١ / ٤٩٩).

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٦، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٥ وفيه «ألف وثمانمائة» بدل «ألفين وثمانمائة»، أنساب الأشراف: ٣ / ١٤٦، الإمامة والسياسة: ١ / ١٦٩ كلاهما نحوه.

من التجأ إلى هذه الراية فهو آمن.

ثمّ تواقف الفريقان، فقال فروة بن نوفل الأشجعي ـ وكان من رُؤساء الخوارج ـ لأصحابه: يا قوم! والله ما ندري، علامَ نقاتل عليّاً، وليست لنا في قتله حجّة ولا بيان، يا قوم! انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصيرة في قتاله أو اتّباعه.

فترك أصحابه في مواقفهم، ومضى في خمسمائة رجل حتى أتى إلى البندنيجين، وخرجت طائفة أُخرى حتى لحقوا بالكوفة، واستأمن إلى الراية منهم ألف رجل، فلم يبق مع عبد الله بن وهب إلّا أقلّ من أربعة آلاف رجل[1].

---

(١) الأخبار الطوال: ٢١٠.



## ٧ / ١

## الدعاءُ قبل القتال

**٢٧٢١ ـ الإمام الباقر** عليه السلام : إنّ عليّاً عليه السلام كان يدعو على الخوارج فيقول في دعائه : اللهمّ ربّ البيت المعمور ، والسقف المرفوع ، والبحر المسجور ، والكتاب المسطور ، أسألك الظفر على هؤلاء الذين نبذوا كتابك وراء ظهورهم ، وفارقوا أُمّة أحمد عتواً عليك[1].

## ٧ / ٢

## الأمر بالقتال

**٢٧٢٢ ـ** مروج الذهب ـ في ذكر قتال الخوارج ـ : لمّا أشرف [عليّ عليه السلام] عليهم قال : الله أكبر ، صدق الله ورسول الله صلى الله عليه وآله .

---

(١) قرب الإسناد : ٣٧/١٢ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام ، بحار الأنوار : ٦١١/٣٨١/٣٣ .

فتصافَّ القوم، ووقف عليهم بنفسه، فدعاهم إلى الرجوع والتوبة، فأبوا ورموا أصحابه، فقيل له: قد رمونا.

فقال: كفّوا.

فكرّروا القول عليه ثلاثاً وهو يأمرهم بالكفّ، حتى أُتي برجل قتيل متشحّط بدمه.

فقال عليّ: الله أكبر، الآن حلّ قتالهم، احملوا على القوم[1].

**٢٧٢٣ـ** شرح نهج البلاغة عن أبي عبيدة ـ في الخوارج ـ: استنطقهم عليٌّ عليه السلام بقتل عبد الله بن خبّابٍ، فأقرّوا به.

فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبةً كتيبةً.

فتكتّبوا كتائب، وأقرّت كلُّ كتيبة بمثل ما أقرّت به الأُخرى من قتل ابن خبّاب، وقالوا: ولنقتلنَّك كما قتلناه!

فقال عليٌّ: والله، لو أقرّ أهل الدنيا كلُّهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم. ثمّ التفت إلى أصحابه فقال لهم: شدّوا عليهم، فأنا أوّل من يشدُّ عليهم[2].

## ٣/٧

## قتال الإمام بنفسه

**٢٧٢٤ ـ** الكامل للمبرّد: خرج منهم رجل بعد أن قال عليّ رضوان الله عليه:

---

(١) مروج الذهب: ٢/ ٤١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٨٢؛ بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٥٥/ ٥٨٧، مستدرك الوسائل: ١٨/ ٢١٣/ ٢٢٥٣٤، نفس الرحمن في فضائل سلمان: ٦٢ وفيهما إلى «لقتلتهم».

ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد الله بن خبّاب.

فقالوا: كلّنا قتله وشرك في دمه! ثمّ حمل منهم رجل على صفّ عليّ ـ وقد قال عليّ: لا تبدؤوهم بقتال ـ فقتل من أصحاب عليّ ثلاثة وهو يقول:

أقتلهم ولا أرى عليّا ... ولو بدا أوجرتُه الخطّيّا

فخرج إليه عليّ صلوات الله عليه فقتله، فلمّا خالطه السيف قال: حبّذا الروحة إلى الجنّة!

فقال عبد الله بن وهب: ما أدري أإلى الجنّة أم إلى النار؟

فقال رجل من بني سعد: إنّما حضرت اغتراراً بهذا، وأراه قد شكّ!! فانخزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى ناحية أبي أيّوب الأنصاري[1].

**٢٧٢٥** ـ مروج الذهب: حمل رجل من الخوارج على أصحاب عليّ، فجرح فيهم، وجعل يغشى كلّ ناحية، ويقول:

أضربهم ولو أرى عليّا ... ألبسته أبيض مشرفيّا

فخرج إليه عليّ عليه السلام، وهو يقول:

يا أيّهذا المبتغي عليّا ... إنّي أراك جاهلاً شقيّا

قد كنتَ عن كفاحه غنيّا ... هلمّ فابرز ها هنا إليّا

وحمل عليه عليّ، فقتله.

ثمّ خرج منهم آخر، فحمل على الناس، ففتك فيهم، وجعل يكرّ عليهم، وهو يقول:

(١) الكامل للمبرّد: ٣ / ١١٠٥، شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٧٢ وراجع شرح الأخبار: ٢ / ٥٥ / ٤١٦.

أضربهم ولو أرى أباحسن ... ألبسته بصارمي ثوب غَبن

فخرج إليه عليّ وهو يقول:

يا أيّهذا المبتغي أباحسن ... إليك فانظر أيّنا يلقى الغَبن

وحمل عليه عليّ وشكّه بالرمح، وترك الرمح فيه، فانصرف عليّ وهو يقول: لقد رأيتَ أبا حسن فرأيتَ ما تكره[١].

## ٤ / ٧

## مقاتلة الإمام عبد الله بن وهب

**٢٧٢٦ـ الفتوح:** تقدّم عبد الله بن وهب الراسبي حتى وقف بين الجمعين، ثمّ نادى بأعلى صوته: يابن أبي طالب! حتى متى يكون هذه المطاولة بيننا وبينك؟! والله، لا نبرح هذه العرصة أبداً أو تأبى على نفسك، فابرز إليَّ حتى أبرز إليك وذر الناس جانباً.

فتبسّم عليّ ﷺ ثمّ قال: قاتله الله من رجل ما أقلّ حياءه! أما إنّه ليعلم أنّي حليف السيف وجديل الرمح، ولكنّه أيس من الحياة، أو لعلّه يطمع طمعاً كاذباً.

قال: وجعل عبد الله يجول بين الصفّين وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن وهب الراسبي الشاري ... أضرب في القوم لأخذ الثار

حتى تزول دولة الأشرار ... ويرجع الحقّ إلى الأخيار

ثمّ حمل فضربه عليّ ضربة ألحقه بأصحابه[٢].

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٤١٦ وراجع بحار الأنوار: ٣٤ / ٤٥٠.

(٢) الفتوح: ٤ / ٢٧٤؛ كشف اليقين: ٢٠٥ / ٢٠٦، كشف الغمّة: ١ / ٢٦٧ كلاهما نحوه وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٩٠.

## ٧ / ٥

# حملة ذي الثديّة على الإمام

**٢٧٢٧ـ كشف اليقين:** حمل ذو الثُدَيّة ليقتل علياً ﷺ، فسبقه عليّ ﷺ وضربه ففلق البيضة ورأسه، فحمله فرسه فألقاه في آخر المعركة في جُرُفٍ دالية على شطّ النهروان[1].

## ٧ / ٦

# سرعة دمارهم

**٢٧٢٨ ـ تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري:** وبعث عليّ الأسود بن يزيد المرادي في ألفي فارس، حتى أتى حمزة بن سنان وهو في ثلاثمائة فارس من خيلهم... وأقبلت الخوارج، فلمّا أن دنوا من الناس نادوا يزيد بن قيس فكان يزيد بن قيس على إصبهان فقالوا: يا يزيد بن قيس لا حكم إلّا لله وإن كرهت إصبهان، فناداهم عباس بن شريك وقبيصة بن ضُبيعة العبسيان يا أعداء الله، أليس فيكم شُريح بن أوفى المسرف على نفسه؟ هل أنتم إلّا أشباهه؟! قالوا: وما حجّتكم على رجل كانت فيه فتنة وفينا توبة؟ ثمّ تنادوا: الرواح الرواح إلى الجنّة! فشدّوا على الناس والخيل أمام الرجال، فلم تثبت خيل المسلمين لشدّتهم، وافترقت الخيل فرقتين: فرقة نحو الميمنة، وأُخرى نحو الميسرة، وأقبلوا نحو الرجال، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فوالله ما لبّثوهم أن أناموهم.

---

(١) كشف اليقين: ٢٠٥ / ٢٠٥، كشف الغمّة: ١ / ٢٦٦، المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٩٠؛ الفتوح: ٤ / ٢٧٣ كلاهما نحوه.

ثمّ إنّ حمزة بن سنان صاحب خيلهم لمّا رأى الهلاك، نادى أصحابه أن انزلوا، فذهبوا لينزلوا فلم يتقارّوا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي، وجاءتهم الخيل من نحو عليّ فأُهمِدوا في الساعة[١].

**٢٧٢٩ـ تاريخ الطبري عن حكيم بن سعد** ـ في وصف حرب النهروان ـ: ما هو إلّا أن لقينا أهل البصرة، فما لبثناهم، فكأنّما قيل لهم: موتوا، فماتوا قبل أن تشتدّ شوكتهم، وتعظم نكايتهم[٢].

**٢٧٣٠ـ الإمامة والسياسة عن الثعلبي**: لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنّهم معز اتّقت المطر بقرونها، ثمّ عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة، ونهض عليّ في القلب بالسيوف والرماح، فلا والله ما لبثوا فُواقاً[٣]، حتى صرعهم الله، كأنّما قيل لهم: موتوا فماتوا[٤].

**٢٧٣١ـ الأخبار الطوال** ـ في ذكر بدء القتال ـ: قال عليّ لأصحابه:

لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم.

فتنادت الخوارج: لا حكم إلّا لله وإن كره المشركون، ثمّ شدّوا على أصحاب عليّ شدّة رجل واحد، فلم تثبت خيل عليّ لشدّتهم، وافترقت الخوارج فرقتين: فرقة أخذت نحو الميمنة، وفرقة أُخرى نحو الميسرة.

وعطف عليهم أصحاب عليّ، وحمل قيس بن معاوية البُرْجُمِي من أصحاب

---

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٦، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٦، البداية والنهاية: ٧ / ٢٨٩ كلاهما نحوه من «ثمّ تنادوا».

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٧.

(٣) الفواق: هو ما بين الحلْبَتين من الراحة (النهاية: ٣ / ٤٧٩).

(٤) الإمامة والسياسة: ١ / ١٦٩.

عليّ على شريح بن أبي أوفى، فضربه بالسيف على ساقه فأبانها فجعل يقاتل برجل واحدة وهو يقول: الفحل يحمي شَوْلَه معقولاً. فحمل عليه قيس بن سعد فقتله وقُتلت الخوارج كلّها ربضة[1] واحدة[2].

## ٧/٧

## استبشار الناس بظهور آية من آيات النبوّة

**٢٧٣٢ ـ مسند ابن حنبل عن أبي كثير مولى الأنصار:** كنت مع سيّدي مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث قُتل أهل النهروان، فكأنّ الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم.

فقال عليّ عليه السلام: يا أيّها الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد حدّثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، ثمّ لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه، وإنّ آية ذلك أنّ فيهم رجلاً أسود مُخدَج[3] اليد، إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمسوه، فإنّي أراه فيهم.

فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه.

فكبّر عليّ عليه السلام فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله، وإنّه لمتقلّد قوساً له عربيّة، فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مُخدجته ويقول: صدق الله ورسوله، وكبّر الناس حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون[4].

**٢٧٣٣ ـ صحيح مسلم عن بسر بن سعيد عن عبيد الله بن أبي رافع:** إنّ الحروريّة لمّا

---

(١) الرِّبضة: مقتل قوم قتلوا في بقعة واحدة (لسان العرب: ٧ / ١٥٣).

(٢) الأخبار الطوال: ٢١٠.

(٣) مُخدَج اليد: ناقص اليد (لسان العرب: ٢ / ٢٤٨).

(٤) مسند ابن حنبل: ١ / ١٩١ / ٦٧٢، البداية والنهاية: ٧ / ٢٩٤ وراجع تاريخ بغداد: ١ / ١٩٩ / ٣٨.

خرجت ـ وهو مع عليّ بن أبي طالب ﷺ ـ قالوا: لا حكم إلّا لله.

قال عليّ: كلمة حقّ أُريد بها باطل، إنّ رسول الله ﷺ وصف ناساً إنّي لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحقّ بألسنتهم لا يجوز هذا منهم ـ وأشار إلى حلقه ـ من أبغض خلق الله إليه منهم أسود، إحدى يديه طبي شاة أو حلمة ثدي.

فلمّا قتلهم عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئاً.

فقال: ارجعوا، فوالله! ما كذبت ولا كذبت ـ مرّتين أو ثلاثاً ـ ثمّ وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه.

قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول عليّ فيهم[(١)].

**٢٧٣٤ ـ** مروج الذهب: كان جملة من قتل من أصحاب عليّ تسعة، ولم يفلت من الخوارج إلّا عشرة، وأتى عليّ على القوم، وهم أربعة آلاف، فيهم المخدج ذو الثديّة إلّا من ذكرنا من هؤلاء العشرة.

وأمر عليّ بطلب المخدج، فطلبوه، فلم يقدروا عليه، فقام عليّ وعليه أثر الحزن لفقد المخدج، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض.

فقال: أفرجوا. ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه.

فقال عليّ ﷺ: الله أكبر، ما كَذبتُ على محمّد، وإنّه لناقص اليد ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل ثدي المرأة، عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معقفة، ثمّ قال: ائتوني به.

فنظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود

---

(١) صحيح مسلم: ٢ / ٧٤٩ / ١٥٧، تاريخ بغداد: ١٠ / ٣٠٥ / ٥٤٥٣.

إذا مدت اللحمة امتدت، حتى تحاذي بطن يده الأُخرى، ثمّ تترك فتعود إلى منكبه. فثنى رجله ونزل، وخر لله ساجداً[١].

**٢٧٣٥ ـ تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة**: إنّ عليّاً خرج في طلب ذي الثديّة ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو جبرة، والريان بن صبرة بن هوذة، فوجده الريان ابن صبرة بن هوذة في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً.

قال: فلمّا استخرج نظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة، له حلمة عليها شعرات سود، فإذا مدّت امتدّت حتى تحاذي طول يده الأُخرى، ثمّ تترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة.

فلمّا استخرج قال عليّ: الله أكبر! والله ما كذبتُ ولا كُذبت، أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل، لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيّهﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم،عارفاً للحقّ الذي نحن عليه[٢].

**٢٧٣٦ ـ الكامل في التاريخ**: قد روى جماعة أنّ عليّاً كان يحدّث أصحابه قبل ظهور الخوارج؛ أنّ قوماً يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مُخدَج اليد، سمعوا ذلك منه مراراً.

فلمّا خرج أهل النهروان سار بهم إليهم عليّ وكان منه معهم ما كان، فلمّا فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج، فالتمسوه، فقال بعضهم: ما نجده، حتى قال

---

(١) مروج الذهب: ٢ / ٤١٧ وراجع سنن أبي داود: ٤ / ٢٤٤ / ٤٧٦٨ و ص ٢٤٥ / ٤٧٦٩، مسند ابن حنبل: ١ / ٢٣٠ / ٨٤٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٨ وراجع تاريخ بغداد: ٧ / ٢٣٧ / ٣٧٢٩ والمحاسن والمساوئ: ٣٨٥ وكشف الغمّة: ١ / ٢٦٧.

بعضهم : ما هو فيهم ، وهو يقول :

والله ، إنّه لفيهم ، والله ، ما كَذبت ولا كُذبت !

ثمّ إنّه جاءه رجل فبشّره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد وجدناه[١] .

## ٨ / ٧

## كلام الإمام عند المرور بقتلى الخوارج

**٢٧٣٧ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان ـ : بؤساً لكم ، لقد ضرّكم من غرّكم !

فقيل له : من غرّهم يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : الشيطان المضلّ ، والأنفس الأمّارة بالسوء ، غرّتهم بالأماني ، وفسحت لهم بالمعاصي ، ووعدتهم الإظهار ، فاقتحمت بهم النار[٢] .

## ٩ / ٧

## إخبار الإمام باستمرار نهجهم في التاريخ

**٢٧٣٨ ـ الإمام عليّ** عليه السلام ـ لمّا قتل الخوارج ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، هلك القوم بأجمعهم ـ : كلّا والله ، إنّهم نُطَفٌ في أصلاب الرجال وقرارات النساء ، كلّما نجم منهم قرن قُطع ، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين[٣] .

---

(١) الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٧ .

(٢) نهج البلاغة : الحكمة ٣٢٣ ؛ تاريخ الطبري : ٥ / ٨٨ عن عبد الملك بن أبي حرّة ، الكامل في التاريخ : ٢ / ٤٠٧ ، البداية والنهاية : ٧ / ٢٨٩ كلّها نحوه .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٦٠ ، شرح المائة كلمة : ٢٣٨ ، بحار الأنوار : ٣٣ / ٤٣٣ / ٦٤١ .

٢٧٣٩ ـ المصنّف عن قتادة: لمّا قَتلهم [الخوارج] قال رجلٌ: الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم.

فقال عليٌّ: كلّا والذي نفسي بيده، إنَّ منهم لمن في أصلاب الرِّجال لم تحملْه النِّساء بعد، وليكوننَّ آخرهم لصّاصاً جرّادين[1].

٢٧٤٠ ـ المعجم الأوسط عن أبي جعفر الفرّاء: سمع عليٌّ أحد ابنيْه ـ إمّا الحسن أو الحسين ـ يقول: الحمد لله الذي أراح أُمّة محمّدٍ من هذه العصابة.

فقال عليٌّ: لو لم يبقَ من أُمّة محمّدٍ إلّا ثلاثةٌ لكان أحدهم على رأي هؤلاء، إنّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء[2].

٢٧٤١ ـ شرح نهج البلاغة ـ في الخوارج ـ: وقد صحّ إخباره عليه السلام عنهم أنّهم لم يهلكوا بأجمعهم في وقعة النهروان، وأنّها دعوة سيدعو إليها قوم لم يخلقوا بعد، وهكذا وقع، وصحّ إخباره عليه السلام أيضاً أنّه سيكون آخرهم لصوصاً سلّابين، فإنّ دعوة الخوارج اضمحلّت، ورجالها فنيت، حتى أفضى الأمر إلى أن صار خلفهم قُطّاع طريق، متظاهرين بالفسوق والفساد في الأرض[3].

٢٧٤٢ ـ تاريخ بغداد عن حبّة العرني: لمّا فرغنا من النهروان قال رجل: والله لا يخرج بعد اليوم حَروري أبداً.

فقال عليّ: مَه! لا تقُلْ هذا، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، ولا يزالون يخرجون حتى تخرج طائفة منهم بين نهرين،

---

(١) المصنّف لعبد الرزّاق: ١٠/ ١٥٠/ ١٨٦٥٥، كنز العمّال: ١١/ ٢٨٧/ ٣١٥٤٢.

(٢) المعجم الأوسط: ٧/ ٣٣٩/ ٧٦٦٦، كنز العمّال: ١١/ ٢٩١/ ٣١٥٤٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٥/ ٧٣.

حتى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم فلا يعودون أبداً[1].

## ٧ / ١٠

## سياسة الإمام في الجرحى والغنائم

**٢٧٤٣ ـ تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة:** طلب [عليّ عليه السلام] من به رمق منهم، فوجدناهم أربعمائة رجل، فأمر بهم عليّ فدُفعوا إلى عشائرهم، وقال:

احملوهم معكم فداووهم، فإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة، وخذوا ما في عسكرهم من شيء.

قال: وأمّا السلاح والدوابّ وما شهدوا به عليه الحرب، فقسّمه بين المسلمين، وأمّا المتاع والعبيد والإماء فإنّه حين قدم ردّه على أهله[2].

## ٧ / ١١

## خطبة الإمام لمّا فرغ من قتال الخوارج

**٢٧٤٤ ـ كنز العمال عن عبد الملك بن قريب:** سمعت العلاء بن زياد الأعرابي يقول: سمعت أبي يقول: صعد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب منبر الكوفة بعد الفتنة وفراغه من النهروان فحمد الله وخنقته العبرة، فبكى حتى اخضلّت لحيته بدموعه وجرت، ثمّ نفض لحيته فوقع رشاشها على ناس من أناس، فكنّا نقول: إنّ من أصابه من دموعه فقد حرمه الله على النار، ثمّ قال:

يا أيّها الناس! لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخّر التوبة بطول

---

(١) تاريخ بغداد: ٨ / ٢٧٥ / ٤٣٧٥، مروج الذهب: ٢ / ٤١٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٨٨، مروج الذهب: ٢ / ٤١٨، الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٠٧، الإمامة والسياسة: ١ / ١٦٩ كلّها نحوه وفيها من «خذوا ما في عسكرهم ...».

الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ويأمر ولا يأتي، وينهى ولا ينتهي، يحبّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض الظالمين وهو منهم، تغلبه نفسه على ما يظنّ، ولا يغلبها على ما يستيقن، إن استغنى فُتن، وإن مرض حزن، وإن افتقر قنط ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يُعافى فلا يشكر، ويُبتلى فلا يصبر، كأن المحذَّر من الموت سواه، وكأن من وعِد وزُجر غيره.

يا أغراض المنايا! يا رهائن الموت! يا وعاء الأسقام! يا نهبة الأيام! ويا ثقل الدهر! ويا فاكهة الزمان! ويا نور الحدثان! ويا خرس عند الحجج! ويا من غمرته الفتن وحيل بينه وبين معرفة العبر بحقّ! أقول: ما نجا من نجا إلّا بمعرفة نفسه، وما هلك من هلك إلّا من تحت يده، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[1] جعلنا الله وإياكم ممن سمع الوعظ فقبل، ودُعي إلى العمل فعمل[2].

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) كنز العمّال: ١٦ / ٢٠٥ / ٤٤٢٢٩ نقلاً عن ابن النجّار.

٢٧٤٥ ـ الكامل في التاريخ : لمّا قُتل أهل النهروان ، خرج أشرس بن عوف الشيباني على عليّ ـ بالدسكرة ـ في مائتين ، ثمّ سار إلى الأنبار ، فوجّه إليه عليّ الأبرش بن حسّان في ثلاثمائة فواقعه ، فقُتل أشرس في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين .

ثمّ خرج هلال بن عُلّفة ـ من تيم الرباب ـ ومعه أخوه مجالد ، فأتى ماسَبَذان[1] ، فوجّه إليه عليّ معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه ، وهم أكثر من مائتين ، وكان قتلهم في جمادى الأُولى سنة ثمان وثلاثين .

ثمّ خرج الأشهب بن بشر ، وقيل : الأشعث ـ وهو من بجيلة ـ في مائة وثمانين رجلاً ، فأتى المعركة التي أُصيب فيها هلال وأصحابه ، فصلّى عليهم ودفن من

(١) ماسَبَذان : مدينة من مدن پيشكوه في محافظة لرستان الإيرانيّة ويقال لها سِيْرَوان، وهي مدينة قديمة بين جبال وشعاب، وفيها عيون ماء تجري وسط المدينة (راجع تقويم البلدان : ٤١٥).

قدر عليه منهم.

فوجّه إليهم عليّ جارية بن قدامة السعدي، وقيل: حجر بن عدي، فأقبل إليهم الأشهب، فاقتتلا بجرجرايا[١] من أرض جوخا[٢]، فقُتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين.

ثمّ خرج سعيد بن قفل التيمي ـ من تيم الله بن ثعلبة ـ في رجب بالبندنيجين ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان[٣] ـ وهي من المدائن على فرسخين ـ فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين.

ثمّ خرج أبو مريم السعدي التميمي، فأتى شهرزور[٤]، وأكثر من معه من الموالي، وقيل: لم يكن معه من العرب غير ستّة نفر هو أحدهم، واجتمع معه مائتا رجل، وقيل: أربعمائة، وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة.

فأرسل إليه عليّ يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة، فلم يفعل، وقال: ليس بيننا غير الحرب.

فبعث إليه عليّ شريح بن هانئ في سبعمائة، فحمل الخوارج على شريح

---

(١) جَرْجَرايا: بلدة قريبة من دجلة بين بغداد وواسط، من توابع النهروان السفلى (راجع تقويم البلدان: ٣٠٥).

(٢) جُوخا: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد، وهو بين خانقين وخوزستان (معجم البلدان: ١٧٩/٢).

(٣) كذا في المصدر، والصحيح كما في أنساب الأشراف ومعجم البلدان «دَرْزِيْجان»: وهي قرية كبيرة تحت بغداد على ثلاثة فراسخ منها على دجلة بالجانب الغربي، وهي من مدن الأكاسرة، وإحدى المدائن السبع. وأصل اسمها درزبندان (راجع معجم البلدان: ٤٥٠/٢).

(٤) شَهْرُزُور: بلدة بين الموصل وهمدان بناها زور بن الضحّاك، وتعرف اليوم باسم زوردر جنوب شرقي السليمانيّة قرب الحدود العراقيّة الإيرانيّة (راجع تقويم البلدان: ٤١٣).

وأصحابه فانكشفوا، وبقي شريح في مائتين، فانحاز إلى قرية، فتراجع إليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة.

فخرج عليّ بنفسه وقدّم بين يديه جارية بن قدامة السعدي، فدعاهم جارية إلى طاعة عليّ وحذّرهم القتل فلم يجيبوا، ولحقهم عليّ أيضاً فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه، فقتلهم أصحاب عليّ ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم.

وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى، فأمر عليّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برؤوا، وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين؛ وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج، ولجرأتهم قاربوا الكوفة[1].

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢ / ٤٢٣، أنساب الأشراف: ٣ / ٢٣٩ ـ ٢٤٨.



٢٧٤٦ ـ أُسد الغابة عن الزبير : كان الخِرّيت على مُضَر يوم الجمل مع طلحة والزبير ، وكان عبد الله بن عامر قد استعمل الخِرّيت بن راشد على كُوْرة من كُوَر فارس ، ثمّ كان مع عليّ ، فلمّا وقعت الحكومة فارق عليّاً إلى بلاد فارس مخالفاً ، فأرسل عليّ إليه جيشاً ، واستعمل على الجيش معقل بن قيس وزياد بن خصفة ، فاجتمع مع الخرّيت كثير من العرب ونصارى كانوا تحت الجزية ، فأمر العرب بإمساك صدقاتهم والنصارى بإمساك الجزية ، وكان هناك نصارى أسلموا ، فلمّا رأوا الاختلاف ارتدّوا وأعانوه ، فلقوا أصحاب عليّ وقاتلهم ، فنصب زياد بن خصفة راية أمان ، وأمر منادياً فنادى : من لحق بهذه الراية فله الأمان ، فانصرف إليها كثير من أصحاب الخرّيت ، فانهزم الخرّيت فقُتل[1] .

(١) أُسد الغابة : ٢ / ١٦٥ / ١٤٣٧ ، الإصابة : ٢ / ٢٣٥ / ٢٢٤٩ إلى «مع عليّ» عن سيف بن عمر ومن «فلما وقعت . . .» عن الزبير بن بكّار .

**٢٧٤٧ ـ تاريخ اليعقوبي**: خرج الخرّيت بن راشد الناجي في جماعة من أصحابه، فجرّدوا السيوف بالكوفة، فقتلوا جماعة، وطلبهم الناس، فخرج الخرّيت وأصحابه من الكوفة، فجعلوا لا يمرّون ببلد إلّا انتهبوا بيت ماله حتى صاروا إلى سيف عمان.

وكان عليّ قد وجّه الحلو بن عوف الأزدي عاملاً على عمان، فوثبت به بنو ناجية فقتلوه، وارتدّوا عن الإسلام، فوجّه عليّ معقل بن قيس الرياحي إلى البلد [عمان]، فقتل الخرّيت بن راشد وأصحابه، وسبى بني ناجية[1].

**٢٧٤٨ ـ الغارات**: شهد الخرّيت بن راشد الناجي وأصحابه مع عليّ عليه السلام صفّين، فجاء الخرّيت إلى عليّ عليه السلام في ثلاثين راكباً من أصحابه، يمشي بينهم حتى قام بين يدي عليّ عليه السلام فقال له: والله لا أُطيع أمرك، ولا أُصلّي خلفك، وإنّي غداً لمفارق لك. قال: وذاك بعد وقعة صفّين، وبعد تحكيم الحكمين.

فقال له عليّ عليه السلام: ثكلتك أُمّك! إذنْ تنقض عهدك، وتعصي ربّك، ولا تضرّ إلّا نفسك! أخبرني لِمَ تفعل ذلك؟ قال: لأنّك حكّمت في الكتاب، وضعفت عن الحقّ إذ جدّ الجِدّ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم، فأنا عليك رادّ، وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مباين.

فقال له عليّ عليه السلام: ويحك! هلمّ إليَّ أُدارسك الكتاب، وأُناظرك في السنن، وأُفاتحك أُموراً من الحقّ أنا أعلم بها منك، فلعلّك تعرف ما أنت له الآن منكر، وتستبصر ما أنت به الآن عنه عمٍ وبه جاهل.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩٤؛ مروج الذهب: ٢ / ٤١٨ نحوه وفيه «الحارث بن راشد الناجي» بدل «الخرّيت بن راشد الناجي».

فقال الخرّيت: فإنّي عائد عليك غداً، فقال له عليّ ﷺ: اغدُ ولا يستهوينّك الشيطان، ولا يتقحّمنّ بك رأي السوء، ولا يستخفنّك الجهلاء الذين لا يعلمون، فوالله لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت منّي لأهدينّك سبيل الرشاد، فخرج الخرّيت من عنده منصرفاً إلى أهله.

قال عبد الله بن قعين: فعجلت في أثره مسرعاً، وكان لي من بني عمّه صديق، فأردت أن ألقى ابن عمّه في ذلك، فأُعلمه بما كان من قوله لأمير المؤمنين، وما ردّ عليه، وآمر ابن عمّه ذلك أن يشتدّ بلسانه عليه، وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته، ويخبره أنّ ذلك خير له في عاجل الدنيا وآجل الآخرة.

قال: فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقني، فقمت عند باب داره وفي داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على عليّ ﷺ، فوالله مارجع ولا ندم على ما قال لأمير المؤمنين وما ردّ عليه، ثمّ قال لهم: يا هؤلاء! إنّي قد رأيت أن أُفارق هذا الرجل، وقد فارقته على أن أرجع إليه من غدٍ ولا أراني إلّا مفارقه، فقال أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيه، فإن أتاك بأمر تعرفه قبلت منه، وإن كانت الأُخرى فما أقدرك على فراقه! فقال لهم: نِعْمَ ما رأيتم.

قال: ثمّ استأذنت عليهم فأذنوا لي، فأقبلت على ابن عمّه وهو مدرك بن الريّان الناجي، وكان من كبراء العرب، فقلت له: إنّ لك عليَّ حقّاً لإخائك وودّك، ولحقّ المسلم على المسلم؛ إنّ ابن عمّك كان منه ما قد ذكر لك، فاخلُ به واردد عليه رأيه، وعظّم عليه ما أتى، واعلم أنّني خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتلك ونفسه وعشيرته.

فقال: جزاك الله خيراً من أخ؛ فقد نصحت وأشفقت، إن أراد صاحبي فراق

أمير المؤمنين فارقته وخالفته وكنت أشدّ الناس عليه، وأنا بعدُ خالٍ به، ومشيرٌ عليه بطاعة أمير المؤمنين، ومناصحته والإقامة معه، وفي ذلك حظّه ورشده، فقمت من عنده وأردت الرجوع إلى عليّ عليه السلام لأُعلمه الذي كان، ثمّ اطمأننت إلى قول صاحبي، فرجعت إلى منزلي فبتّ به ثمّ أصبحت، فلمّا ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فجلست عنده ساعة وأنا أُريد أن أُحدّثه بالذي كان من قوله لي على خلوة، فأطلت الجلوس فلم يزدد الناس إلّا كثرة، فدنوت منه فجلست وراءه فأصغى إليَّ برأسه، فأخبرته بما سمعت من الخرّيت، وما قلت لابن عمّه، وما ردّ عليَّ.

فقال عليه السلام: دعْهُ؛ فإن قبل الحقّ ورجع عرفنا ذلك له وقبلناه منه، وإن أبى طلبناه، فقلت: يا أمير المؤمنين، فلِمَ لا تأخذه الآن فتستوثق منه؟ فقال: إنّا لو فعلنا هذا الكلّ من نتّهمه من الناس ملأنا السجون منهم، ولا أراني يسعني الوثوب على الناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يُظهروا لنا الخلاف.

قال: فسكتُّ عنه وتنحّيت فجلست مع أصحابي، ثمّ مكثت ما شاء الله معهم، ثمّ قال لي عليّ عليه السلام: ادنُ منّي فدنوت منه، ثمّ قال لي مسرّاً: اذهب إلى منزل الرجل فأعلِمْ لي ما فعل؛ فإنّه قلّ يوم لم يكن يأتيني فيه إلّا قبل هذه الساعة، قال: فأتيت منزله فإذا ليس في منزله منهم ديّار، فدرت على أبواب دور أُخرى كان فيها طائفة أُخرى من أصحابه فإذا ليس فيها داعٍ ولا مجيب، فأقبلت إلى عليّ عليه السلام فقال لي حين رآني: أأمنوا فقطنوا أم جبنوا فظعنوا؟ قلت: بل ظعنوا، قال: أبعدهم الله كما بعدت ثمود، أما والله لو قد أُشرِعت لهم الأسنّة، وصُبّت على هامهم السيوف، لقد ندموا، إنّ الشيطان قد استهواهم فأضلّهم وهو غداً متبرّئ

منهم، ومخلٍّ عنهم[١].

**٢٧٤٩ ـ الكامل في التاريخ ـ في ذكر أحداث سنة (٣٨) ـ:** وفي هذه السنة أظهر الخرّيت بن راشد الناجي الخلاف على عليّ، فجاء إلى أمير المؤمنين وكان معه ثلاثمائة من بني ناجية، خرجوا مع عليّ من البصرة، فشهدوا معه الجمل وصفّين، وأقاموا معه بالكوفة إلى هذا الوقت، فحضر عند عليّ في ثلاثين راكباً، فقال له: يا عليّ، والله لا أُطيع أمرك، ولا أُصلّي خلفك، وإنّي غداً مفارق لك، وذلك بعد تحكيم الحَكَمين.

فقال له: ثكلتك أُمّك، إذنْ تعصي ربّك، وتنكث عهدك، ولا تضرّ إلّا نفسك! خبّرني لِمَ تفعل ذلك؟ فقال: لأنّك حكّمت وضعفت عن الحقّ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا، فأنا عليك زارٍ، وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مباين.

فقال له عليّ: هلمّ أُدارسك الكتاب وأُناظرك في السنن وأُفاتحك أُموراً أنا أعلم بها منك، فلعلّك تعرف ما أنت له الآن منكر، قال: فإنّي عائد إليك.

قال: لا يستهوينّك الشيطان، ولا يستخفنّك الجهّال، والله لئن استرشدتني وقبلت منّي لأهدينّك سبيل الرشاد.

فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله، وسار من ليلته هو وأصحابه، فلمّا سمع بمسيرهم عليّ قال: بُعداً لهم كما بعدت ثمود! إنّ الشيطان اليوم استهواهم وأضلّهم، وهو غداً متبرّئ منهم.

فقال له زياد بن خصفة البكري: يا أمير المؤمنين! إنّه لم يعظم علينا فقدهم

---

(١) الغارات: ١ / ٣٣٢؛ تاريخ الطبري: ٥ / ١١٣ ـ ١١٦ عن عبد الله بن فُقَيم نحوه وراجع أنساب الأشراف: ٣ / ١٧٧.

فتأسى عليهم، إنّهم قلّما يزيدون في عددنا لو أقاموا، ولقلّما يُنقِصون من عددنا بخروجهم عنّا، ولكنّا نخاف أن يُفسِدوا علينا جماعة كثيرة ممّن يقدمون عليك من أهل طاعتك، فأْذن لي في اتّباعهم حتى أردّهم عليك. فقال: أ تدري أين توجّهوا؟ قال: لا، ولكنّي أسأل وأتّبع الأثر. فقال له: اخرج، رحمك الله، وانزل دير أبي موسى، وأقم حتى يأتيك أمري، فإن كانوا ظاهرين فإنّ عمّالي سيكتبون بخبرهم.

فخرج زياد فأتى داره وجمع أصحابه من بكر بن وائل وأعلمهم الخبر، فسار معه مائة وثلاثون رجلاً، فقال: حسبي.

ثمّ سار حتى أتى دير أبي موسى فنزله يوماً ينتظر أمر عليّ، وأتى عليّاً كتاب من قرظة بن كعب الأنصاري يخبره أنّهم توجّهوا نحو نِفَّر[1]، وأنّهم قتلوا رجلاً من الدهاقين[2] كان أسلم.

فأرسل عليّ إلى زياد يأمره باتّباعهم ويُخبره خبرهم، وأنّهم قتلوا رجلاً مسلماً، ويأمره بردّهم إليه؛ فإن أبوا يناجزهم[3]، وسيّر الكتاب مع عبد الله بن والٍ، فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد، فأذن له، وقال له: إنّي لأرجو أن تكون من أعواني على الحقّ، وأنصاري على القوم الظالمين، قال ابن والٍ: فوالله ما أُحبّ أنّ لي بمقالته تلك حمر النعم... فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمذار[4]... فدعاه زياد وقال له: ما الذي نقمت على أمير المؤمنين وعلينا حتى

(١) نِفَّر: قرية على نهر النَّرْس من بلاد الفرس (معجم البلدان: ٥/٢٩٥).

(٢) الدهقان: رئيس القرية ومُقدَّم التُّنَّاء وأصحاب الزراعة وهو معرَّب (النهاية: ٢/١٤٥).

(٣) المناجزة في الحرب: المُبارزة. وأُناجزك: أُقاتلك وأُخاصمك (النهاية: ٥/٢١).

(٤) المَذَار: مدينة في مَيْسان بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان (معجم البلدان: ٥/٨٨).

فارقتنا ؟ فقال : لم أرضَ صاحبكم إماماً ، ولا سيرتكم سيرة ، فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى ، فقال له زياد : وهل يجتمع الناس على رجل يُداني صاحبك الذي فارقته علماً بالله وسنّته وكتابه مع قرابته من رسول الله ﷺ ، وسابقته في الإسلام ؟ فقال له : ذلك لا أقول لك . فقال له زياد : ففيمَ قتلت ذلك الرجل المسلم ؟ فقال له : ما أنا قتلته ، وإنّما قتله طائفة من أصحابي . قال : فادفعهم إلينا . قال : ما لي إلى ذلك سبيل .

فدعا زياد أصحابه ودعا الخرّيت أصحابه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً تطاعنوا بالرماح حتى لم يبقَ رمح ، وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت ، وعُقرت عامّة خيولهم ، وكثرت الجراحة فيهم ، وقُتل من أصحاب زياد رجلان ، ومن أُولئك خمسة ، وجاء الليل فحجز بينهما ، وقد كره بعضهم بعضاً ، وجُرح زياد . فسار الخرّيت من الليل وسار زياد إلى البصرة ، وأتاهم خبر الخرّيت أنّه أتى الأهواز فنزل بجانب منها وتلاحق به ناس من أصحابهم فصاروا نحو مائتين ... فقدم معقل الأهواز ... فلحقوهم قريب جبل من جبال رامهرمز ... فقتل أصحاب معقل منهم سبعين رجلاً من بني ناجية ومن معهم من العرب ، وقتلوا نحواً من ثلاثمائة من العلوج[1] والأكراد ، وانهزم الخرّيت بن راشد فلحق بأسياف البحر ، وبها جماعة كثيرة من قومه ، فما زال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف عليّ ، ويخبرهم أنّ الهدى في حربه حتى اتّبعه منهم ناس كثير ...

فكتب [عليّ عليه السلام] إلى معقل يُثني عليه وعلى من معه ويأمره باتّباعه وقتله أو نفيه ... فلمّا انتهى معقل إليه نصب راية أمان وقال : من أتاها من الناس فهو آمن إلّا الخرّيت وأصحابه الذين حاربونا أوّل مرّة . فتفرّق عن الخرّيت جُلّ من كان

---

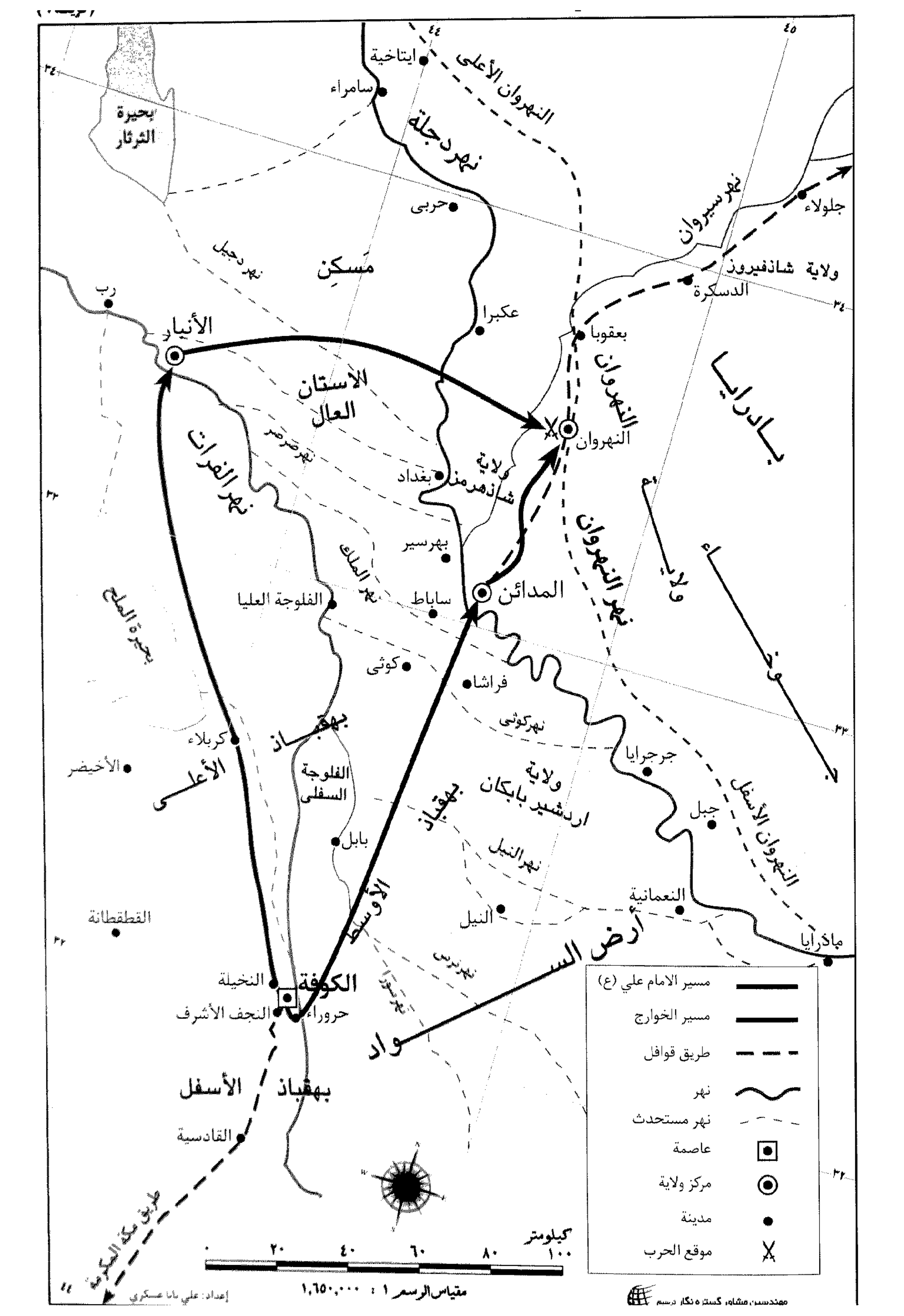
(١) العِلجُ : هو الرجل من كفّار العجم (النهاية : ٣ / ٢٨٦).

معه من غير قومه ... ثمّ حمل معقل وجميع من معه فقاتلوا قتالاً شديداً وصبروا له، ثمّ إنّ النعمان بن صهبان الراسبي بَصُرَ بالخرّيت، فحمل عليه فطعنه فصُرع عن دابّته، ثمّ اختلفا ضربتين فقتله النعمان وقُتل معه في المعركة سبعون ومائة رجلٍ، وذهب الباقون يميناً وشمالاً[١].

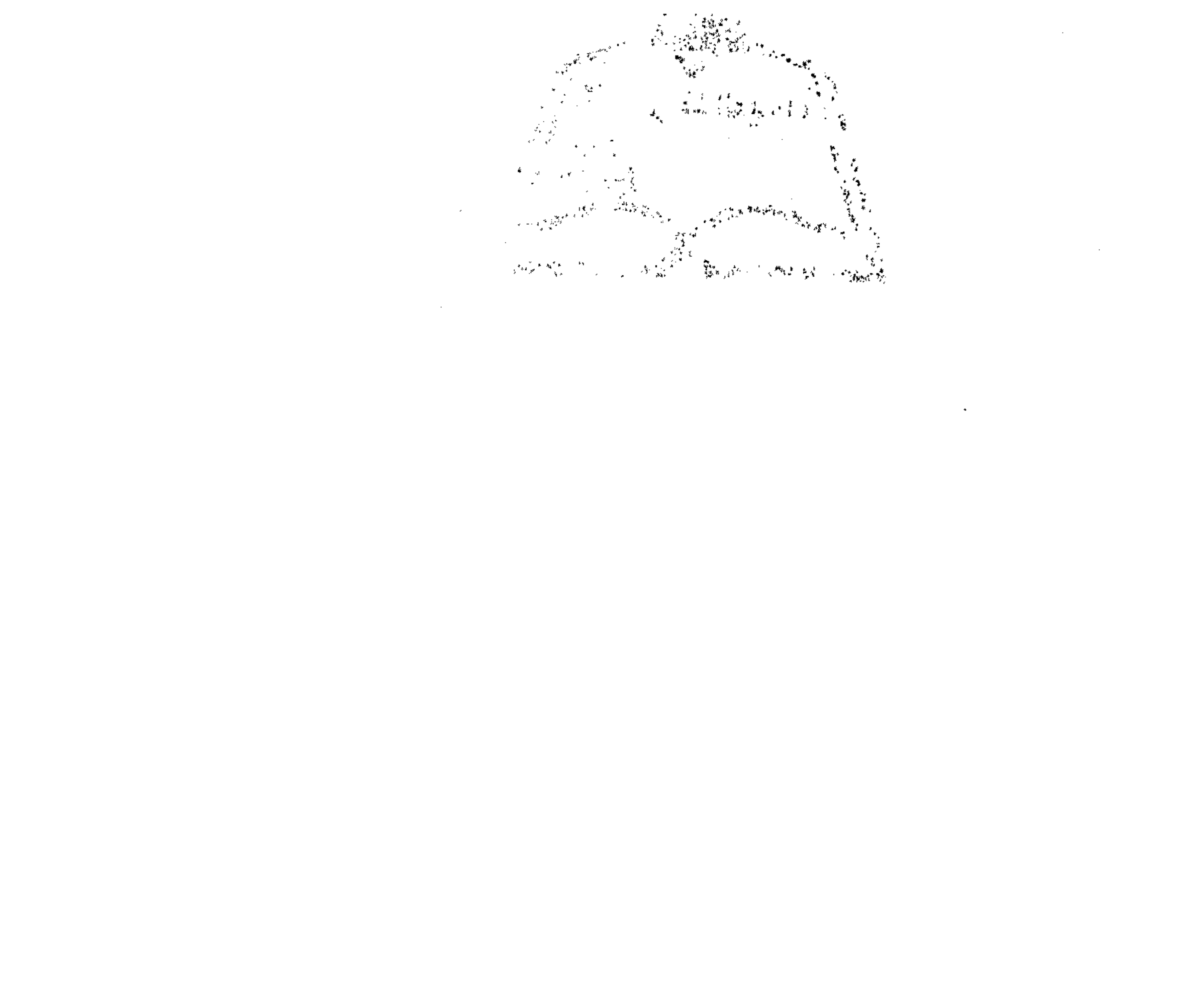
(١) الكامل في التاريخ: ٢/ ٤١٧.

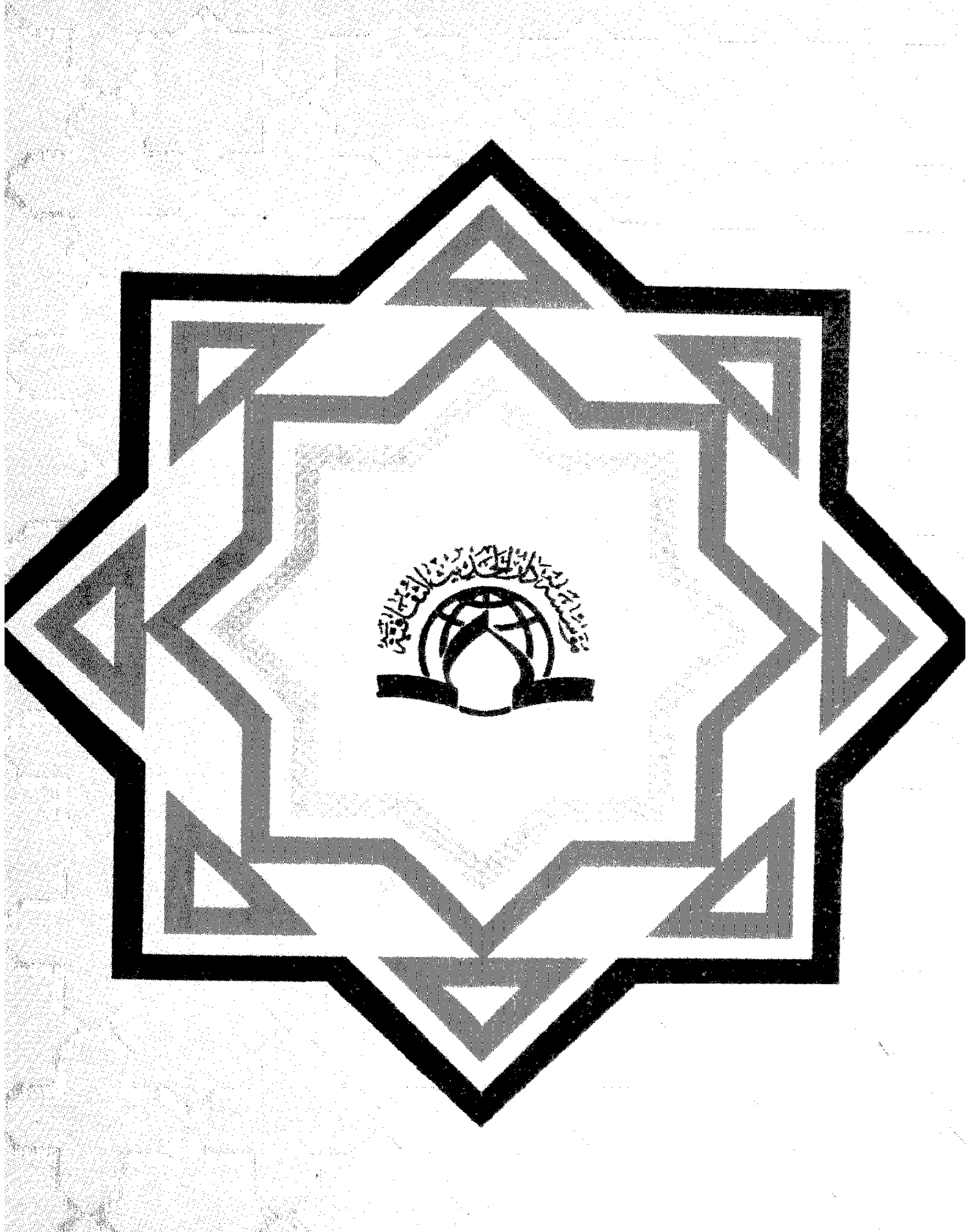
# فهرس المطالب

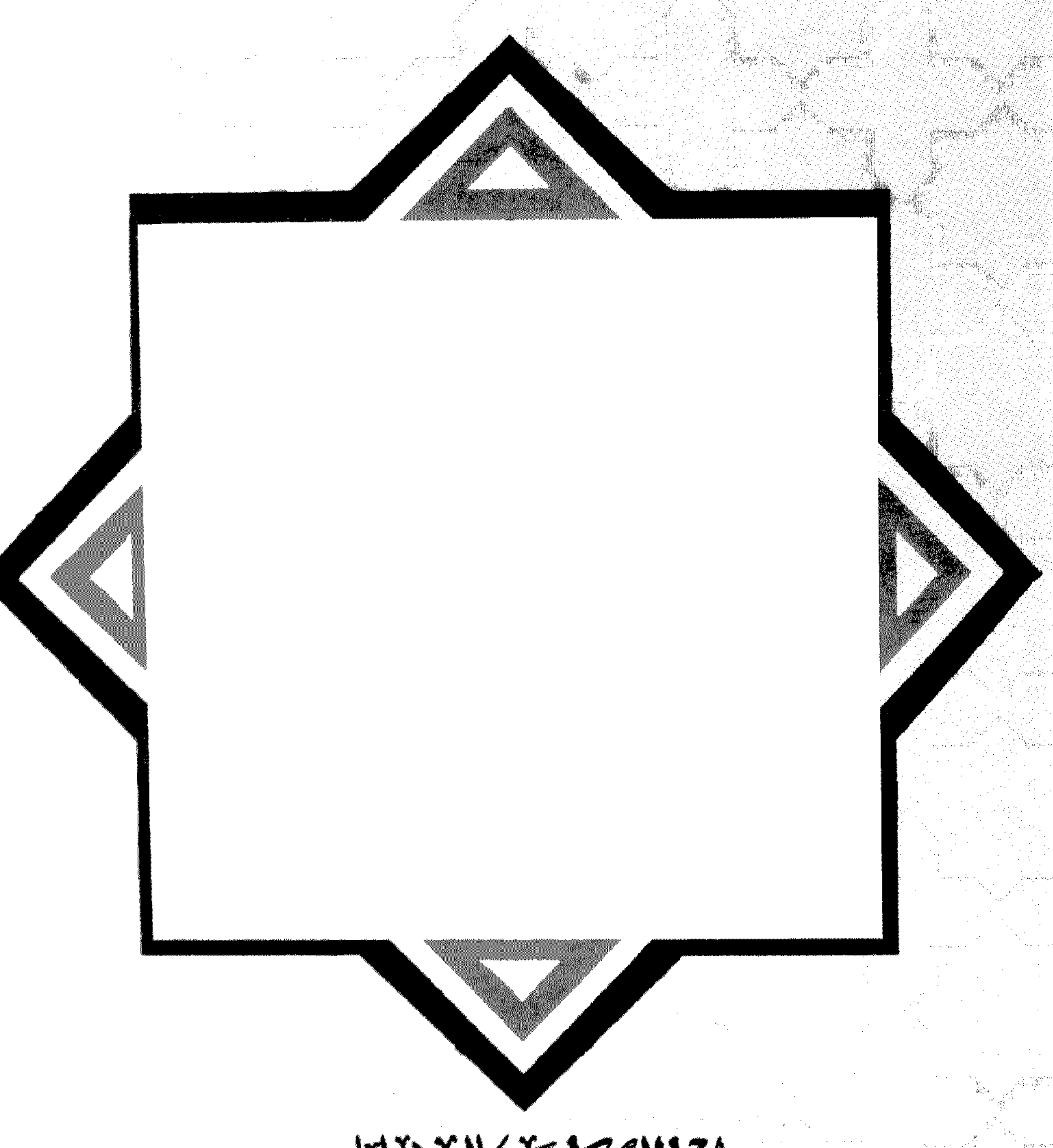
## الحرب الثالثة: وقعة النهروان



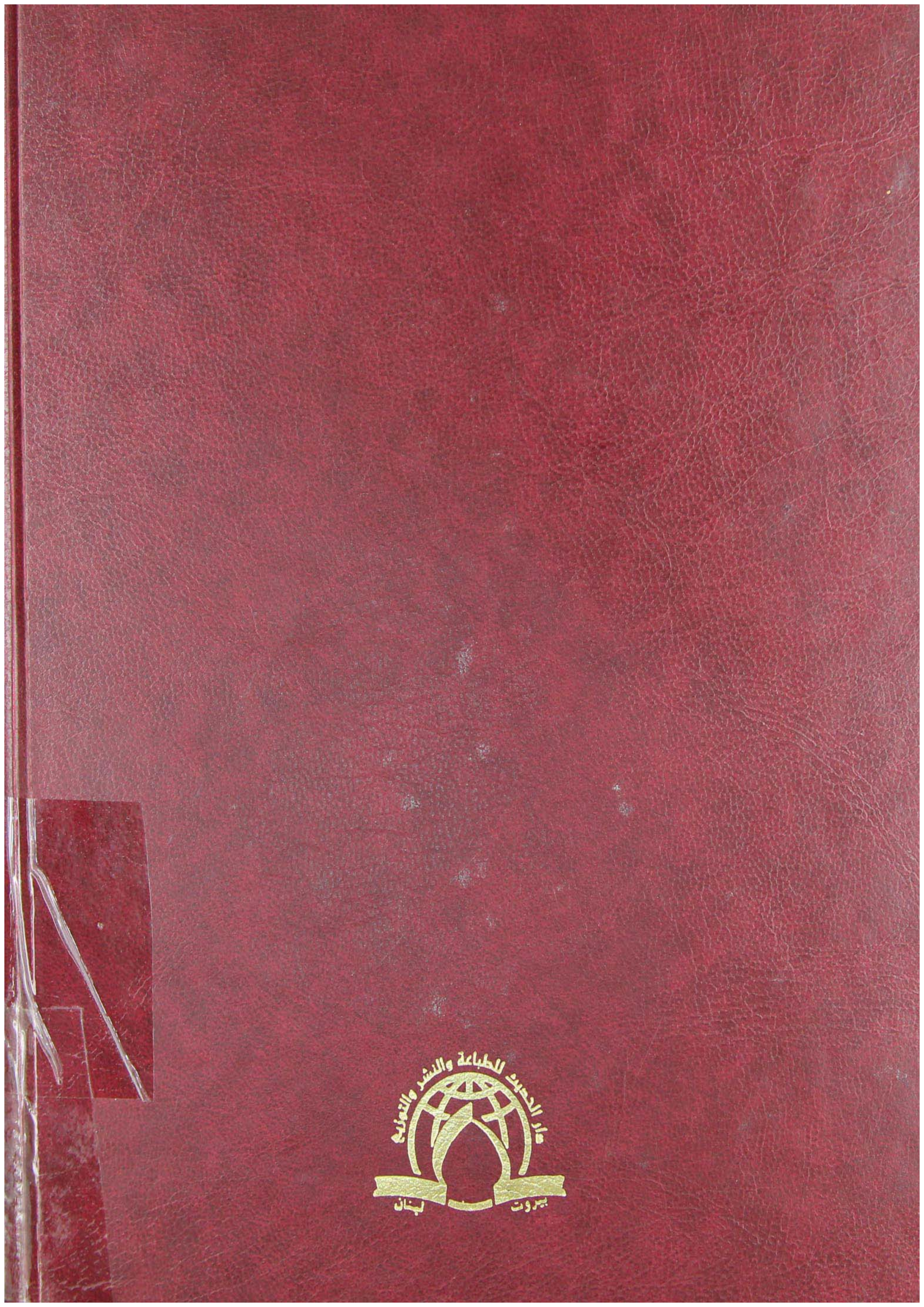
ايتاخية
سامراء
النهروان الأعلى
بحيرة الثرثار
نهر دجلة
حربى
نهر سيروان
جلولاء
مسكن
نهر دجيل
ولاية شاذفيروز
الدسكرة
رب
عكبرا
الأنبار
بعقوبا
الاستان العال
النهروان
النهروان
بادرايا
نهر صرصر
ولاية شاذهرمز
بغداد
نهر الفرات
نهر النهروان
بهرسير
نهر الملك
ولاية
المدائن
الفلوجة العليا
ساباط
بحيرة الملح
كوثى
فراشا
نهر كوثى
بهقباذ
كربلاء
الأعلى
جرجرايا
الأخيضر
الفلوجة السفلى
ولاية اردشير بابكان
بهقباذ
جبل
بابل
النهروان الأسفل
الأوسط
نهر النيل
النعمانية
النيل
القطقطانة
ماذرايا
أرض السواد
النخيلة
الكوفة
النجف الأشرف
حروراء
بهقباذ الأسفل
القادسية
طريق مكة المكرمة
مسير الامام علي (ع)
مسير الخوارج
طريق قوافل
نهر
نهر مستحدث
عاصمة
مركز ولاية
مدينة
موقع الحرب
كيلومتر
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠
مقياس الرسم ١ : ١,٦٥٠,٠٠٠
إعداد: علي بابا عسكري







مبرة الآل والأصحاب



دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت
لبنان